

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 53 SEPTEMBRE 1981.

العدد (٥٣) ـ ذو القعدة ١٤٠١ هـ السنة الخامسة ـ أيلول (سبتمبر) ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٥٣) ذو القعدة ١٤٠١هـ السنة الخامسة - أيلول (سبتمبر) ١٩٨١م

هذا العدد

★ بعد ثلاثة أعوام من انطلاق سفينة الفضاء فوياجير (١)، مرت هذه السفينة بثاني أكبر الكواكب في المجموعة الشمسية «زحل».

إن وراء «زحل» ذو الحلقات الفارغة أسراراً غريبة! كيف نتصور كوكباً عملاقاً يدور بسرعة هائلة حول نفسه يمكنه أن يحتفظ بمجموعة من الحلقات المتماسكة تدور حوله كالأطواق.. دون أن تتفتت أو تنفصم إلى جسيمات أو أقمار تدور حوله؟ طالع ص (٩١) ★



★ «العناكب البحرية» كائنات حيوانية صغيرة الحجم، تعيش في الماء، ومظهرها الخارجي قريب الشبه بالعناكب الحقيقية.

حيرت هذه الحيوانات المائية العلماء والدارسين والباحثين لعلاقتها ببعض المجموعات الحيوانية الأخرى، ولما تحمله من صفات وأشكال بالغة التعقيد والدقة والتنوع. طالع ص (١١١) ★

★ بعض النجوم تتوهج فجأة وتتضاعف ملايين المرات، ثم تحترق وتخبو بسرعة فلا يراها أحد بعد ذلك!

لقد انحدر شعاع ضوئها إلى الهوة السحيقة بتأثير انحناء الفضاء.. فلا يستطيع الشعاع أن يرتد لأن هذه النجوم عاجزة عن أن تعكس أشعة الضوء فتمتصها.. لذلك فهي سوداء، وتسمح بجميع الأشياء أن تنفذ خلالها.. لذلك فهي ثقوب.

إذن فهي «ثقوب سوداء» كما يطلق عليها علماء الفضاء. طالع ص (٨٣) ★





د. عبد الرحمن سعود الهواوي

★ ولد في حائل، المملكة العربية السعودية، عام ١٣٦١ هـ.

★ دكتوراه فلسفة في علم الحيوان.

★ عمل مدرساً في بعض المدارس الحكومية ثم موظفاً حكومياً.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية التربية بجامعة الرياض، ووكيلاً لقسم الأحياء بالكلية.

★ عضو الجمعية السعودية لعلوم الحياة.

★ اشترك في مؤتمرات محلية ودولية.

★ له أبحاث منشورة عن البيئة البحرية وتكوين الحيوانات المنوية.



د. محمد عبد العليم مرسي

★ من مواليد بنها – مصر عام ١٩٣٥ م.

★ دكتوراه الفلسفة في التربية – جامعة فيرجينيا.

★ عمل في حقل التدريس بمدارس مصر، ثم معيداً، فمدرساً مساعداً لكلية التربية – عين شمس، ومحاضراً بكلية العلوم والآداب – جامعة فيرجينيا.



★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية العلوم الاجتماعية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

★ له عدد من البحوث الاجتماعية والتربوية، إلى جانب كتابة القصة القصيرة.



د. سمير حجازي

★ من مواليد القاهرة عام ١٩٤٣ م.

★ دكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة السوربون في باريس.

★ يعمل محاضراً في جامعات فرنسا، وبعض الجامعات الأخرى.

★ له كتابان باللغة الفرنسية.

سهير جاد

★ من مواليد جمهورية مصر العربية عام ١٩٤٦ م.

★ حصلت على ليسانس الآداب – قسم الصحافة من جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.

★ حصلت على درجة الماجستير في الإعلام، من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز عام ١٩٧٧ م.

★ تعد رسالة للحصول على الدكتوراه، في موضوع الإذاعة المرئية والثقافة العربية المعاصرة.

★ لها مجموعة من الدراسات والمقالات في مادة الإعلام العربي والعالمي نشرت في بعض المجلات العلمية والأدبية في مصر والكويت والعراق والجزائر.



محمود خيري

★ ولد بالقاهرة – جمهورية مصر العربية.

★ ماجستير ودكتوراه في الفلسفة، جامعة كيمبرج – إنجلترا.

★ عمل أستاذاً بجامعة القاهرة، ومديراً لمعهد الأرصاد الفلكية والجيوفيزيقية التابع لأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة (مرصد حلوان)، ومستشاراً علمياً بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجي بمصر.

★ يعمل حالياً أستاذاً للفلك الفيزيائي، ورئيس قسم العلوم الفلكية، بكلية العلوم، جامعة الملك عبد العزيز – جدة.

★ شارك في مؤتمرات الاتحاد الدولي الفلكي بسويسرا، دبلن، إنجلترا، بيركلي، بأمريكا وإيطاليا وفرنسا. كما شارك في مؤتمرات فلكية إقليمية في أمريكا واليونان والقاهرة.

★ قدم نحواً من أربعين بحثاً علمياً في فروع العلوم الفلكية المختلفة.

★ له كتاب «الشمس والحياة»، وكتاب «المريخ»، وترجم كتاب «الكواكب التسعة»، وكتاب «الزمن ووسائل قياسه».

★ أنشأ مرصد «القطامية» الكبير، والمرصد الشمسي، ومراصد الأقمار الصناعية والزلازل، والقبة الفلكية «بلانتيريوم» بمصر.

★ حاز على جائزة العلوم «شيب شانكس» من جامعة كيمبرج، وجائزة الدولة التشجيعية ووسام العلوم والفنون بمصر.

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يرودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- متحف لموجودات الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة .
- بحوث عن مدينة «فرسان» بالمملكة العربية السعودية .
- إقامة معرض لجماعة الرواد ببغداد .
- خزانة للنصوص والدراسات المسرحية تقام في المغرب .
- إعداد كتاب عن «الأحاديث القدسية» .
- الكتاب الجامعي في ندوة ستعقد في الجزائر .



- إقامة متحف إسلامي بمدينة طليطلة .
- موسوعة عن الأديبات في العالم ستصدر في إيطاليا .
- وفاة روائي فرنسي وقاصة إنجليزية .
- جائزة باسم ابن سينا .
- توزيع جوائز بوشنر ، ويوهان ، ومارسيل .

★ أبو عبد الرحمن ابن عقيل ★



★ إبراهيم عبد الله مفتاح ★



★ عبد القدوس الأنصاري ★

متحف لموجودات الحرم المكي

قررت **الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين** إقامة متحف لموجودات المسجد الحرام التي تم العثور عليها أثناء مشروع التوسعة للحرم المكي الشريف ، وغيرها من الآثار التي كان يزخر بها الحرم والكعبة المشرفة .

مسابقة أدبية

أعد **مكتب حائل لرعاية الشباب** مسابقة موسعة في الشعر والقصة القصيرة والمقال ، وقد حدد لكل مجال من تلك المجالات موضوعاً معيناً ، ففي مجال الشعر « المسجد الحرام يخاطب المسجد الأقصى » وذلك في أبيات لا تقل عن العشرين بيتاً ، وفي المقال « الموضوع حول واجب الشباب المسلم نحو تحديات العصر » ، وفي القصة « شيخ من الماضي يطل على الحاضر » . وقد اشترط المكتب شروطاً خاصة للمتسابقين .

التأليف المسرحي في مسابقة

أعلنت **عمادة شؤون الطلاب بجامعة الرياض** عن مسابقة **في التأليف المسرحي** وذلك بشروط معينة أهمها :

★ أن يكون النص المسرحي ـ شعراً ونثراً ـ ملتزماً الفصحى .

★ أن تعالج النصوص المسرحية المقدمة موضوعات إنسانية أو اجتماعية أو تتناول أحداثاً تاريخية ، وتتميز جميعها بأنها هادفة .

★ أن يكون المؤلف سعودياً .

★ ألا يكون النص قد سبق تمثيله ، وأن يكون خالياً من الشخصيات النسائية .

إلى غير ذلك من الشروط ، وقد رصدت للفائزين جوائز قيمة على أن آخر موعد هو غرة المحرم من عام ١٤٠٢ هـ .

الأصالة للثقافة والنشر

ذلك **هو اسم الدار أو المؤسسة الجديدة** التي تأسست حديثاً بالرياض ، فاهتماماً بالكتاب ونشره قام الأستاذ عبد العزيز التويجري بافتتاح تلك الدار لتساهم مع الدور الأخرى في هذا المجال ، وهي تحمل اسم « مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام بالرياض » .

بحث تاريخي عن فرسان

عن **تلك الجزيرة** التي **تقع في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية** سيقوم أحد شبابها الشاعر الأستاذ **(إبراهيم مفتاح) بإعداد بحث تاريخي** يتضمن **المراحل التاريخية** التي مرت بها الجزيرة ، مرتكزاً على أهم المصادر التي تتحدث عنها ، **كما سيقوم آخر ويدعى (علي محمد صيقل)** بدراسة عن **الفن الشعبي** في الجزيرة متحدثاً فيها عن الرقصات الشعبية ومصادرها ، وأغاني البحر أيام الغوص وصيد اللؤلؤ .

مركز ثقافي بشرورة

اهتماماً بالثقافة وسعياً لنشرها في أرجاء المملكة ، فقد أنشئ مركز ثقافي **بمدينة شرورة** ـ إحدى مدن المملكة العربية السعودية ـ على غرار أحدث المراكز الثقافية الحديثة حيث ضم ثلاث صالات للمحاضرات ، وقاعات للبحوث العلمية ، وخزائن للمكتبة ستزود بأحدث الكتب الثقافية والعلمية والأدبية وذلك بهدف نشر الوعي الثقافي وخدمة أبناء المنطقة .

معرض تشكيلي عالمي

أقيم في **صالة العرض العالمية للفنون التشكيلية بالرياض** معرض تشكيلي عالمي ضم أعمالا فنية لفنانين من جنسيات مختلفة من بينها أميركا وفرنسا إلى جانب أعمال الفنانين السعوديين .

* كتب جديدة *

● **« الشعر في البلاد السعودية في الغابر والحاضر »** ، دراسة أعدها **أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري** ، صدرت عن **دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام بالرياض** .

● **« الدين ضرورة حياة الإنسان »** ، تأليف **عبد الكريم الخطيب** ، صدر عن **دار الأصالة** .

● **« عتاب إلى البحر »** ، مجموعة شعرية للشاعر **إبراهيم عبد الله مفتاح** ، ستصدر عن **النادي الأدبي بجيزان** .

● « عاشق البدوية » ، قصة تأليف **نشار يحيى زكريا** ، صدرت عن **تهامة للنشر** .

● « **اللغة العربية بين القاعدة والمثال** » ، تأليف **أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري** ، صدر عن **نادي القصيم الأدبي** .

● « **ترانيم الرمال** » ، ديوان شعر للشاعر **عبد العزيز محمد النقيدان** ، صدر عن **نادي القصيم الأدبي** .

كما ستصدر الكتب التالية عن نفس النادي :

★ « **آراء في اللغة** » ، **لعبد القدوس الأنصاري** .

★ « **مدرسة أبولو في العصر الحديث** » ، تأليف **أحمد عبد الله اليحيى** .

★ « **نظرات نقدية في مبالغات الشعر العباسي** » ، تأليف **حسن الهويمل** .

★ « **شعر بني تميم قبل الإسلام** » ، تأليف **الدكتور عبد الحميد المعنى** .

★ « **الشعر الإسلامي في الجزيرة العربية بعد حركة الإصلاح الوهابية** » ، تأليف **صالح الوابل التويجري** .

كما ستصدر الكتب التالية عن **نادي جدة الأدبي** :

★ « **في دائرة الضوء** » ، تأليف **عبد الفتاح أبو مدين** .

★ « **شمعة على الدرب** » ، تأليف **الدكتور عارف قياسة** .

★ « **حصاد الأيام** » ، تأليف **محمود عارف** .

● « **الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام** » ، تأليف **الدكتورة نادية حسني صقر** ، صدر عن **دار الشروق بجدة** .

* كتب جديدة *

● « **البحث النحوي عند الأصوليين** » ، دراسة **للدكتور مصطفى جمال الدين** ، صدرت عن **دار الرشيد للنشر ببيروت** .

● « **عاشق أرتيريا** » ، **ديوان شعر للشاعر أحمد محمد سعد** ، صدر عن **دار الكنوز الأدبية ببيروت** .

● « **الخروج من دوائر الساعة السليمانية** » ، **مجموعة شعرية للدكتور عبد العزيز المقالح** ، صدرت عن **دار العودة ببيروت** .

● « **السجن كمؤسسة اجتماعية** ـ دراسة لآراء واتجاهات المسجونين » ، **للدكتور مصطفى عمر التير** ، صدرت ضمن سلسلة « **الدراسات الإنسانية** » عن **معهد الإنماء العربي ببيروت** .

● « **الرواية والواقع** » ، دراسة أعدها **محمد كامل الخطيب** ،

كلمة

عزلة المفكر العربي .. لماذا ؟

● **يعيش المفكر العربي شبه عزلة مستديمة .. بسبب محدودية التفاعل بينه وبين الأعمال « المتفوقة » التي تصدر عن « المطابع » صباح مساء في مختلف أنحاء العالم .**

● وليست هذه المشكلة قاصرة على **الوطن العربي** ، فحسب ، وإنما هي مشكلة عموم **الدول النامية** ، بحكم ضعف وسائل الاتصال الثقافي بينها وبين مصادر الثقافة الحقيقية في مختلف أنحاء العالم .

● ولعل المشكلة تظل موجودة حتى بالنسبة للدول المتقدمة في هذا العالم وإن لم تكن بنفس الحدة .. والإلحاح .

● ذلك أن « **المطبوع** » الذي يصدر في **نيويورك** هذا الشهر ، لا يتوقع تداوله ، في الوطن العربي قبل مرور عدة شهور .. في الوقت الذي يمكن للدول الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا وأميركا أن تحيط ، في مدة أقصر ، بكل ما صدر في العالم العربي ، سواء في شكل مطبوعات أو تقارير أو منشورات أو دوريات أو مصغرات فيلمية .. وذلك من خلال **المراكز العلمية** المبثوثة في كل مكان من هذا العالم ، والمسؤولة عن توفير مثل هذه الأعمال .. في أقرب وقت ممكن ، للباحث والدارس في الدول الكبرى .

● ونحن نعرف أن هناك وسائل عديدة ، تستخدمها **المكتبات العالمية ، ومراكز التوثيق** ، ومكتبات البحث في الدول المتقدمة ، لعل في مقدمتها .. **أدوات الضبط الببليوجرافي** التي يمكن أن تسهم في توفير المعلومات الوافية عن الإنتاج الفكري الصادر في بلد ما .. أو في منطقة ما .. خلال فترة زمنية معينة ، الأمر الذي لا يجعل الباحث أو الدارس في حيرة من أمره .. نتيجة جهله بما صدر في مجاله .. وما نشر في إطار تخصصه .. وما استجد من نظريات أو معلومات من شأنها أن تطور أبحاثه أو تجنبه بذل جهود مكررة يمكن صرفها على أعمال إبداعية أخرى .

● وتلعب **القوائم الموحدة .. والأدلة .. والكشافات** دوراً هاماً في هذا السبيل .. نظراً للخدمة الكبرى التي تقدمها للباحثين في كل مكان .

غير أن المشكلة تظل قائمة في **الدول النامية** .. فلا هي بالقادرة على التوسع في هذه الأعمال الهامة .. ولا هي بالمحيطة أساساً .. بما يصدر من مطبوعات أو معلومات .. نتيجة غياب عدة عناصر منها :

●● **أولا : عدم توفر وسائل الاتصالات السهلة لتبادل مثل هذه المعلومات** .. كاستخدام الميكنة في تخزين واسترجاع المعلومات .

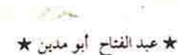
●● **ثانياً : ضعف البرامج التعاونية** .. أو على الأصح انعدامها حتى بين المراكز العلمية ، ومنها الجامعات في الوطن العربي .. فضلاً عن المكتبات الوطنية أو سواها .

ولذلك .. فإن العزلة تظل بمثابة حاجز حقيقي بين الباحثين في الوطن العربي .. وبين الإنتاج العلمي المتزايد والمتطور في آن واحد .. وهي عزلة لا يمكن التخلص منها إلا في ظل مزيد من التعاون بين المراكز العلمية والمكتبات في **العالم العربي** وبين مثيلاتها في **الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا** .. وسواها .

● **فنحن لا نستطيع أن نحقق حضوراً علمياً حقيقياً مع استمرار هذه العزلة ، بل ولا يمكن أن نتجاوز مرحلة المحاكاة والتقليد ما لم يفك عن عقولنا .. ومعارفنا هذا الحصار القاتل ، ونواجه عصر « انفجار المعلومات » بكل ما يوجبه علينا من معايشة .. وتفاعل كاملين .**

هاشم عبده هاشم





★ نعمان عاشور ★ ★ محمود عارف ★ ★ عبد الفتاح أبو مدين ★

صدرت ضمن سلسلة «النقد الأدبي» التي تصدر عن دار الحداثة.

● «المجتمع المثالي في فكر جبران ونعيمه»، دراسة نعوم أبو جودة، صدرت عن دار الفكر اللبناني.

● «حزن حتى الموت»، مجموعة قصصية تأليف فاضل السباعي، صدرت الطبعة الثانية منها عن الأهلية للنشر والتوزيع.

● «إخوان الصفا ــ درس، عرض، تحليل»، دراسة للدكتور عمر فروخ، صدرت في كتاب عن دار الكتاب العربي ببيروت.

● «هموم المثقفين»، تأليف الدكتور زكي نجيب محمود، صدر عن دار الشروق ببيروت.

● «اللجنة»، رواية لصنع الله إبراهيم، صدرت عن دار الكلمة ببيروت.

● «آراء نقدية في مشكلات الدين والفلسفة والمنطق»، مجموعة دراسات للدكتور مهدي فضل الله، صدرت في كتاب عن دار الأندلس ببيروت.

● «اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري»، دراسة أعدها قحطان رشيد التميمي، صدرت في كتاب عن دار المسيرة بالتعاون مع جامعة بغداد.

● «معركة ذي قار»، مسرحية لمحمود سعيد، صدرت عن دار المسيرة.

● «السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط ١٩٥٥ ــ ١٩٧٥ م»، تأليف هيلين كارير دانكوس، ترجمة عبد الله إسكندر، صدر عن دار الكلمة ببيروت.

● «الحلزون العنيد»، رواية، تأليف رشيد بو جدرة، صدرت عن دار ابن رشد ببيروت.

● «مختصر الترغيب والترهيب»، تأليف الإمام المنذري، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، صدر عن مؤسسة الرسالة للطبع والنشر ببيروت.

الزاوية الطبية



طرق جديدة لمعالجة مرضى الصرع

الصرع مرض خطير وقديم شغل المرضى والأطباء على مدى العصور وعرفه الأطباء العرب ووصفوا أعراضه، وفي العصر الحديث كان المتبع أن يعطى مريض الصرع عدة أدوية لعلاجه، وخاصة للتمكن من التغلب على **النوبات الصرعية**، وتقليل عددها وإراحة المريض بشكل عام، ولكن المشكلة أن هذه الأدوية جميعها لها مضاعفات سيئة منها التأثير على مقدرة المريض العقلية وما يسمى **التأثير النفسي الحركي**.

والجديد هنا هو اتباع طريقة مستحدثة لإعطاء مرضى الصرع علاجاً واحداً في نفس الوقت بدلا من علاجات عدة حسب البرنامج العلاجي التالي:

● **العلاج للسنة الأولى** حيث يعطى المريض فيها عدة علاجات لكي يستطيع الأطباء السيطرة على حدة المرض، وتقليل عدد النوبات الصرعية وتهدئة المريض. وتؤخذ أثناء هذه السنة عينات من دم المريض لفحص تركيز كل دواء على حدة في الدم، وتقارن هذه النتائج مع تحسن المريض وقلة عدد النوبات.

● **فترة التحول لدواء واحد**: وتستغرق حوالي ثلاثة أشهر كمرحلة انتقالية حيث تقلص فيها أعداد الأدوية المعطاة إلى مريض الصرع لدواء واحد حسب نتيجة فحص تركيزه في الدم بالفترة العلاجية الأولى، ومقارنته بتحسن حالة المريض. وتجري مراقبة المريض تماماً في هذه الفترة، فإذا حصلت نوبة صرعية تُزاد جرعة الدواء، فإذا استمرت النوبة

● «ثلاث رسائل في اللغة»، **تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد**، وهي رسائل لابن جني وأبي العلاء المعري، وابن الخيمي، **جمعت في كتاب واحد**، صدر عن **دار الكتاب الجديد للنشر ببيروت**.

مصـــــر

* كتب جديدة *

صدرت الكتب التالية عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب**:

★ «**المدن الحجازية**»، تأليف **الدكتور عمر الفاروق السيد رجب**.

★ «**صفحات درامية من تاريخ الجبرتي**»، تأليف **نعمان عاشور**.

★ «**القوى الاجتماعية في الثورة العرابية**»، تأليف **الدكتورة لطيفة محمد سالم**.

● «**عمار يا مصر**»، **مجموعة قصص قصيرة للدكتور طه وادي**، صدرت في **القاهرة**.

● «**الشعر الحر والمسرح**»، تأليف **الدكتور عبد القادر القط**، صدر في **القاهرة**.

● «**أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي**»، تأليف **أحمد عبد الوهاب**، صدر عن **مكتبة وهبة للطباعة والنشر بالقاهرة**.

وأصبحت تشكل خطراً على حياة المريض يُعطى أكثر من دواء للسيطرة على النوبات العصبية.

وقد وجد بالتجارب أن عدد المرضى الذين يلجأ الأطباء (مضطرين) لتعداد أدويتهم هم حوالي ٢٨٪ فقط من عدد المرضى الخاضعين لطريقة العلاج، وفي حالات كثير منهم كان السبب في انقطاع فترة تقليص عدد الأدوية يرجع إلى صعوبة مراقبتهم وعلاجهم فور تجدد النوبات.

وأخيراً فترة سنة علاج بدواء واحد: وفيها يستقر المريض على علاج واحد طبقاً لأحسن تركيز دوائي في الدم ومقدار جرعته ثابتة، فإذا استمر النجاح متمثلاً في انقطاع النوبات الصرعية عن المريض يواصل إعطاؤه العلاج الواحد وإلا فإذا تكررت النوبات يفكر جدياً في إرجاعه لتعدد الأدوية.

والنتيجة العامة أنه لوحظ على مرضى الصرع الذين عولجوا بدواء واحد أنهم تمتعوا فيما بعد بمقدرة عقلية جيدة، وعدم وجود صعوبات نفسية مركبة، كما قلّت المضاعفات الكثيرة لتعدد الأدوية المنومة وغيرها المستعملة لمرضى الصرع.

د. عصام غنيم



وفاة صلاح عبد الصبور

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر العربي المصري المعروف صلاح عبد الصبور على إثر نوبة مفاجئة نقل خلالها إلى أحد مستشفيات القاهرة حيث توفي، وتم تشييع جنازته من قبل عدد كبير من الأدباء والشعراء إلى جانب أهله وأصدقائه، وقراء شعره.

وقد توفي صلاح عبد الصبور وهو في الخمسين من عمره تقريباً قضاه في البحث والدرس والإبداع والعمل حيث استطاع أن يكون لأدبه جمهوراً عريضاً من القراء في العالم العربي.

وقد تولى الشاعر أثناء حياته عدداً من الأعمال الإدارية والفكرية، كما عمل في عدد من المؤسسات الصحفية مثل روز اليوسف، والأهرام، كما عمل مدرّساً للغة العربية في بداية حياته، وملحقاً ثقافياً لبلاده في الهند، وكان آخر عمل تولاه في حياته رئاسة «الهيئة المصرية العامة للكتاب».

وكان خلال عمله معطاء في الجانب الإبداعي شعراً ونثراً، دراسة ونقداً، ومن أبرز أعماله «مأساة الحلاج»، و«مسافر الليل»، و«الناس في بلادي» «أقول لكم»، «أحلام الفارس القديم»، «تأملات في زمن جريح».. وقد ترجمت بعض أعماله إلى بعض اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، واليابانية، والروسية، والهندية.

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته، وألهم أهله وذويه وقراء أدبه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



المغرب

خزانة للنصوص والدراسات المسرحية

قررت **جمعية المسرح الوطني بالمغرب** افتتاح **خزانة ثقافية** تضم النصوص والدراسات المسرحية ، وذلك بهدف خدمة الباحثين والمؤلفين والنقاد ، لدعم البحث العلمي وإذكاء روح الإبداع في ميدان التأليف المسرحي ، ولذلك فقد وجهت الرسائل إلى عدد كبير من المؤسسات الثقافية ودور النشر العربية لتزويدها بما يتوفر لديها من مصادر ومراجع علمية لدعم هذا المشروع .

الجزائر

ندوة حول الكتاب الجامعي

ستعقد في الجزائر خلال شهر محرم القادم ١٤٠٢ هـ ، نوفمبر (تشرين الثاني) ندوة يدور موضوعها الرئيسي حول **الكتاب الجامعي العلمي المعرب** ، تستمر أربعة أيام . سيبحث المشاركون في هذه الندوة أموراً تتعلق بإصدار الكتاب العربي المعرَّب ، والسبل اللازمة لتوسيع التعريب العلمي في الوطن العربي ، والإجراءات القانونية لحماية حقوق التأليف والاتفاقات الدولية ، كما ستناقش أموراً تتعلق بقضايا الترجمة العلمية للمؤلفات والإصدارات العربية بمجالات الطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات ، والسبل اللازمة لتوسيع توزيعها في المكتبات العربية .

العراق

معرض لجماعة الرواد

أقيم في **قاعة المتحف الوطني للفن الحديث ببغداد** المعرض الرابع والعشرون لجماعة « الروّاد » التي تضم أوائل الفنانين التشكيليين في العراق والتي تأسست عام ١٩٥٠ م ، منهم **إسماعيل الشيخلي ، خالد القصاب ، نوري الراوي ، تركي عبد الأمير** وغيرهم ، وقد عرض فيه ثلاثة وستون عملاً ، استلهمه الفنانون من الواقع وعبَّروا عنه باتجاهات مختلفة .

مجلة الثقافة الأجنبية

صدرت عن **دار الجاحظ للنشر ببغداد** مجلّة جديدة تحمل اسم **(الثقافة الأجنبية)** وهي مجلة فصلية تعنى بشؤون الأدب في العالم ، وتتناول أيضاً دراسات في الفن والفلسفة وكذلك الموضوعات التي لها علاقة بثقافة الأديب ، وتتألف مادتها من ترجمات لدراسات وأبحاث وأعمال أدبية من مختلف لغات العالم ، وقد صدر منها حتى الآن ثلاثة أعداد . ومن المعروف بأنها ليست المجلة الوحيدة التي تصدر عن هذه الدار ، فقد صدر قبلها بفترة تزيد على الست سنوات مجلة **(الطليعة الأدبية)** التي تعنى بأدب الشباب .

إعادة كتابة التاريخ العربي

عقدت في بغداد ، بقاعة ساطع الحصري **بالمتحف الوطني العراقي** ، ندوة تحت شعار « **نحو رؤية جديدة للتاريخ العربي** » نوقشت فيها عشرة بحوث متخصصة ، وقد حضرها مجموعة من المفكرين والمختصين ، وكان الهدف الرئيسي من تلك الندوة تصحيح المعرفة التاريخية الشائعة بما يخدم أهداف الأمة ومستقبلها الحضاري .

* كتب جديدة *

- « **تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي** » ، دراسة **للدكتور عبد الجبار ناجي** ، صدرت ضمن سلسلة « **الموسوعة الصغيرة** » التي تصدر في بغداد وتحمل الرقم (٨٥) .
- « **الفن التشكيلي في دول الخليج** » ، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام العراقية** .
- « **ليلى والذئب** » ، رواية تأليف **عالية ممدوح** ، صدرت عن **دار الحرية ببغداد** .
- « **النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين** » ، دراسة **للدكتور حازم عبد الله خضر** ، صدرت في كتاب ببغداد .
- « **من فولكلور الخليج والجزيرة العربية** » ، إعداد **ظمياء كاظم الكاظمي** ، صدر عن **مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة** .
- « **القبائل العربية في المشرق** » ، تأليف **الدكتور ناجي حسن** ، صدر عن **اتحاد المؤرخين العرب ببغداد** .



★ د. عبد العزيز المقالح ★

سورية

❋ كتب جديدة ❋

● «الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث»، تأليف **بيار داكو**، ترجمة **وجيه أسعد**، صدر القسم الأول عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق**.

فلسطين

❋ كتب جديدة ❋

● «**خليل السكاكيني ـ حياته، مواقفه وآثاره**»، دراسة أعدها **يوسف أيوب حداد**، صدرت عن **الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين**.

● «**منذ جلعاد كان يصعد الجبل**»، مجموعة شعرية للشاعر **أمجد ناصر**، صدرت عن **الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين**.

الأردن

❋ كتب جديدة ❋

● «**البيت القديم**»، مجموعة قصص قصيرة للقاص **يوسف الغزو**، صدرت ضمن منشورات **رابطة الكتّاب الأردنيين**.

● «**انعكاسات الأيام العصيبة**»، مجموعة قصصية تأليف **محمد جبريل**، صدرت عن **مطبوعات الوطن بعمان**.

● «**عيون على الأردن**»، كتاب جمع مادته وأشرف عليه **شحادة أبو بقر العبادي**، صدر عن **مطابع الدستور**.

صورة وتعليق

السنة الدولية للمعوقين

١٩٨١



★ إذا كان للأطفال المعاقين أن يعيشوا حياة سعيدة ومنتجة قدر الامكان، فعلى المجتمع أن يركز اهتمامه على ما يمكنهم القيام به لا على ما لا يمكنهم القيام به ★

الإمارات العربية

الغد

ذلك **هو عنوان المجلة الجديدة** التي قرر **النادي الثقافي بالشارقة** إصدارها لتكون الصوت الحقيقي له ، ولتنقل أخباره ونشاطاته بخلاف ما ستتضمنه من نشاطات وأخبار أخرى .

كتاب عن الحلقة الدراسية الرابعة

سيصدر **مركز الوثائق والدراسات** بأبو ظبي **كتاباً عن الحلقة الدراسية الرابعة** للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية التي عقدت في (أبو ظبي) خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٧٩ م ، وسيضم الكتاب عدداً من الأبحاث والموضوعات العلمية والتاريخية والوثائقية الهامة التي تفيد الدارسين والباحثين والمهتمين بتاريخ المنطقة ، والتطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بها منذ أقدم العصور ، كما سيشتمل على دراسات عن أدب منطقة الخليج وأثرها في خلق الوعي العام بأوضاع المنطقة ، والدعوة لكتابة تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية من خلال الوثائق والمخطوطات التي تضمها مراكز الوثائق الخليجية .

كتاب عن الأحاديث القدسية

أعد **الدكتور عز الدين إبراهيم ، مدير جامعة الإمارات ، بالاشتراك مع** المستشرق « **دنيس جونسون ديفيز** » **كتاباً عن الأحاديث القدسية** وذلك تحت عنوان « **الأربعون القدسية** » مع ترجمة لمعانيها باللغة الإنجليزية ، كما سيضم دراسة مختصرة لمعاني الحديث القدسي ومصادره وكتبه والموضوعات التي يدور حولها .



معرض للكتاب الإسلامي

أقيم في (**المنامة**) بالبحرين **معرض للكتاب الإسلامي** وذلك تحت إشراف **جمعية الإصلاح الدينية البحرينية** ، وقد اشترك فيه عدد من دور النشر والمكتبات العربية والإسلامية .

نافذة

تشجيع البحث العلمي

في نهاية عام ١٣٩٤ هـ ؛ [illegible] **مؤتمر رسالة الجامعة** في رحاب **جامعة الرياض** . ولقد كان لذلك المؤتمر صدى كبيراً في المجتمع وتجاوباً طيباً في المجال الأكاديمي ، وقد خرج المؤتمر بتوصيات رائدة وجيدة بعد مناقشات منطقية وأبحاث جادة . وتتعلق تلك التوصيات بوظائف **الجامعة السعودية** ، بالمناهج وطرق التعليم الجامعي والتوسع فيه ، بالإضافة إلى توضيح **العلاقات بين الجامعة والمجتمع** ، وطرق الاستفادة من الخبرات الجامعية ، والإفادة من المؤتمرات الإسلامية والعلمية ، وتشجيع نشر التراث الإسلامي ، والتركيز على الثقافة الإسلامية وتطوير تدريسها بكل الوسائل ، ونشر الكتب العلمية والثقافية المبسطة لنشر الثقافة العامة في المجتمع السعودي ، تحقيق التراث بشتى أنواعه وتدعيم التعريف برجالات الإسلام والموسوعات الإسلامية . كما بحث المؤتمر **تدعيم الدراسات الحربية** ، والاهتمام بدراسة السيرة النبوية والغزوات والمعارك الإسلامية ، وأهم المواقع الحربية في تاريخ الإسلام ، وإذكاء روح الجهاد في سبيل الله تعالى . وأوصى المؤتمر بتنمية القوى البشرية في مجال التعليم والنواحي الاجتماعية بالإضافة إلى التنمية الاقتصادية والإدارية .

وقد أوصى المؤتمر بأن تنشأ هيئة مركزية لوضع السياسة العامة لتنظيم وتمويل البحوث المختلفة وربطها بخطة التنمية بالدولة والتنسيق والتعاون بين جهات البحث المختلفة والجهات المستفيدة منه ، وأن يوجد نظام لتشجيع الأبحاث والباحثين ، وأن يعمل على **استكمال إنشاء الدراسات العليا في جامعات المملكة** وبخاصة **في مجال العلم والتكنولوجيا** ، وأن يعزز ويدعم دور الجامعة في خدمة المجال العلمي للمجتمع .

ويهمنا في هذا المقال أن نستعرض ما تمخض عنه ذلك المؤتمر بالنسبة لتشجيع **البحث العلمي** . لقد كان أهم نقطة تحول في موضوع البحث العلمي هو إنشاء « **المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا** » ، برئاسة **الأستاذ الدكتور رضا عبيد** ، وهو من الكفاءات العلمية الممتازة بالمملكة العربية السعودية . وقد صدر المرسوم الملكي بالمصادقة على نظام المركز في ١٣٩٨/١٢/١٨ هـ ، ويقوم المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا بدعم وتشجيع البحث العلمي للأغراض التطبيقية ، مع تنسيق لنشاطات مراكز ومؤسسات

* كتب جديدة *

- « **البحرين على طريق التقدم** » ، دراسة من إعداد **مكتب الخليج للعلاقات العامة** ، صدرت عن **وزارة الإعلام البحرينية** .
- « **الأمثال الشعبية في دول الخليج العربي** » ، إعداد **محمد علي الناصري** ، صدر **الجزء الأول في البحرين** .

البحوث العلمية وربطها بخطة ومتطلبات التنمية في المملكة .

ويمكن تلخيص أغراض المركز واختصاصاته بإيجاز شديد في النقاط التالية :

١ ــ أن يعنى المركز **ببرامج البحوث العلمية** ذات الأغراض التطبيقية لخدمة أغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمملكة .

٢ ــ أن يكون هناك **مركز معلومات** عن القوى العاملة في حقول العلوم والتكنولوجيا في المملكة تحت إدارة المركز للاستفادة منه في تنفيذ سياسة التطوير العلمي والتكنولوجي .

٣ ــ أن ينشئ المركز ويدير **مختبرات للبحوث العلمية التطبيقية** المهمة للمملكة .

٤ ــ أن يساعد المركز **القطاع الخاص** في تطوير أبحاث المنتجات الصناعية والزراعية ذات المساس بزيادة الدخل القومي .

٥ ــ أن يدعم المركز **برنامج الأبحاث المشتركة** بين المملكة والمؤسسات العلمية الدولية للمساهمة في التطور العلمي العالمي .

٦ ــ أن ينظم المركز ويدير مركزاً للمعلومات عن المؤسسات العلمية في الداخل والخارج ، بالإضافة إلى نشاطاتها العلمية المختلفة .

٧ ــ أن يقترح المركز **خطة البحث العلمي** لتحقيق أهداف المملكة في تحقيق التقدم العلمي .

٨ ــ أن يقدم المركز **منحاً دراسية** لتنمية المهارات للقيام بالبحوث العلمية .

٩ ــ أن يقدم المركز **منحاً للأفراد** والمؤسسات العلمية للقيام ببحوث علمية تطبيقية .

١٠ ــ أن ينسق المركز مع الأجهزة الحكومية والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث ، سير البحوث وعدم ازدواجيتها ، بالإضافة إلى القيام **بتيسير تبادل الخبرات والمعلومات** بين الأجهزة والمؤسسات والمراكز المعنية بالبحث العلمي .

إن إنشاء المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا كان ضرورة حتمية في هذه المرحلة من تاريخ التطور **والتنمية في المملكة العربية السعودية .** فالمملكة قد سعت وتسعى جاهدة إلى تنويع مصادر الدخل وتنمية الموارد البشرية ، وتشجيع البحث العلمي والتطبيقي لإيجاد الخبرات الوطنية عصر ما بعد البترول .

إن المطلوب من المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا أن يساعد في تطوير ودعم البحث العلمي وإيجاد الحوافز في داخل الجامعات وخارجها . وأعتقد أن المركز الوطني قد قام بجهود قيمة في هذا المجال ، ولعل المستقبل يحمل كثيراً من الآمال الباسمة لتشجيع البحث العلمي .

كما أن المركز قام بالتعاقد مع إحدى المؤسسات الكبيرة لعمل مركز للمعلومات بطريقة **الحاسب الآلي** ، لتسهيل مهمة الباحثين عند البحث عن مصادر ومراجع أبحاثهم المختلفة . وقد وزع المركز بطاقات مختلفة على الجامعات والمؤسسات والأفراد لحصر المعلومات المختلفة عن القوى العاملة في حقول العلم والتكنولوجيا .

وقد ساعد المركز في **إنشاء مختبرات للبحوث التطبيقية** المهمة مثل مختبرات **الطاقة الشمسية** واستغلالها في **جامعة الرياض أو جامعة الملك عبد العزيز وجامعة البترول والمعادن .**

وقدم المركز منحاً مادية للمساعدة في القيام ببحوث علمية وتطبيقية في عام ١٤٠٠ هـ .

ويسعى المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا إلى تنسيق البحوث مع المؤسسات العلمية والأجهزة الحكومية ومراكز البحوث في داخل الجامعات وخارجها . كما أن المركز قد أوجد مجموعات عمل لدراسة الأبحاث المقترحة وتقديم الأفكار والآراء والمقترحات التي تساعد وتشجع البحث العلمي والتطبيقي .

أما تشجيع البحث العلمي على مستوى الجامعات فلا زال في مراحله الأولى . فبالرغم من أن أغلب جامعات المملكة قد أنشأت مراكزاً للبحوث إلا أنها لا تزال في المراحل الأولى أو في طور التجريب والإنشاء .

إن تشجيع البحث العلمي في الجامعات ينبغي أن يتم :

أولا ــ بتشجيع أعضاء هيئة التدريس على إجراء البحوث وذلك بتخفيض نصاب عضو هيئة التدريس وإيجاد الحوافز المادية لهم .

ثانياً ــ أن يشجع أعضاء هيئة التدريس على حضور المؤتمرات العلمية وزيارة المراكز العلمية للبحوث في الجامعات والمعاهد العالمية .

ثالثاً ــ زيادة الاعتمادات المخصصة للبحث العلمي .

رابعاً ــ استكمال إنشاء الدراسات العليا في الجامعات وخاصة في مجالات العلم والتكنولوجيا .

والله نسأل أن يوفق المسؤولين في الجامعات والمؤسسات العلمية والمركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا لإيجاد ما من شأنه رفع مستوى بلادنا العلمي والحضاري ، والله من وراء القصد .

د . أحمد عبد القادر المهندس

الكويت

الحضارة الإسلامية

إحياء **للتاريخ الإسلامي** وإبرازاً للوجه الحضاري للمنطقة ، تستعد **مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك** التي تتخذ من الكويت مقراً لها ، **لإنتاج سلسلة جديدة** تحمل عنوان « **سلسلة الحضارة الإسلامية العربية** » ، وسيتم إنتاج الحلقة التجريبية في أول سبتمبر (أيلول) من هذا العام ١٩٨١ م .

* كتب جديدة *

● « **دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية** » ، دراسة **للدكتور علي خليفة الكواري** ، صدرت ضمن سلسلة « **عالم المعرفة** » .

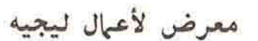
فرنسي ولد عام ١٨٨١ م ، وتوفي عام ١٩٥٥ م ، ويتبع **المدرسة التكعيبية** في الرسم .

جائزة مارسيل بروست للرواية

منحت **جائزة** « **مارسيل بروست** » العاشرة للرواية للناقد الأدبي لصحيفة « **لوماتن** » الفرنسية (**انجيلو رينالدي**) وذلك عن روايته الخامسة « **آخر أعياد الإمبراطورية** » ، وكان انجيلو قد حصل على **جائزة** (**فيينا**) عام ١٩٧١ م ، عن روايته الثانية « **منزل على الأطلنطي** » .

وفاة إميل آجار

توفي عن (٨٠) عاماً **الروائي الفرنسي** « **إميل آجار** » ، الذي كان يكتب دائماً تحت أسماء مستعارة ، وقد ذاعت شهرته بعد تحويل روايته « **الحياة أمامنا** » إلى فيلم سينمائي . من أشهر أعماله « **الملك سليمان** » .



معرض لأعمال ليجيه

احتفلت الأوساط الفنية الفرنسية بمرور مائة عام على مولد **الرسام الفرنسي** « **فرناند ليجيه** » وذلك بإقامة معرض لأهم أعماله ، فضم الأعمال التي رسمها الفنان في الفترة من سنة ١٩٢٨ م ، إلى سنة ١٩٣٤ م ، ومن بينها لوحة « **الغطاسين** » . والمعروف أن (ليجيه) رسام





صنعت **شركة** (**مولينكس**) مكواة صغيرة تشبه آلات الكي الكبيرة ، وأبعادها ٣١ × ٥٤ سم فقط ، وهي **تعمل بواسطة الضغط والبخار الساخن** ويتحرك الجزء العلوي منها إلى اليسار واليمين ، ولها وعاء يوضع فيه الماء ، ويتم تسخينه كهربائياً في أقل من خمس دقائق ، ويتحول إلى بخار يمر من مسام القماش أثناء عملية الكي .

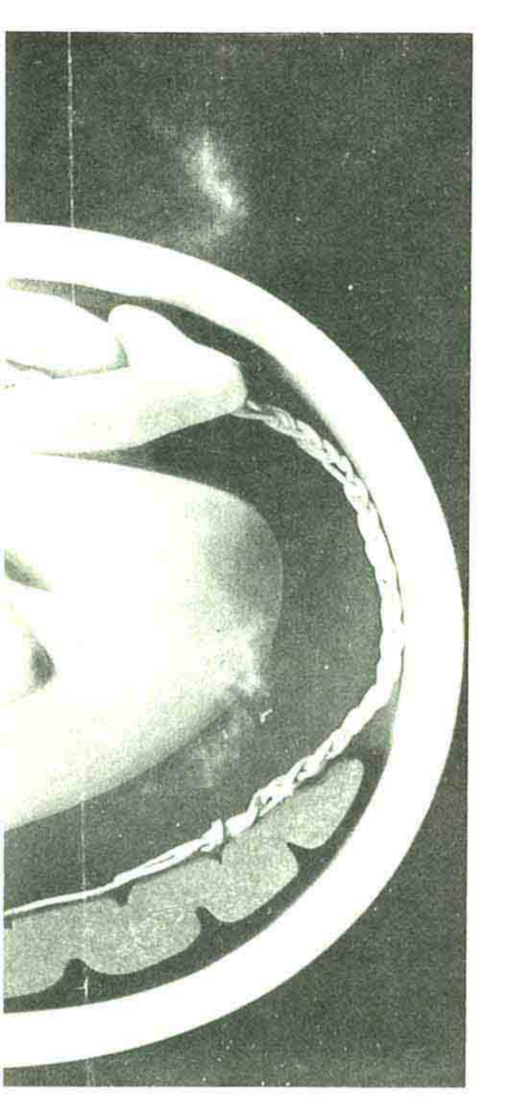
والمكواة مجهزة بصمامين حراريين لضبط حرارة الكي حسب نوع القماش . ومن ميزاتها توفير الوقت عن طريق الكي السريع ، وخاصة بالنسبة للملابس البيضاء والشراشف وأغطية السرير والبناطيل وغيرها من الثياب ذات الخطوط المستقيمة .

● معالجة الجنين قبل الولادة ●

« **ابريل مورفي** » فتاة أميريكية في السابعة من عمرها . وباستثناء القيود المفروضة على كمية البروتين التي يسمح لها بتناولها ، فإنها تعيش حياة اعتيادية متناسبة مع سنها . لكن قبل ولادتها ، وعندما كانت تسبح في بطن أمها ، تبين للأطباء أنها مصابة بمرض وراثي نادر قد يؤدي إلى وفاتها ــ كما حدث لأختها بعد (١١) أسبوعاً من ولادتها ــ أو يحولها إلى **إنسان معوق** .

وتعتبر ابريل مورفي أول طفل يُعالج قبل الولادة نتيجة أمراض وراثية . ما كان ذلك ليتم لولا المستوى الرفيع الذي وصلت إليه « **الهندسة الطبية** » . فبمقدور الأطباء الآن التقاط صور تلفزيونية أو إجراء مسح فوق صوتي للجنين بشكل مستقل عن أمه تماماً ، كما يمكن أخذ عينات من دم الجنين بواسطة إبر خاصة تمر عبر بطن الأم ، كما يتم طرح السوائل الضارة المتراكمة في جسم الجنين بواسطة إبر غيرها .

بمساعدة هذه الوسائل أصبح بمقدور الأطباء التحقق من صحة الجنين ، أو مرضه ، وهو في رحم أمه ، ومعالجته طبقاً للنتائج . تبين الصورة لقطة تلفزيونية لجنين عمره خمسة أشهر .







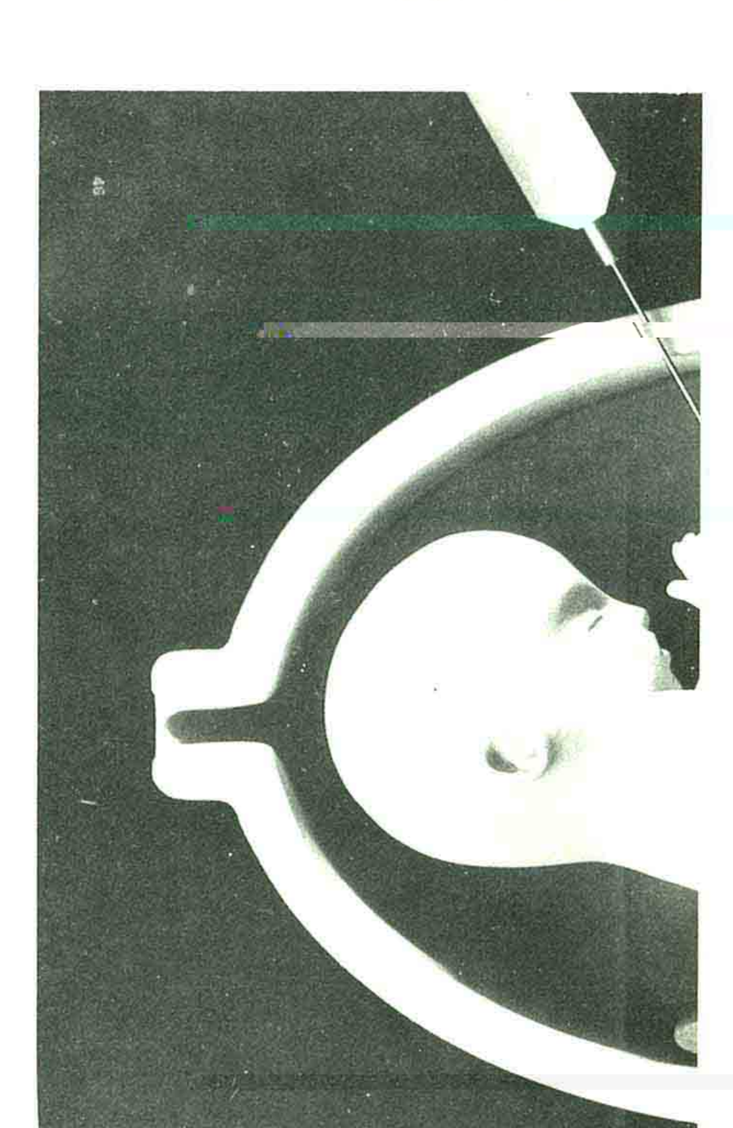
★ أدونيس ★ ★ عبد الحليم رضوي ★

★ أحدث الكتب ★

● «**دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة**»، صدر في **باريس**.

● «**عادات وتقاليد الطبقة الوسطى**»، تأليف **فيليب بيرو**، صدر في **باريس**.

● «**انهيار أهل الفكر**»، دراسة أعدها **إدجار موران**، صدرت في كتاب **بباريس**.



● «**بداية التحليل النفسي في فرنسا**»، تأليف **جان بيير فورويه**، صدر في **باريس**.

● «**مختارات إفريقية**»، جمعه **جاك شفرييه**، صدر عن **دار هايتيه الفرنسية**.

● «**خطاب مفتوح إلى الصفوة في العالم الثالث**»، تأليف **أحمد بابا مسك**، صدر عن **دار النشر لوسيكومور**.

● «**سجلات الثورة الجزائرية**»، تأليف **محمد حربي**، صدر عن **دار النشر جون فريك بباريس**.

● «**مختارات إفريقية**»، كتاب جمع مادته **جاك شفرييه**، صدر عن **دار النشر هايتيه بباريس**.

● «**التحولات والهجرة في أقاليم الليل والنهار**»، تأليف **الشاعر أدونيس**، **ترجمه** إلى الفرنسية **الشاعر صلاح سنية**، صدر في **باريس**.

متحف إسلامي

تفكر **جمعية الصداقة السعودية ـ الإسبانية** بمدريد في إقامة (**متحف عربي إسلامي**) بطليطلة ليحوي العديد من الروائع الفنية والأثرية والشعبية التي تبرهن للعالم مدى تطور التذوق الجمالي والإنساني لدى الشعوب العربية والإسلامية في هذا المجال، والهدف الأساسي من هذه الفكرة نقل صورة واضحة عن تطور الإنسان العربي المسلم في مختلف مظاهر الحياة.

معرض للرضوي بمدريد

أقام **الفنان التشكيلي السعودي عبد الحليم رضوي** معرضه الفني رقم (٣٩) **بجي الكركوم بمدريد** استغرق ثلاثة أيام، عرض فيه (٢٢) لوحة فنية أغلبها بالألوان الفنية، وقد حضره عدد من الفنانين والمفكرين والكتّاب المهتمين بالشؤون العربية والإسلامية، وكانت تلك اللوحات **تعكس جانباً من الحياة السعودية المتطورة**.

وفاة باميلا جونسون

توفيت عن (٦٩) عاماً **القاصة البريطانية** «**باميلا هاتزفورد جونسون**» والمعروفة باسم «**ليدي سنود**»، وقد بدأت حياتها الأدبية شاعرة حيث فازت عام ١٩٢٢م، بجائزة الشعر، وبعد عام أصدرت كتاباً بعنوان «**السيمفونية الكاملة**»، وصدرت أول قصة طويلة لها عام ١٩٢٥م، بعنوان «**هذا المقعد الذي أبغيه**»، ثم أصدرت «**أغلى من أن يكون من ممتلكاتي**» عام ١٩٤٠م، ويرجع إليه

الفضل في شهرتها ، ثم أصدرت عام ١٩٤٧م ، دراسة نقدية عن (**توماس وولف**) وتعتبر أول دراسة عن القاص الأمريكي وولف يقوم بها واحد من خارج الولايات المتحدة الأمريكية .

إيطاليا

موسوعة عن الأديبات

تستعد ثلاث دور نشر إيطالية لإصدار أول موسوعة من نوعها عن الأديبات ، وستتناول هذه الموسوعة (٤٣٣) كاتبة وشاعرة عالمية ، شارك في إعدادها أكثر من (٤٠٠) باحثة وكاتبة أوروبية وأمريكية ، وقد أعلنت دور النشر بأن هذه الموسوعة ستعرض في الأسواق في نهاية هذا العام **بأربع لغات عالمية** .

روافد الثقافة في العصر الحديث

ذلك **هو عنوان الندوة الثقافية** التي عقدت في (**روما**) نوقشت فيها أبحاث مختلفة في تكنولوجيا الثقافة في عصر وسائل الاتصال الاجتماعي ، أعدت من قبل المختصين في شؤون الثقافة والإعلام في مجموعة الدول الأوروبية ، وقد استمرت عشرة أيام .

التوحيد في الإسلام والمسيحية

ذلك **هو عنوان الندوة التي ستعقد في** (**روما**) في منتصف شهر اكتوبر (تشرين الأول) من هذا العام ١٩٨١م ، وذلك تحت إشراف وتنظيم « **منظمة التقدم الدولية** » التي تتخذ من (**فيينا**) **مقراً لها** . وتهدف الندوة التي ستستغرق ثلاثة أيام ، إلى المشاركة في إيجاد تفاهم أفضل بين الديانتين ، وستتركز المناقشات والدراسات في هذه الندوة حول التفسيرات والمظاهر الاجتماعية الموجودة في الإسلام والمسيحية عن وحدانية الخالق ، هذا وسيحضرها ممثلون عن منظمة المؤتمر الإسلامي واليونسكو وعدد كبير من المهتمين .

أمريكا

إعادة اكتشاف رودان

ذلك ما أطلقه النقاد على أكبر معرض أقيم لفنان من القرن التاسع عشر الذي افتتح في « **متحف الفن القومي** » بواشنطن لأعمال الفنان الفرنسي (**أوغست رودان**) ، وقد ضم المعرض (٤٠٠) قطعة فنية ما بين لوحات وصور فوتوغرافية ، وقد تم جمع أعماله الفنية من جميع أنحاء العالم وخاصة من متحف (رودان) بباريس ، والمعروف أن (رودان) توفي عام ١٩١٧م ، واشتهر بتمثاله « **المقعد والأعمى** » .

* أحدث الكتب *

● « **المخلوقات الغريبة في فكر وفن القرون الوسطى** » ، دراسة من إعداد **جون بلوك فيرمان** ، صدرت في **نيويورك** .

ألمانيا

جائزتا بوشنر ويوهان

فاز **الكاتب الألماني** « **مارتن فقلسر** » بجائزة (**بوشنر**) ومقدارها ٢٠ ألف مارك ألماني وذلك تقديراً لأعماله الأدبية ، وتمنح هذه الجائزة منذ عام ١٩٢٣م ، باسم الكاتب الألماني الراحل بوشنر .

كما فازت **الكاتبة** « **هلذا شبيل** » بجائزة النقد ومقدارها ١٠٠ ألف مارك ألماني وتسمى **بجائزة** (**يوهان ــ هايزيش ميرك**) ، وذلك تقديراً لأعمالها الأدبية ، وستسلم هذه الجوائز في شهر اكتوبر (تشرين الأول) من قبل الأكاديمية الألمانية .



جائزة باسم « ابن سينا »

أنشأت وكالة أنباء « **نوفوستي** » السوفياتية **جائزة سنوية** باسم **العالم العربي** « **ابن سينا** » تعطى في أوائل أيلول (سبتمبر) من كل عام لمواطن سوفياتي أو آسيوي أو إفريقي يكون **قد أنجز أفضل المؤلفات في مجال الأدب والصحافة والعلوم الاجتماعية** ، وتدعو للسلام والصداقة بين شعوب آسيا وإفريقيا والاتحاد السوفياتي ، وتضم الجائزة (دبلوماً) يعطى للفائز وميدالية وجائزة سنوية قيمتها ألف روبل ، ورحلة يقوم بها الفائز الأجنبي إلى الاتحاد السوفياتي وإلى أحد بلدان آسيا وإفريقيا ، وبالنسبة للجنة التحكيم فتضم أعضاء سوفياتيين وأجانب ولها رئيسان .



* أحدث الكتب *

● « **ستراندبرج بين الحب والكراهية** » ، كتاب يدور حول حياة وأعمال الروائي السويدي **أجوست ستراندبرج** ، تأليف **رون دي مورال** ، صدر في استوكهولم .

نزيف العقول البشرية عبر التاريخ

بقلم : د . محمد عبد العليم مرسي

في هذه الأيام التي يشتد فيها الصراع الدولي ، ويعظم التناطح بين الأمم ، ما شرّق منها وما غرّب ، ذلك الصراع الذي أخذ في الماضي ، والذي يأخذ في الحاضر صوراً وأشكالا شتى ، منها الاستيلاء على أراضي الغير بقوة السلاح ، ضد الأعراف الدولية ، تلك التي أقرت بعد إنشاء هيئة الأمم المتحدة ، مثلما حدث في المجر عام ١٩٥٦م ، وفي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨م ، ثم أخيراً في أفغانستان .. الدولة المسلمة .. وإحدى دول عدم الانحياز ، عام ١٩٨٠م .. أي بفاصل مقداره اثنتا عشرة سنة بين سقوط الفريسة والأخرى ، وربما يتم التهامها وهضمها ، ويتم أيضاً ترويض المعارضة الدولية المستأنسة .. والفاعل واحد .. وأكاد أقول .. والذئب واحد .. وهو الاتحاد السوفييتي ، الذي طالما رفع شعار الوقوف مع الدول الصغرى المطالبة باستقلالها .

ومنها أيضاً **الصراع في الفضاء** ومحاولات معرفة مجاهله ، أملاً في مزيد من السيطرة والتفوق ، وسعياً نحو فرض القوة من مواقع نجهلها نحن شعوب دول العالم الثالث .. أو العالم النامي ، كما يحلو للبعض أن يتلطف ويسمينا ، الآن على الأقل .

هذا ، والتنافس بين العملاقين الكبيرين ، **الولايات المتحدة الأميريكية والاتحاد السوفييتي** في مجالات الفضاء تقف معلوماتنا عنه عند حدود عناوين الصحف ، أو نتف الأخبار التي تخرج من وكالات الأنباء بالقدر الذي يسمح به أصحابها ، وإذا زادت معلوماتنا قليلاً فهي تأتي من أعداد قليلة من الكتب أو الكتيبات ، تظهر فيها الأحداث وكأنها أفلام للمغامرات .. وهذه لا تفيدنا علمياً ولا تقدمنا فكرياً ، ومن الأمثلة على ذلك ما أذيع في الأسبوع الأول من يناير (كانون الثاني) ١٩٨١م ، من أن **الكونجرس الأميريكي** قد وافق على أن تطلق الولايات المتحدة مكوك الفضاء الذي يعمل بأشعة الليزر ، ذلك المكوك المتعدد المهام .. الذي قصروا معلوماتنا عنه على أنه سوف يكون بإمكانه ــ عند استخدام أشعة الليزر هذه ــ أن يدمر الصواريخ السوفييتية في طبقات الفضاء العليا فور خروجها أو انطلاقها من منصاتها على الأراضي السوفييتية ، وقبل أن تدخل أو حتى تقترب من مجال الفضاء الأميريكي .

ومنها أيضاً **التنافس في أعماق البحار** وغياهب المحيطات ، جرياً خلف ما اختبأ في قيعانها من ثروات وإمكانات ، أو سعياً وراء اكتشاف أفضل الأماكن فيها كمخابئ للغواصات الذرية قاذفات الصواريخ النووية من الأعماق ، تلك التي أعدها أصحابها للرد السريع والحاسم على هجوم الأعداء إذا ما وقع فجأة وجاءت منهم الضربة الأولى . ولقد قدر خبراء

العسكرية الأمريكية في وزارة الدفاع الأمريكية [**البنتاجون**] أن الاتحاد السوفييتي لو فرض ووجه ضربة نووية إلى الولايات المتحدة الأمريكية مدمراً من خلالها بعض قدراتها الدفاعية من الصواريخ على الأرض ، فإن **غواصات بولاريس الأمريكية** المختبئة في أعماق البحار والمحيطات حول العالم يمكنها آنذاك أن تدمر قدرات الاتحاد السوفييتي الدفاعية ، وكذا الحياة المدنية على أرضه ، بواسطة الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية .

ومنها أيضاً العمل الدؤوب خلف الجدران بين أنابيب المعامل والمختبرات بحثاً وتدقيقاً في فرع من فروع العلم دقيق وهام ، ومنها دراسة الشعوب المختلفة ومقوماتها وأحوالها وعاداتها وطرائق معيشتها وأساليب تعاملها دراسة مستفيضة .. عريضة وعميقة .. كي تبني السياسات وتوجه الإذاعات والكتابات والنشرات بناء على هذه الدراسات والأبحاث .

في هذه الأيام التي يحدث فيها كل هذا .. يظهر لنا العقل البشري كعنصر فعال قوي ونشيط ، يدير كل تلك الدراسات ، ويوجه كل هذه البحوث ويخطط لها ، حيناً نحو الخير ، كالعمل في البحث عن أسباب لفيروس معين طلباً لمصل شاف من مرض ، أو إبداع في إنتاج أنواع معينة من الحبوب أو الفواكه وفيرة الإنتاج عالية القيمة ... وأحياناً أخرى نحو الشر ، كالتفنن في زيادة الطاقة الرهيبة التي تتولد من الذرة وانفجارها ، لإنتاج قنابل وصواريخ ومتفجرات أكثر فتكاً وأشد تدميراً ... أو العمل على إنتاج أسلحة أخرى جديدة مبتكرة سامة ومهلكة ما سمع عنها الشيطان نفسه !! ..

في هذه الأيام وضح لواضعي السياسات طويلة المدى « الاستراتيجيات » **خطورة العقول البشرية** ، وكذلك أهمية الحصول على أصحابها ، ثم تسخيرهم للعمل في المجالات التي خططوها سلفاً والتي رسموها من قبل . **ولا يزال أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية يحمل إلى القراء قصصاً وحكايات أغرب من الخيال عن وسائل شديدة الغرابة ، وأساليب ومحاولات فاقت الخيال لتهريب عالم في مجال الذرة ، أو باحث ذائع الصيت في الإليكترون من خلف حدود بلد معين** . ورغم الحراسات المشددة والأساليب المتنوعة للتجسس ، وتلك الأخرى التي اتبعت لمقاومة ذلك التجسس ، سمعنا وقرأنا .. وأحياناً شاهدنا على شاشات السينما والتليفزيون ، عمليات جريئة وذكية لتهريب العديد من هؤلاء العلماء والباحثين إلى حيث أريد لهم أن يعملوا وأن ينتجوا ، وأكثر من ذلك وأحدث .. ما قرأناه عن اغتيال عالم عربي مسلم ذائع الصيت في مجال العلوم الذرية ، أرادت قوى معينة أن توقف نشاطه حتى لا يساعد في إنتاج القنبلة الذرية لبلد عربي شقيق .

فما هي يا ترى قصة هذه العقول البشرية ..؟ وما أسرار هجرتها أو نزيفها .. أو بمعنى أصح .. استنزافها من دول معينة .. هي في الأعم الأغلب من دول العالم الثالث المتخلف ..؟ إلى دول هي القمة في التقدم العلمي والتطبيق التكنولوجي ، وفي مستويات المعيشة بين دول العالم ..؟؟

شيء من التاريخ

لعل معرفة شيء من تاريخ هذه الظاهرة ، ظاهرة هجرة أصحاب العقول البشرية من مكان لآخر ، من حيث الحاجة إليها ماسة وشديدة .. إلى حيث استخدامها الاستخدام الأمثل يلقي الضوء ، ولو نوعاً ما ، على جذورها الضاربة في أعماق التاريخ لأكثر من ألفي عام ، فالظاهرة ليست بنت اليوم .. ولا هي بنت القرن العشرين ، وإنما هي ترجع كثيراً إلى الوراء ، إذ يحدثنا المؤرخون ، وخاصة منهم أولئك الذين يهتمون بتاريخ العلم والعلماء ومواطنهم الأصلية وحركات انتقالهم من أقاليمهم الأصلية تلك إلى مواطنهم الجديدة التي اختاروها ميداناً لعملهم ومسرحاً لنشاطهم . فعالم مثل **لاكشمانا** Lakshmana الذي يعتبر من المتخصصين في تاريخ العلم والعلماء يقص علينا في كتابه عن تلك الهجرة وعلاقتها بالطلاب الدارسين بالخارج قائلاً : « **إن التحليل المتأني لتاريخ هجرة العقول عبر الحدود يبين أن هذه الظاهرة إنما ترجع إلى عام ٣٨٨ قبل الميلاد** ، وذلك حينما أنشأ **أفلاطون** أكاديمية ، وأيضاً حين سار **أرسطو** على نفس الدرب عام ٣٥٥ ق . م . إذ كان نشاط هذين العالمين الكبيرين والذائعي الصيت سبباً في اجتذاب الكثير من العلماء من عديد من بلاد العالم المعروف آنذاك ، عبر الحدود إلى **أثينا** وإلى غيرها من المدن اليونانية التي كانت مزدهرة آنذاك »[١] .

كذلك يحدثنا زميله **ديديجار** Dedijar مستنتجاً أن البحث عن المعرفة قد ارتبط منذ قديم الزمن في العقل البشري ـ خاصة في الأقاليم الواقعة حول حوض البحر المتوسط ـ بالترحال من وطن إلى آخر . ففي الكتاب الشهير **لآدامز** Adams ، يقول ديديجار في بحث له عن الهجرات البشرية المبكرة للعلماء عبر التاريخ ، يقول بأن عالماً اسمه جرنبري Grambery قد عكف على تحليل المعلومات الشخصية لعينة من علماء اليونان ، وأنه قد خرج من دراسته بحقيقة مؤداها أنه على الرغم من مشاق السفر وأهوال الطريق في تلك العصور إلا أنه قد ثبت أن ٧٥٪ من هؤلاء العلماء قد ارتحلوا من مدنهم الأصلية ، إما كطلاب للعلم .. أو معلمين أو باحثين[٢] .

وفي نفس المرجع يرصد الكاتب أن **أول تسجيل لظاهرة هجرة العقول في التاريخ البشري قد حدثت عندما ارتحل عدد من العلماء في العصر البطلمي من أثينا ببلاد اليونان إلى مصر حيث استقروا في مدينة الإسكندرية العاصمة الثقافية لمصر في ذلك الوقت ، التي أصبحت أكبر مركز للإشعاع المعرفي آنذاك** .

وفي هذا المجال يقول **شورافاس** Chorafas في كتابه القيم « **ثورة المعرفة** The Knowledge Revolution » : « إن أعظم الإنجازات في مجال العلم والفلسفة في الفترة من عام ٣٠٠ ق . م . وحتى ٥٠٠ م ، هي تلك الأعمال التي يدين بها حاضرنا في هذه المجالات يمكن أن تقتفي آثارها إلى حيث كانت الإسكندرية ، وإن كل العقول التي أنتجتها في تلك المدينة العريقة يبدو وكأنها قد نزحت إليها من أماكن أخرى »[٣] .

وخلال القرون التي تلت ذلك تحركت الحضارة مشرقة إلى **بلاد**



★ جونسون ★

فارس حيث أسس «**خسرو أنو شروان**» جامعته في مدينة (**جنديسابور**) .. تلك الجامعة التي جند لها العلماء والأطباء والباحثين كي يعملوا في معاملها وقاعات محاضراتها ، وقد كانت مدرسة الطب بتلك الجامعة من المدارس ذات الشهرة العريقة آنذاك .

فترة النهضة الإسلامية

وعندما ارتفعت راية الإسلام عالية ، وشملت دعوته أقاليم مترامية بشبه الجزيرة العربية ، وفيما حولها ، وامتدت الفتوحات الإسلامية شمالاً نحو البحر المتوسط ، وغرباً بطول الشاطئ الإفريقي الشمالي باتجاه المحيط الأطلسي لتطوق أوروبا من الجنوب ، وشرقاً في جنوب غربي آسيا حيث قضت على الإمبراطورية الفارسية .. عندما تم ذلك وأمن الناس — في ظل سماحة الإسلام وسعة أفق أمر القائمين على شؤون المسلمين — شرور الصراعات الإقليمية والمحلية التي كانت تنشب من وقت لآخر ، وبفضل المنح الجزيلة والعطايا السخية التي كانت تمنح من الخلفاء والأمراء ، وخاصة في عصر **الدولة العباسية** ، انجذب عدد كبير من العلماء والمترجمين والباحثين للعمل في عاصمة ملكهم المزدهرة آنذاك **بغداد** .. وأنتجوا الكثير إما ترجمة أو ابتكاراً ، مما أغنى المكتبة الإسلامية ، وزادها ثراء على ثراء في مختلف فروع المعرفة في تلك العصور .

أوروبا وجامعاتها بعد العصور الوسطى

وبعد أن نعبر فترة العصور الوسطى ، أو العصور المظلمة Dark Ages كما يطلق عليها بعض المؤرخين ، نجد أن أوروبا قد شهدت فترة نشطة من الترجمة والنقل عن ذلك المصدر الإسلامي الوفير ، تلك الترجمة التي انتقلت عبر جزر البحر المتوسط متأثرة برحلات العديد من العلماء والتجار ومحبي المعرفة .

وفي خلال هذه الفترة بزغت الجامعات الأوروبية كقوة فاعلة ومؤثرة في الحركة العلمية الجديدة الوافدة من الجنوب . هذا ويلحظ المؤرخون لتلك الفترة أن الجامعات الأوروبية آنذاك كانت حريصة الحرص كله على أساتذتها وعلمائها .. بل إنها كانت تخشى كل الخشية أن ينتقل بعضهم من بين جدرانها للعمل في جامعات أخرى ، أو أن يعمل البعض على إنشاء جامعات أخرى في مدن مختلفة ، فلم تكن الدول الأوروبية بحدودها المعروفة لنا الآن قد وجدت آنذاك . ونتيجة لهذا الخوف من جانب الجامعات فلقد اشترطت عند تعاقداتها مع الأساتذة العاملين بها أن يؤدوا «يميناً» To take an oath يقسمون فيها بأنهم لن يغادروا جامعاتهم للعمل في أماكن أخرى .

عقوبة الإعدام

ويبدو من سياق الأحداث أن موضوع القسم هذا لم يكن كافياً لأن يستمر أعضاء هيئات التدريس في العمل بتلك الجامعات ، ولذلك نجد أن المسؤولين عن الجامعات في بعض مدن أوروبا قد لجأوا إلى تشديد العقوبة ضد الأساتذة الذين يثبت أنهم قد تآمروا للخروج منها ، هذا التشديد الذي وصل في بعض الأحيان إلى فرض «**عقوبة الإعدام**» ..!! وذلك كما يحدثنا الكاتب ديديجار السابق الذكر حيث يقول بأنه في عام ١٢٠٤م ، حدث أن **جامعة مدينة فيكانزا** Vicanza قد أنشئت وأسست نتيجة لأن مجموعة من الأساتذة والطلاب قد اتخذوا قرارهم فيما بينهم بمغادرة **مدينة** «**بولونا** Bologna» وجامعتها .. وذلك لأنهم لم يكونوا راضين عن الامتيازات والحقوق التي كانت ممنوحة لهم هناك . ولكي تمنع جامعة بولونا تكرار ذلك في المستقبل ، فلقد استنت مجموعة كبيرة من التشريعات والقوانين التي هدفت إلى الحد من نزيف العقول البشرية إلى الخارج .. ولم تتوقف الظاهرة .. فضوعفت العقوبات في تشريعات المدينة عام ١٤٣٢م ، حيث وصلت إلى حد فرض «عقوبة الموت Penalty of death» ضد أي إنسان من أهل المدينة أو من أصل أجنبي ، إذا ما سولت له نفسه أن يتآمر بقصد تحويل الجامعة إلى مكان آخر .. وللعلم فإن هذه العقوبة الرهيبة كانت تطبق ضد أي إنسان حاصل على درجة الدكتوراه شريطة أن يكون

سنه قد جاوز الخمسين عاماً ، إذا ما هاجر من بولونا للعمل في أي جامعة أخرى ، أما إذا كان أقل من خمسين عاماً . . وبالتالي يحتل مكانة علمية أقل . . فلقد خففت العقوبة إلى غرامة مالية مقدارها مائتي دوقية . . واستمرت الهجرة ولم تتوقف . . !!

الهجرة إلى الأمريكتين

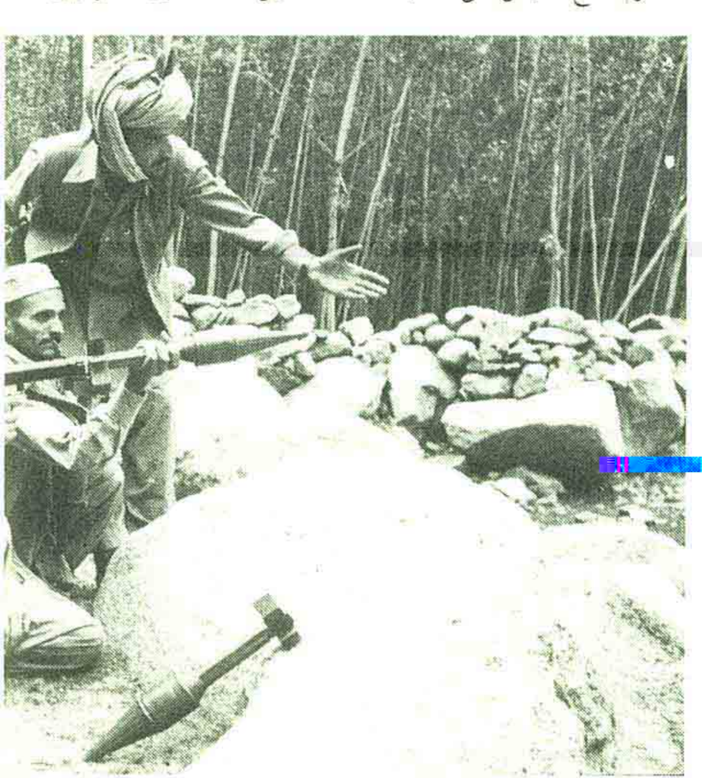
مع اكتشاف العالم الجديد ـ الأمريكتين ـ ونتيجة للظروف السياسية والدينية والاقتصادية التي كانت سائدة فيها إبان فترة **الكشوف الجغرافية** وفيما تلاها ، فإن أعداداً هائلة من أبنائها قد غادروها باتجاه ذلك العالم الجديد . . أو باتجاه الغرب وخاصة إلى أمريكا الشمالية . وبطبيعة الحال فإن الذين هاجروا إلى تلك الأراضي الجديدة . . وخاصة حيث الولايات المتحدة الآن ـ وقد كانوا بالملايين ـ لا يندرجون جميعاً تحت ما يطلق عليه « ذوي الكفاءات العالية . . أو أصحاب العقول النادرة » ، ولكن يمكن القول باطمئنان إن نسبتهم إلى أعداد أولئك المهاجرين كانت نسبة لا يستهان بها ، وذلك حيث يقول « **مايرز** Myers » إن النسبة المئوية لذوي الكفاءات العالية بين المهاجرين إلى الولايات المتحدة قد تزايدت بشكل حاد بمرور الوقت ، فلقد كانت عندما بدأت موجات هذه الهجرة لا تزيد على ١ ٪ من مجموع المهاجرين كلية . . بينما هي اليوم قد ارتفعت إلى ما يقرب من ٢٣ ٪[٤] .

جذور المشكلة حديثاً

نتيجة للحرب العالمية الثانية تغيرت خريطة العالم السياسية ، فانكمشت إمبراطوريات كانت قد اتسعت وشملت دولا من آسيا وإفريقيا عبر المحيطات ، كما نال العديد من الدول التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار استقلالها ، وخرج العالم من تلك الحرب فإذا هنالك قوتان متعاظمتان هما الولايات المتحدة الأمريكية التي تأكدت زعامتها للمعسكر الغربي كله ، وأصبحت أكثر من أي وقت مضى مرهوبة الجانب قوية على المستوى الدولي ، خاصة وقد أثبتت أن الأسلحة الذرية يمكن أن تستخدم إذا لزم الأمر . . وقد فعلت . . في نهاية الحرب . . سواء لتوقف المقاومة اليابانية العنيفة والعنيدة ولتقطع ذلك السيل الرهيب من الضحايا البشرية اليومية ، كما قال الأمريكيون ، أو لتثبت للعالم أنها هي الدولة الوحيدة التي امتلكت ذلك السلاح المدمر ، وأنه يجب أن يفهم الجميع ذلك . . بكل ما عناه هذا من معان آنذاك ، كما قال أعداؤهم ، والقوة الأخرى كانت الاتحاد السوفييتي الذي أفاد فائدة كبرى من الحرب باقتطاعه لأجزاء شاسعة من أوروبا الشرقية ، كما أفاد من المعونة الأمريكية أثناء صراعه ضد قوات النازي التي كادت أن تدمر موسكو العاصمة ، ولقد كانت المعونة الأمريكية العسكرية ، التي تمت بناء على ما عرف آنذاك باسم « قانون الإعارة والتأجير » . . وفوراً عقب الحرب ، وعقب تقسيم الغنائم والأسلاب بدأ حلفاء الأمس يظهرون العداء لبعضهم البعض ، وبدأت سلسلة من التحالفات وإنشاء القواعد العسكرية والتهديد بالحرب . . حتى باستخدام القنابل الذرية ، وإقامة سلاسل من الأحزمة العسكرية على شكل قواعد . . في غرب أوروبا وجنوب شرقي آسيا مؤيدة لأمريكا . . وقابلها على الصعيد الآخر حلف في الشرق من أوروبا مؤيدة للاتحاد السوفييتي . . ودخل العالم فترة محمومة من الحرب الباردة . . ولقد كانت هذه الفترة هي التي نشطت فيها الأبحاث داخل المعامل أملاً في تحقيق التفوق على الخصم في جميع المجالات . . ولقد وافق هذه الحركة نشاط غير عادي كان هدفه الحصول على أصحاب العقول النادرة وذوي الكفاءات العالية من كل لون وجنس . . ولا زلنا نذكر قصص المغامرات التي جرت بين المعسكرين في نقل وثائق العلماء الألمان . . وحتى بعض الأفراد منهم . . وخاصة أولئك الذين كانت لهم صلة بصناعة الصواريخ ، واسم **العالم الألماني « فون براون »** الذي أصبح أباً لصناعة الصواريخ الأمريكية فيما بعد خير دليل على ذلك .

وفيما بين الاتحاد السوفييتي شرقاً والولايات المتحدة غرباً ، بدأ صراع العقول . . في كل المجالات ، وكان التنافس أولا لتأمين التفوق في **الجانب العسكري** . . وفيما اتصل به من ميادين المعرفة . . في **علوم الطبيعة والكيمياء وفي الطاقة النووية والذرية . . في علوم البحار والفضاء** سواء بسواء ، وسمعنا وقرأنا عن مخترعات في هذه المجالات تقشعر لها الأبدان ، فالقنبلة الذرية التي ألقيت اثنتان من عائلتها على اليابان جرى تطويرها (وتحسينها) وخرج الجيل منها وراء الجيل وهو أشد فتكاً وأكثر إهلاكاً . . حتى قرأنا أن ما تم في اليابان من تدمير في أواخر الحرب العالمية الثانية كان مجرد مزاح إذا ما قورن بما لدى هذه القوى العاتية من مخزون من ذلك السلاح الرهيب في الوقت الحاضر . . علاوة على ما يضيفانه كل يوم . . !!

ولم تتسع الأرض على سعتها لمنافسة هذين العملاقين الرهيبين



فاتجهت منها الأنظار ناحية الفضاء.. وحملت إليه مخاطر التنافس.. وكانت القمة الخطرة هي يوم أفلح الاتحاد السوفييتي في إطلاق أول سفينة دائرة في الفضاء في شهر أكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٩٥٨ م.. والذين يدرسون تاريخ العلوم وتطويرها وتعديل مناهجها وخططها لا بد وأنهم سيتوقفون طويلاً عند هذا التاريخ..!! فحقيقة سبق الاتحاد السوفييتي الولايات المتحدة بهذا الحدث، ولكنه كان كمن مس عصباً حساساً في حياة الأمة الأمريكية كلها، فلقد صعقت في بداية الأمر أن تفوقت عليها أمة أخرى على ظهر الأرض، والذين يعرفون طبيعة الشعب الأمريكي يعلمون جيداً أنه شعب لا يطيق أن ينافسه شعب آخر، ومن بعد الصدمة الأولى أفاق العلماء الأمريكيون والكتّاب وعلماء التربية والمفكرون وصناع السياسة، وانهالت الكتابات الناقدة.. وتركزت على التربية الأمريكية بكل ما اشتملت عليه لأنها سمحت للمواطن السوفييتي أن يتفوق على نظيره الأمريكي، فهوجمت المناهج وطرق التدريس.. بل وفلسفات التربية الأمريكية ذاتها... وانهالت الأموال بالبلايين من الدولارات من الحكومة الفيدرالية ومن حكومات الولايات والمؤسسات والشركات العملاقة.. بل ومن الأفراد أنفسهم، ورصدت لصالح البحث والفكر والتجريب والتدريب والتطوير، وتأخرت البيروقراطية والقوانين المعوقة.. وتقدم الإبداع والفكر البناء.. وشهد العلماء والباحثون الأمريكيون عصراً ذهبياً لم يعرفه غيرهم.. فتوجوا كل ذلك بوضع أول رجل على القمر في يوم العشرين من يوليو (تموز) عام ١٩٦٩ م، وارتاحت الأمة الأمريكية ونامت هانئة بعد أن أيقنت أن بذلها وعطاءها قد آتيا ثمارهما وأن اعتمادها على العلم وأهله لم يخذلها؛ وأن العلماء من أبنائها كانوا عند حسن الظن بهم.. وعلى مستوى المسؤولية والتحدي.





★ أرسطو





★ أفلاطون

ومنذ ذلك الحين والبحث عن ذوي العقول وأصحاب الكفاءات العالية لم يهدأ ولم يستقر. وجاء قانون ١٩٦٥ م، بتعديل شروط الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليضيفه إلى حمى الهجرة إليها.. فلقد محا هذا القانون نظام الحصة الذي كان معمولا به من قبل وأحل محله شرط الكفاءة والمهارة، أو كما جاء في عبارات **الرئيس الأمريكي جونسون** Their skills and not their skins.. ونتيجة لهذا القانون الجديد اندفعت أعداد لا حدود لها من العلماء مهاجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.. وخاصة من بين دول العالم الثالث.

هذا ولقد استمرت عملية هجرة أصحاب العقول في مدّها العنيف تجاه الأرض الأمريكية طوال فترة الستينات.. ثم هدأت قليلاً.. وكذا هدأت الكتابات عنها مع مطلع السبعينات وذلك نتيجة لتخفيض أبحاث الفضاء والحد من إدارتها «**إدارة أبحاث الفضاء القومية** National Aeronautics & Space Administration وكذا **برامج شركة بوينج** Boeing الأمريكية العملاقة.

ولقد اتخذ بعض الكتاب الغربيين هذا الوضع منطلقاً كي يبشروا من خلاله بأن مشكلة هجرة العقول قد آذنت شمسها بالمغيب، وأنه قد آن الأوان لأن تكف الدول النامية Developing Countries عن الصراخ والعويل على أبنائها المهاجرين من ذوي الكفاءات، فها هم يغادرون الولايات المتحدة عائدين إلى بلادهم. ويمثل هذا الصنف **الكاتبان الكنديان جروبل وسكوت** اللذان أصدرا كتابها في عام ١٩٧٧ م، ليقولا فيه ببساطة: «إنه حقيقة كان هناك تدفق غير عادي للأشخاص المتخصصين ذوي الكفاءات العالية إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة الستينات، وإن هذا التدفق قد انتهى الآن Has now just ended»[٥].

هكذا..!! وحسب.. انتهى.. ودون أن يقدما أي برهان علمي أو سند من رقم أو إحصاء.

والعجيب أن نفس الكاتبين يتبنيان وجهة نظر مخالفة تماماً لما قالاه سابقاً.. وفي نفس الكتاب، وذلك حين يوضحان أنه في عام ١٩٧٣ م، عهدت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى سكرتيرها العام أن يعد تقريراً عن المشلكة، مشكلة نزيف العقول البشرية، وكيف يمكن أن يتعامل العالم معها، وفي عام ١٩٧٤ م، أصدرت وكالة التدريب لأغراض التنمية UNCTAD تقريراً في جنيف تبين فيه الآثار الخطيرة لعملية نزيف العقول المستمر من دول العالم النامي[٦].

ولقد أثبت عالم مثل **ڤاس زولتان** Vas-Zoltan المجري الأصل، أن الظاهرة التي نحن معنيون بدراستها لا زالت مستمرة خلال فترة السبعينات.. وأكثر من ذلك أنها في تزايد مستمر، وذلك حيث يقول إن الإحصاءات التي نشرت بواسطة هيئة العلوم القومية في الولايات المتحدة The National Science Foundations في ربيع ١٩٧١ م، قد أثبتت بدون شك أنه كان من السابق لأوانه أن يتحدث البعض عن إسدال الستائر على مشكلة نزيف العقول البشرية، فطبقاً لما نشرته هذه الجمعية خلال السنة المالية المنتهية في ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ م، نجد

أن عدد الباحثين والمهندسين والأطباء المهاجرين إلى الولايات المتحدة كان أعلى من أي رقم سابق ، بل وأكثر من ذلك أنه كان أعلى بنسبة كبيرة وصلت إلى ٣٠٪ زيادة عن السنة المالية السابقة ، وذلك كما يتضح من الأرقام التالية :

السنة المالية	عدد المهاجرين	
	من العلماء والمهندسين	من الأطباء
٣٠ يونيو ١٩٦٧ ــ ٣٠ يونيو ١٩٦٨م	١٢,٩٧٣	٣,٠٠٠
٣٠ يونيو ١٩٦٨ ــ ٣٠ يونيو ١٩٦٩م	١٠,٢٢٥	٢,٧٥٦
٣٠ يونيو ١٩٦٩ ــ ٣٠ يونيو ١٩٧٠م	١٣,٣٣٧	٣,١٥٥

وطبقاً لهذه الإحصاءات يتبين أن عدد المهاجرين من قارة آسيا كان قد تزايد بشكل واضح ، حيث نجد أنه كان (٤٠٠٠) فقط في عام ١٩٦٨م ، بينما وصل إلى (٤٩٠٠) في عام ١٩٦٩م ، ثم قفز عالياً ليصل إلى (٧٥٠٠) في عام ١٩٧٠م[٧] .

من كل ما سبق يتضح لنا أن ظاهرة النزيف البشري إنما هي ظاهرة قديمة في التاريخ ، وإن كان شكلها قد اختلف عن ذي قبل ، كما أن نتائجها قد اختلفت .. وإلى حد بعيد . كذلك يتضح لنا ــ وهذا هو الأهم ــ أن الظاهرة قد أخذت شكلاً حاداً في الستينات .. ولم تتوقف في السبعينات ... بل إن دولاً معينة من بين أمم العالم الثالث قد أخذت تعاني منها بشكل حاد ، وعلى سبيل المثال يحدث هذا بشكل خطير الآن بالنسبة لدول المجموعة العربية .

هذا هو باختصار استعراض للتطور التاريخي لظاهرة أصحاب العقول النادرة أو أصحاب الكفاءات من مواطنهم الأصلية Sending Countries إلى مواطنهم الجديدة التي اختاروها ليستقروا فيها Receiving Countries ويعملوا وينتجوا كل في مجاله .

هذا الاستعراض الذي وضح من سياقه أن الظاهرة قديمة ترجع إلى آلاف السنين حينما كان الانتقال بين مواطن الحضارات القديمة حول حوض البحر المتوسط هو السمة الغالبة ، وحينما كان الانتقال فردياً يتسم بحب العلم وطلبه . ثم وصلت إلى الهجرة إلى العالم الجديد عندما اندفعت الملايين وخاصة من أوروبا نحو الغرب لكي تعمّر هذا الركن الخصيب من العالم وتنشئ حضارة لا زالت إلى اليوم هي الأسبق والأرسخ ، وكان للعلماء نصيب متزايد في هذه الهجرة .

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت دول العالم النامي أو الثالث تسهم بنصيب ليس بالقليل في ذلك المجال ، ورغم ما تعانيه من تخلف قاصم إلا أن أبناءها الذين هاجروا إلى دول العالم المتقدم ــ خاصة الولايات المتحدة ــ قد أسهموا .. ولا زالوا يسهمون في صنع التقدم ودفعه إلى الأمام .. ولا زالت موجاتهم تتدافع نحو الشواطئ الأمريكية وكندا ، وحول شواطئ الجزر البريطانية وإلى فرنسا واستراليا .. حيث تمثل هذه الدول الخمس القطب المغناطيسي الجاذب لأصحاب العقول والمهارات العالية من أنحاء العالم .

ورغم أن دول العالم الثالث حاولت جهدها أن توقف هذا التيار الخطير من الهجرة خارج حدودها ، بل وحملت قضيتها مراراً إلى قاعات الأمم المتحدة ، إلا أنها فشلت لأسباب قصيرة أن توقف ذلك المد العنيف من أصحاب الكفاءات المتخصصين من الاندفاع نحو الخارج .. حتى يومنا هذا .

ولعل هناك في ذهن القارئ عدداً من الأسئلة المنطقية حول أسباب هذا النوع من الهجرة ، تلك الأسباب التي ترجع في جزء منها إلى الأحوال والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأكاديمية وغيرها تلك التي تسود دول العالم الثالث مقارنة بما يسود دول العالم المتقدم .. وتلك التي تتعلق بالمهاجرين أنفسهم وشخصياتهم وأفكارهم وطموحاتهم ، وكذلك لا شك أن هناك أسئلة أخرى حول خطورة هذا النوع من الهجرة البشرية .. خطورته على الدول النامية في كل مجال يقترب من معيشتها الحالية وخططها التنموية ، أو يبتعد ليمس المستقبل على أرضها ، وأيضاً أسئلة حول أهمية هذه الهجرة بالنسبة للدول المتقدمة التي رسمت سياساتها على أساس وصول أمواجها باستمرار متدفقة لكي ترسخ القاعدة العلمية العريضة الثابتة هناك .. ولعل المجموعة الأخيرة من الأسئلة تتعلق بما يمكن عمله علاجاً لهذا النزيف البشري الرهيب ، والمقترحات التي يمكن أن تعين في هذا السبيل .. كل هذه الأمور يقصر مقال واحد عن الإلمام بجوانبها ، ومن هنا فلعل الله يأذن بأن تتلو هذا المقال مقالات أخرى تحاول بالصدق وبالأمانة العلمية الموضوعية أن تجيب على هذه الأسئلة .. كلها أو بعضها .. وعلى الله قصد السبيل .

الهوامش

(1) Lakshmana, Rao G., *Brain Drain and Foreign Students: A Study of the Attitudes and Intentions of Foreign Students in Australia, the U.S.A. Canada and France.* (N.Y: Martin's Press 1979), p.1.

(2) Dedijar, Steven, "Early Migration", *The Brain Drain,* Ed. Walter Adams (N.Y: The Macmillan Company, 1968), p.12.

(3) Chorafas, N.D., *The Knowledge Revolution: An Analysis of the International Brain Drain Market.* (N.Y: Macgraw-Hill Book Company, 1970), p.7.

(4) Myers, Robert G., *Education and Emigration, Study Abroad and the Migration of Human Resources* (N.Y: David Mackey, Inc. 1972), p. 37.

(5) Grubel, Herbert G. and Anthony Scott, *The Brain Drain: Determinants and Welfare Effects* (Waterloo, Canada: Wilfred Lourier University Press, 1977), p. 8.

(6) *Ibid.*, p. XXI.

(7) Vas-Zoltan, Peter, *The Brain Drain, An Anomaly of International Relations,* (Budapest: A.W. Sijthaff, Lyden Akademiai, Kiado, 1976) pp. 77–78.

لعلّ من أهم المواضيع التي ثار حولها الجدل في السنوات الأخيرة على المستوى الاقتصادي الدولي هو موضوع الفترة الزمنية التي ستمتد فيها حياة النفط . . . ولئن كان عدد هام من الخبراء ينزع إلى تحديدها بمدة تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ عاماً ، فإن هنالك من ينظر إلى الأمر نظرة أكثر تفاؤلية فيتوقع أن تمتد حياة النفط لفترة أطول بكثير . وفي الواقع أن لكل فريق حجته ومستنداته ومبرراته .

ولا تعني ترجمتي لهذه الدراسة أنني متفق مع الكاتب في الآراء التي يطرحها فهو ينظر إلى الموضوع من الجانب الآخر . . . جانب الدول المستهلكة . إنما وددت أن أنقل موقفاً يبتعد بعض الشيء عن النغم الذي اعتدنا سماعه .

« المترجم »

نفط العالم يكفي لمئات السنين!

ترجمة : د . فرج الله فتيحي



إنها نهاية النفط بسعر رخيص ، ولكن ليست بعد نهاية النفط ، فالاحتياطي الكبير المشكّل من **الشيست القطراني** « Schistes bitumineux » ، **والرمال الزفتية** « Sables asphaltiques » ، وما يتبقى في الآبار المستغلة بشكل سيء يمكن أن يؤمن لنا نفطاً يكفي لـ ٤٠٠ سنة بمعدّل الاستهلاك الحالي . على أنه ستكون هنالك فترات صعبة في نهاية القرن الحالي عندما سينفد عملياً الاحتياطي المستثمر بالوسائل الحالية « Reserves Conventionnelles » في الوقت الذي لن تكون قد وضعت فيه الآبار الجديدة قيد الاستغلال .

تقديرات متضاربة

إن ما يؤثر على عامة الناس قد يؤثر حتى على الخبراء : في **المؤتمر العالمي حول الطاقة** الذي عقد في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ م ، في **استانبول** قد انجرفوا في تيّار معدٍّ ، فبحسب رأي أغلبهم أن العالم

الصناعي ـ إن استمر استهلاكه بالمعدّلات الحالية ـ يتسارع نحو أزمة حادّة جداً للطاقة ستحل حوالي عام ٢٠٢٠ . وحيث أنه لا يمكن ضغط هذا الاستهلاك لمدة طويلة فإنه من المستحيل ـ برأي الخبراء ـ تجاوز الأزمة إلا بالاستعمال الواسع للمولدات الضخمة في إطار جديد **« لاقتصاد البلوتونيوم »** .

هذه النظرة المأساوية يمكن تفسيرها (لا تبريرها) ، فإن الالتهاب المفاجئ لأسعار النفط ، وأيضاً مبدأ التصحيح المستمر لهذه الأسعار على أساس معدّل التضخم العالمي يمثلان ، في الواقع ، بعض جوانب هذه الأزمة . فإن كنّا خبراء أم لا من المفروض أن نعلم بأن الفترة التي كان يمكن الحصول فيها على الطاقة بأسعار رخيصة قد ولّت .

ويبدو ، على الغالب ، أن الخبراء لا يملكون الوقت الكافي ليقرأ كل واحد منهم إنتاج زميله ، ذلك لأن هنالك دراسات تشير إلى أن وضع النفط لا يجب أن يثير القلق بالرغم من التأكيدات المستمرة على ذلك .

وبحسب بعض التوقعات التقليدية التي يستند إليها الخبراء أن احتياطي النفط في العالم هو في حدود ٨٥ مليار طن ، أي ما يكفي لـ ٢٨ سنة إن بقي معدّل الاستهلاك مساوياً للمعدّل الحالي (٣ مليارات طن في العام) ولـ ١٥ أو ٢٠ سنة إن ازداد هذا الاستهلاك .

على أنه بحسب خبرات أكثر حداثة أن هذا الاحتياطي هو في حدود ١٢٠٠ مليار طن (دون الكلام عن النفط الصناعي) ، أي ما يضمن ٤٠٠ سنة من الاستهلاك بمستوى الاستهلاك الحالي .

فارق يثير الاستغراب

إن الفارق الهام بين هذين التوقعين يمكن أن يثير الاستغراب ، إلا أنه يمكن قبول الرقمين ذلك لأنه يجب أن يحدد قبل كل شيء ما هو المقصود بكلمة احتياطي : **الاحتياطي « المثبَت »** « الذي يمكن استغلاله » ، **الاحتياطي « المحتمل » « الممكن »** أم أيضاً الكمية الكاملة من النفط **« المقدرة »** داخل الآبار ؟ .

وسيظل النفط خلال جيل على الأقل المصدر الرئيسي والضروري للطاقة . **وإن الأزمة النفطية إن وقعت فلن تكون بسبب الندرة « الكمية » للنفط ، إنما ستعود لعوامل أخرى** : الحرب ، تحظير التصدير أو لأسباب سياسية مختلفة .

وإن التحول من النفط إلى مصادر أخرى للطاقة يمكن أن يتم دون إثارة مشكلات خطيرة . على أن **هنالك بعض الشروط الضرورية التي يجب أن تتوفر** :

* البحث والاستثمار في مجال النفط ولكن أيضاً في مجال المصادر الجديدة للطاقة .

* التوفير في الاستهلاك خاصة في الدول المسرفة كالولايات المتحدة (إن استهلاك الولايات المتحدة من البنزين فقط يشكل أكثر من ثلث استهلاكها الكامل ، أي تسع الاستهلاك العالمي) .

* الرفع المحتمل لأسعار النفط وذلك كي تصبح أسعار النفط غير المستثمر حالياً « Non Conventionnel » ، وكذلك أسعار المصادر البديلة للطاقة مضاربة في السوق العالمية .

نتائج تحقيق دلفي

ولجأ الخبير **ديسبريري** ، لدى التحضير لمؤتمر استانبول ، إلى إجراء تحقيق فريد من نوعه أطلق عليه اسم تحقيق دلفي (باسم إحدى المدن : دلفس حيث يذهب سكان اليونان القدماء للتشاور مع الآلهة) من أجل الوصول إلى تحديد المعطيات بشكل جدّي ، ذلك لأنه لا يمكن وضع سياسة طويلة الأجل للمصادر النفطية العالمية دون ذلك .

الآبار « الفارغة » ما زالت مملوءة حتى ثلاثة أرباعها

إن استخراج النفط بالوسائل « التقليدية » لا يسمح باستخراج أكثر من ٢٥ ٪ من الخام الموجود في البئر . **وهذا يعني بأن ما يطلق عليه اسم بئر فارغة يمكن أن تحتوي على ثلاثة أضعاف ما استخرج منها من النفط .** وقد تم اللجوء منذ بضع سنوات ـ من أجل زيادة نسب الاستخراج ـ إلى ما أطلق عليه اسم **طرق الاستخراج المُساعَد** « Récupération assistée » . وتقوم على استخراج النفط بوسائل تختلف عن الوسائل التقليدية المعتمدة على الضغط الطبيعي .

ومن الطرق التي هي قيد البحث والتجريب في هذا المجال **طريقة حقن الآبار** ، التي استغلت بالوسائل التقليدية ، **بالماء المثقّل** « Alourdi » أو **المحسَّن** « Amélioré » مما يسمح باستخراج أنسب للنفط المتبقي . وتدرس أيضاً إمكانية الحصول على بعض المواد التي يمكن أن تذيب الخام داخل البئر فتجرفه إلى الخارج .

وبرأي **الخبير جاك ايف من شركة « ايسو »** أن زيادة بنسبة ١ ٪ من النفط المستخرج تضيف إلى الاحتياطي العالمي « المثبت » ما يعادل إنتاج سنة ونصف بالمعدّل الحالي . وإذا تمكنا من تأمين هذه الزيادة الإضافية كل عام ـ وهذه فرضية تنطوي على كثير من التفاؤل ـ فإن معدّل الاستخراج

ويقوم التحقيق على توجيه أسئلة إلى عدد من الخبراء الذين سيجيبون للمرة الأولى انطلاقاً من معطيات وضعوها هم بالذات . وكل مشارك في هذا التحقيق يتلقى ، بعد ذلك ، كل الأجوبة التي وضعها المشاركون الآخرون ويمكنه ، بعد دراستها ، المحافظة على أجوبته الأولى أو تعديلها .

أرسلت الأسئلة إلى ٤٢ جهة ، وتم الحصول على ٢٩ إجابة (إجابتان من الإدارات العامة ــ ١٨ إجابة من الشركات النفطية ــ ٩ إجابات من خبراء مستقلين وشركات المشاورة) . وتتركز الأجوبة على ما يلي :

إن الاحتياطي العالمي الحالي للنفط المستثمر بالوسائل الحالية يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ مليار طن : ١٠٠ مليار مكتشفة حتى الآن والبقية هي قيد الاكتشاف . ويقدر الخبراء بأن حوالي ٤٠ إلى ٤٥ ٪ من هذا الاحتياطي موجود في البحر (على مستوى أقل من ٢٠٠م من العمق) و ١٣ ٪ في المناطق القطبية .

أما بالنسبة للتوزيع الجغرافي لهذا الاحتياطي يعتقد الخبراء بأن ٤٢ ٪ منه موجود في **الشرق الأوسط وإفريقيا الشمالية والبلاد العربية** و ٢٣ ٪ في مجموع الدول الاشتراكية (خاصة ، بالطبع ، الاتحاد السوفييتي والصين) .

ومن المتوقع أن تصل تكلفة اكتشاف الآبار الجديدة بين ١٩٨٥ و ١٩٩٠ م ، إلى أكثر من ضعف التكلفة الحالية (تكلفة الاستغلال سوف تزداد هي الأخرى ولكن بنسب أقل) .

بين التفاؤل والتشاؤم

إن أغلب الخبراء الذين تم التشاور معهم خلال المؤتمر كانوا متفائلين بالنسبة للاكتشافات في المستقبل القريب : إن عملية اكتشاف الآبار الجديدة للنفط ورفع إنتاجية الآبار القديمة سوف تسمح بالوصول إلى إنتاج إضافي يقدر بـ ٤ مليارات طن في العام حتى ١٩٨٥ م ، مما يدل على أن المكتشفات المتوقعة كل عام سوف تتجاوز وسطي الاستهلاك السنوي الحالي (٣ مليارات طن) . لكن الوضع سيتغير اعتباراً من عام ١٩٨٥ م ، ذلك لأنه من المتوقع بأن يصل الاستهلاك في ذلك الحين إلى ٥ أو ٧ مليارات طن في العام . فالعالم سيستهلك من النفط ، وقتئذ ، أكثر مما سيكتشف .

ويصبح الخبراء أكثر تشاؤماً عندما يحاولون توقع كميات النفط التي سوف تتوفر حوالي العام ٢٠٠٠ م ، وإن أغلبهم يحدد سقف الاكتشافات بحدود تقارب ٣ مليارات طن في العام (منها ٤٥ ٪ من الاكتشافات الجديدة و٥٥ ٪ زيادة إنتاجية آبار قديمة) .

وهكذا فإن الاكتشافات لن تؤمن ، اعتباراً من نهاية القرن ، تجديد الاحتياطي بشكل يتيح المحافظة على مستوى الاستهلاك الحالي .

وعندها سيتم التوجه نحو النفط غير المستثمر حالياً ، الذي يعتبر ــ برأي الخبير ديسبريري ــ نفط القرن الواحد والعشرين : نفط البحار العميقة والمناطق القطبية ، الزيوت الثقيلة ، الشيست القطراني ، الرمال الزفتية ، النفط الذي يمكن الحصول عليه بوسائل مساعدة ، النفط الصناعي .

مصادر بديلة هائلة

ويستدعي البحث عن النفط غير المستثمر حالياً واستغلاله وسائل لم توضع بشكلها النهائي ، ويبدو أن إنتاجيتها غير مؤكدة ولا كافية حتى الآن . وستبدأ هذه الوسائل بالظهور ــ حسب دراسة الخبير ديسبريري ــ اعتباراً من عام ١٩٩٠ م . وإن المصادر غير المستثمرة ، وإن لم تكن مقدرة بشكل جيد ، فإنه من المعروف بأنها هائلة :

* **الشيست القطراني** : وهو يشكل لوحده احتياطياً قدره ٤٠٠ مليار طن ، أي نسبة تتجاوز كل النفط المستثمر بالوسائل الحالية . ولكن

سيصبح ٤٥ ٪ حوالي عام ١٩٩٠م ، الأمر الذي يؤدي إلى تأمين زيادة في الاحتياطي المثبت بنسبة ٣ / ٤ الرقم الذي هو عليه الآن وذلك فقط باستغلال أمثل للموارد المعروفة ودون اكتشاف آبار جديدة .

وإن اللجوء إلى الطرق الحديثة هذه وإن كان مكلفاً ، فإنه لن يسمح بزيادة إنتاجية الحقول المعروفة والمستغلة فحسب بل أيضاً سيلعب دوراً في استغلال آبار لم تكن قابلة للاستغلال في السابق . ويرى **المعهد الفرنسي للنفط** « بأن تطوراً جذرياً من هذا النوع يمكن أن تنعكس عنه آثار اقتصادية بمستوى أهمية السبب الذي حث على هذا التطور : ارتفاع أسعار النفط » . وإن عدداً كبيراً من الاقتصاديين بدأوا يعترفون أصلاً بأن **زيادة الأسعار** ــ والتي أعلن أن آثارها مدمرة بالنسبة للدول الغربية ــ قد كانت ، في نهاية المطاف ، دواءً ناجعاً ذلك لأنها لم تساهم في إدراك خطورة النقص في الطاقة فقط بل ساعدت ، أيضاً ، في دخول بعض التقنيات التي كانت تعتبر مكلفة جداً في حلبة المنافسة .

هذه التقنيات التي ستسمح بزيادة احتياطي النفط ، بعوامل لا نعرفها بشكل جيد حتى الآن ، يتشوق إليها المجتمع الغربي بكثير من الاهتمام .

ما زالت هنالك عدة معوّقات بيئية تحول دون استغلاله استغلالا منتجاً . ولن يلعب الشيست القطراني دوراً ملحوظاً ـ حسب تقرير الخبير ديسبريري ـ قبل نهاية هذا القرن .

* **الرمال الزفتية** : ويقدّر الاحتياطي العالمي منها بـ ٣٠٠ مليار طن ، أي ما يكفي لاستهلاك ١٠٠ سنة بمعدل الاستهلاك العالمي لعام ١٩٧٦ م ، ومشكلة استغلالها هي الأخرى بيئية وتقنية . ذلك لأنه لا يمكن استغلال أكثر من ٥ إلى ١٠ ٪ من هذه الرمال انطلاقاً من سطح الأرض . وفي حين أن الشيست القطراني يتواجد بنسب كبيرة في **الولايات المتحدة** ، فإن **كندا** هي التي تحتوي على المناجم الأكثر أهمية من الرمال الزفتية . وقد بدأت عمليات الاستغلال في **البيرتا** حيث يقدر الاحتياطي بحدود ١٢٠ مليار طن .

* النفط الذي يمكن استخراجه بوسائل مساعدة : وقد خصص له القسم الأخير من تقرير الخبير ديسبريري . إننا نعلم ، في الواقع ، بأن الوسائل المستعملة حالياً لا تسمح بضخ أكثر من ٢٥ ٪ من النفط الموجود داخل البئر . بيد أن هنالك دراسات للوصول إلى إيجاد وسائل تسمح باستخراج نسبة ٥٠ ٪ ، وبعض هذه الوسائل قد استعملت حتى الآن على الرغم من أنها تستدعي استثمارات هامة ومرتفعة . ولئن كان مستوى الإنتاجية لا يسمح حالياً بالمغامرة في هذا الاتجاه بسبب الاستثمار المكلف وأيضاً المخاطرة التكنولوجية ، فإن الموضوع يمكن أن يثير الاهتمام بشكل كبير . فإن ازدياد نسبة الاستخراج من ٢٥ ٪ إلى ٥٠ ٪ يضاعف احتياطي النفط المستثمر بالوسائل الحالية . وإذا أضفنا دونما أن نخاطر بالوقوع في خطأ ٣٠٠ مليار طن من النفط غير المستثمر حالياً إلى الـ ٣٠٠ مليار طن من النفط المستثمر بالوسائل الحالية فإننا يمكن أن نمهد الانطلاقة للقرن الحادي والعشرين .

* **النفط الموجود في البحار العميقة وفي المناطق القطبية** : إن الخبراء لا يحبذون كثيراً استخراج النفط من البحار العميقة (أكثر من ٢٠٠ م من العمق) ذلك لأنه من المتوقع أن تكون تكلفة الاستخراج باهظة جداً كما أنه بحسب بعض التقديرات فإن النسبة المتوفرة لن تتجاوز من ٧ إلى ١٥ ٪ من الموارد العالمية .

فإذا جمعنا ، في نهاية المطاف ، نسب احتياطي النفط المستثمر بالوسائل الحالية المقدر بـ ٣٠٠ مليار طن ، والشيست القطراني ٤٠٠ مليار طن ، والرمال الزفتية ٣٠٠ مليار طن ، والنفط الذي يمكن استخراجه بالوسائل الحديثة المساعدة ٣٠٠ مليار طن ، فإن الاحتياطي العام سوف يصل إلى ما يزيد عن ١٢٠٠ مليار طن ، أي أكبر بـ ٤٠٠ مرة من نسبة الاستهلاك السنوي الحالي . أما بالنسبة للكمية الكاملة من النفط داخل الآبار **فهي** مقدرة بحوالي ٣٠٠٠ مليار طن .

يجب انتظار منتصف التسعينات

على أن عمليات إنتاج النفط غير المستثمر حالياً لن تنطلق ، بشكل حقيقي ، قبل حوالي ١٩٩٠ ـ ١٩٩٥ م . ويجب هذا ـ يقول الخبير ديسبريري ـ أن تتوفر الشروط التي تؤمن الوصول إلى مستوى تقني عال : وسائل مالية متاحة للمؤسسات ، اتفاقيات دولية لتسيير عمليات التنقيب وزيادة إنتاجية الآبار في البلدان النامية ، مساعدات حكومية لتطوير تقنية التنقيب والإنتاج .

وإذا كانت القيود الكمية لن تشكل عقبة في طريق الحصول على النفط ، فإن **الاستقرار السياسي** يتجلى كعنصر أساسي في هذا المجال خاصة في منطقة الشرق الأوسط ، ذلك لأن منطقة الشرق الأوسط/ إفريقيا الشمالية تحتوي على ٥٠ ٪ من مجموع المصادر المستثمرة بالوسائل الحالية . وإن الشرق الأوسط فقط باحتوائه على ٦ / ٧ هذه المصادر يلعب الدور الهام في تحديد الأمور . إنه يملك احتياطياً كبيراً جداً يتجاوز بكثير الحاجات الإقليمية وفيه تتواجد الآبار التي تعتبر معدّلات الاستخراج الحالية فيها من المعدّلات الأكثر ضعفاً . لا شك أن احتياطي الدول الاشتراكية ـ الاتحاد السوفييتي والصين ـ مهم هو الآخر ، إذ يمثل حوالي ٢٣ ٪ من المجموع . ولكن الحاجات الوطنية لهذه الدول كبيرة هي الأخرى ، وإن التقرير يعتبر هذه المنطقة مكتفية بذاتها وغير منفتحة للتصدير .

ونتيجة لهذا فإن منتجي العالم الثالث سيظلون المصدر الرئيسي لتغذية الغرب . وإن هذا العالم الذي يمثل ٣/ ٤ عدد السكان العالمي لن يستهلك خلال ١٩٩٠ ـ ٢٠٠٠ أكثر من ١٥ ـ ٢٠ ٪ من نسبة الاستهلاك العالمي .

إن النفط ـ أكثر من المواد الأولية الأخرى التي يحتاجها الغرب ليتابع تطوره الاقتصادي ـ يكشف عن التبعية المتبادلة بين الأغنياء والفقراء الذين يتقاسمون العيش على الكرة الأرضية .

عن مجلة « العلم والحياة » الفرنسية
العدد ٧٢٢





★ طفل مشلول
مثل كل الأطفال
يحب اللعب والتسلق ★



بقلم : د. فاروق سيد عبد السلام



في بحث سابق تم تناول تصنيف الشواذ حسب نوع ودرجة الشذوذ ، وتم تعريف كل فئة من فئات الشواذ ، وتم تناول بعض المشكلات الخاصة بتحديد وتصنيف فئات الشواذ وبعض المشكلات التي تقابلهم في المجتمع .

ويتناول البحث الحالي الخصائص النفسية للمعوقين وذلك على النحو التالي :

نظرة عامة على شخصية المعوق

لا تختلف عناصر شخصية المعوق عن شخصية الشخص العادي ، إلا فيما يترتب من أثر الإعاقة على سلوك المعوق إزاء عدم قدرته على القيام بالوظائف إلى مستوى الإنتاج الكامل نتيجة قصوره . ولا يرجع سلوك الشخص المعوق سواء كانت إعاقته جسمية أو انفعالية مثلاً لعاهته ، ولكن لعدد من العوامل الدخيلة التي تحدد موقفه بالنسبة للإعاقة .

ويتخذ سلوك المعوق عدة مظاهر تتراوح ما بين تقبل الإعاقة والتوافق معها ، أو الرفض والنكوص والانطواء والتعويض والقلق والعدوان والخجل والشعور بالنقص والإحساس بالذنب والإنكار .

والعاهة المعوقة نفسها لا تعتبر السبب الرئيسي أو الوحيد لأي مظهر من مظاهر سوء التوافق النفسي بل هناك عدة عوامل منها :

- الصراع الناشئ عن تشتت الانتباه والإدراك .
- الاحباط الناشئ عن عدم الوصول للهدف .
- القلق الذي ينشأ عن تجربة سيئة قديمة .

وغالباً ما تتشابك هذه العوامل فيفقد المعوق اتزانه ، وثقته بنفسه ، ومقاومته لمطالب الحياة .

ويحدث صراع لدى المعوق نتيجة عدم استطاعته البت في محاولته للوصول لهدف معين ، وهذا غالباً ما يحدث عندما يحاول المعوق الدخول في مجالات أو ميادين جديدة لم يسبق له تجربتها ، حينئذ يكون الهدف إيجابياً لتوقع الجزاء ، وسلبياً لعدم توافر المعلومات الكافية أو الوسيلة للوصول إلى الهدف ، وبذلك يقع تحت تأثير صراع الإقدام والإحجام .

الإعاقة وأثرها على مفهوم الذات

الذات هي جوهر الشخصية ، ومفهوم الذات هو حجر الزاوية فيها ، وهو محدد هام للسلوك . وقد يسيطر عامل سلبي على مفهوم الذات لدى الفرد كما في حالة الإعاقة ، فيعمم الفرد القصور على الشخصية ككل وينعكس ذلك على سلوكه فيظهر متردداً ضعيف الثقة في نفسه . وغالباً ما ينشأ المعوق في منزل مليء بالعطف والمساعدة فيزداد أمنه وثقته بنفسه حتى إذا ما اكتشف مؤخراً قصوره عن أقرانه فإنه يعقد الصورة الأولى ، ويضعف مفهوم الذات لديه حيث لا يوجد ما يدعم ثقته بنفسه . وهذا ما يحدث أيضاً عندما يوضع الشخص المعوق في فصل من فصول العاديين فيشعر بقصوره عن أقرانه ، فيعمم ذلك في شكل قصور عام شامل في إدراكه الذاتي ، وقد يصعب تعديله فيما بعد . **ويعمل الأخصائيون على تنمية قيمة النواحي الإيجابية في المعوق لكي يتقبل النواحي السلبية دون تأثير في مفهومه عن ذاته** (محمد الخلفاوي) .

ومن العوامل الهامة في تكوين مفهوم الذات لدى المعوق : جوهر الذات ، والتقدير الذاتي .

جوهر الذات : وهو الذي يدل على طبيعة تكوينية محورها اسم « **أنا** » . وفيما يتعلق بالمعوقين فإن الحوادث المتصلة بتشويه الوجه مثلاً تتصل بجوهر الذات بدرجة أكثر مما لو كانت متصلة بالأطراف . وعلى هذا الأساس فالتوافق بالنسبة لتشويه الوجه يكون أكثر صعوبة من التوافق بالنسبة لتشويه أو فقد الأطراف ، كما أن عامل الجنس والتعرف عليه يتصل أيضاً اتصالا وثيقاً بالعوامل المتصلة بجوهر الذات الذي لا يمكن تغييره بسهولة .

ومن ضمن الأمور المتصلة بجوهر الذات نوع العمل الذي يقوم به الفرد ، لذلك فإن مفهوم الذات يكون مهدداً في حالة التقاعد ، أو فقد العمل نتيجة العاهة والإعاقة حيث يتطلب ذلك إعادة تشكيل مفهوم الذات للقيام بدور جديد .

التقدير الذاتي : يختلف تقدير الذات نسبياً من فرد لآخر حسب شدة الإعاقة أو ضعف صلتها بجوهر الذات ، ويتوقف ذلك على تقدير الفرد لمفهومه عن ذاته .

وعادة ما يحدث التعميم من عامل سلبي منفرد كإحدى العاهات ، فيفرض نفسه على شخصية الفرد كلها . ولما كانت العاهة قد تعتبر سلبية التقدير وقد تحتل مكانة هامة في جوهر الذات ومركزاً مهماً في تقدير الذات ، فإن ذلك يهدد مفهوم الذات لدى غالبية المعوقين . ولعلاج ذلك يجب أن تقوم الإيجابية للفرد لیمتصها في مفهومه عن ذاته مع النواحي السلبية للعاهة في عملية توافق مع مزيج من الحب والتقدير ، وبذلك تمحو النواحي الإيجابية أثر النواحي السلبية .

التوقع وأثره على سلوك المعوق

غالباً ما تكون العواطف الموجهة للشخص غامضة حيث توجد عوامل متعددة لإظهار هذه العواطف لدرجة أن الأسلوب الواحد من العواطف قد يعبِّر عن أنواع مختلفة من الشعور السلبي والإيجابي في وقت واحد . لذلك فغالباً ما يعتمد المعوق على إدراكه الذاتي ، وتوقعه ، ٨٠٤٠حيث إنه لا يستطيع الاعتماد على ترجمة العواطف الموجهة إليه تماماً . وكثيراً ما يكون الفرد نفسه مصدراً للاستجابة الصادرة من الآخرين .

وبحكم العادة فإنه يستمد حكم الآخرين عليه من حكمه على نفسه ، وبالتالي حكمه على نفسه من حكم الآخرين عليه . وهكذا يكون لموقف الوالدين والأقربين المحيطين بالفرد المعوق تأثير بالغ على مفهومه عن ذاته وبالتالي على سلوكه وتوقعاته . وهذا الموقف قد يتقبله المعوق أو يرفضه ، وإذا تعدى سلوك الفرد على مدى توقعه فإنه يعاني من **الكبت** . فقد يرى الآخرون المعوق عاجزاً عجزاً كلياً ، ويتوقعون منه سلوكاً أسوأ مما هو عليه في الحقيقة .

وعندما يكتشف الفرد المعوق إعاقته فإنه يعممها في شكل **خجل ومركب نقص** (وكثيراً ما يعتقد أن الآخرين يشعرون بنفس الشعور) . أما إذا تقبل إعاقته في مفهوم ذاته ، وتخلص من شعور بالنقص فإنه يتوقع من الآخرين تقديره واعتباره .

وهكذا يلعب مفهوم الذات دوراً هاماً في سلوك المعوق . . وقد يؤدي موقف الوالدين نحو المعوق إلى الشعور بالنقص ، والشعور بالذنب ، والاستهزاء إذا حاولوا إخفاء هذه الحقيقة وإظهار شعور بالشفقة نحوه .

الحماية الزائدة وأثرها على المعوق

يخطئ بعض الوالدين ويتبعون أسلوب الحماية الزائدة لأولادهم المعوقين . وكثيراً ما يرفض هؤلاء الأولاد هذه الحماية الزائدة ، ويشعرون بأنهم ليسوا عجزة إلى هذا الحد الذي يتصوره ذويهم ، ويناضلون للتخلص من ذلك ولتحقيق الاستقلال .

وفي الواقع يوجد نوعان من الآباء الذين يحمون أولادهم حماية زائدة كمحاولة لإخفاء شعورهم بالذنب فمنهم :

- آباء يتقبلون أبناءهم .
- آباء يرفضون أبناءهم .

ومعروف أن الحماية الزائدة اتجاه سلبي وخاطئ تربوياً حيث إن المبالغة في أي شيء غير مرغوب فيها ، وهذا الاتجاه خليط من التشدد والحنان والعطف الذي يكون الفرد المعوق محوره . أما المبالغة في التدليل فهي نمط من أنماط الحماية الزائدة تتميز بالاستسلام لرغبات الفرد المعوق .

المعرفة لدى المعوق

تلعب الحواس دوراً رئيسياً في الحصول على المعرفة ، ولذلك فإن عيب أو ضعف أو فقدان الحواس يؤثر في دقة الإدراك ، وفي استقبال وترجمة المثيرات وتصنيفها ، والاستجابة لها . وهذا يؤثر على قدرة الفرد المعوق الحسية والإدراكية ، ويؤدي إلى قصوره النسبي في الحصول على المعلومات والمعارف اللازمة له من البيئة .

المعوقون عقلياً (ضعاف العقول)

Mentally Retarded

المعوقون عقلياً هم المتأخرون عقلياً ، وهم ضعاف العقول على اختلاف تصنيفاتهم **تربوياً** إلى : المأفونين والبلهاء والمعتوهين ، **وكلينيكياً إلى : حالات المنغولية ، وحالات القزامة ، وحالات استسقاء الدماغ ، وحالات صغر الجمجمة ، وحالات كبر الدماغ ، وحالات العامل الريزيسي في الدم ، وحالات البول الفينيلكيتوني ، وحالات العته العائلي المظلم .**

القدرة العقلية : أوضح خصائص ضعاف العقول هو **نقص القدرة العقلية العامة ، ونقص قدرتهم على التعلم** . وإذا قورن ضعاف العقول بأقرانهم العاديين في نفس العمر الزمني فإن ضعاف العقول يكونون متخلفين عنهم في عدد من جوانب التعلم مثل الانتباه والذاكرة . وتقل نسبة ذكاء ضعاف العقول عن ٧٠ .

مستوى النضج : ضعاف العقول في الغالب يكونون متأخرين بالنسبة للمعايير العامة للنضج جسمياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً . وهم أيضاً يكونون متأخرين بالنسبة لتحقيق مطالب النمو مثل الجلوس والمشي والكلام . وكلما كان التأخر العقلي شديداً كلما كان تأخر النضج شديداً .

التحصيل الدراسي : يعاني ضعاف العقول من تأخر وضعف التحصيل الدراسي إذا ما قورنوا برفاق عمرهم الزمني . ويكون تأخرهم في التحصيل الدراسي عاماً أكثر منه في مواد معيّنة ، ولكن على العموم فإن أكثر مجالات التحصيل تأثراً بالضعف العقلي هي القراءة والفهم والحساب .

وتدل نتائج البحوث على أن أعلى مستوى تحصيلي يستطيع ضعيف العقل أن يصل إليه هو مستوى الصف الرابع أو الخامس الابتدائي على الأكثر بالنسبة للقراءة والحساب . وقلة من ضعاف العقول هم الذين يستطيعون أن يصلوا إلى مستوى الصف السادس ، وذلك في حالة تقديم الخدمات التربوية الخاصة المناسبة لهم .

الخصائص الاجتماعية : يلاحظ أن **التوافق الاجتماعي** لضعاف العقول لا يكون متأخراً بصفة مطلقة ، ولكنه يكون بسيطاً في حالات الضعف العقلي الخفيف . فضعاف العقول يكادوا يكونون متوافقين نسبياً في الإطار الاجتماعي الأسري ، وإطار الجيرة ، إلا أن التوافق الاجتماعي خارج هذا النطاق يتأثر بالضعف العقلي .

التوافق المهني : تدور معظم البحوث عن التوافق المهني بالنسبة لضعاف العقول من فئة المأفونين الذين يعملون في المهن الدنيا (حمالين وعمال نظافة . . . إلخ) ، وقليل منها يدور حول التوافق المهني للفئات الأقل من البلهاء الذين يعملون عادة في ورش محمية تحت إشراف كامل . وهم على العموم أقل توافقاً .

وفي حالة سوء أو عدم التوافق المهني لضعاف العقول فإن السبب عادة يكمن في سمات الشخصية التي تعوق التوافق الاجتماعي لهؤلاء . يضاف إلى ذلك تأخر عادات ومهارات العمل والتفاعل الاجتماعي مع الزملاء . وعموماً فهم يعملون بمهن غير ماهرة .

الخصائص الانفعالية : يعاني ضعاف العقول من **مشكلات إنفعالية** . فبسبب ضعفهم العقلي واختلافهم عن العاديين تتأثر معاملة الآخرين لهم في المواقف الاجتماعية . وهذا بدوره يؤثر في مفهومهم عن الذات وإحساسهم بالقيمة ، ويضاف إلى ذلك أن وضعهم في المؤسسات غالباً ما يؤدي إلى نقص في دافعيتهم إلى النجاح .

وضعاف العقول إذا ما قورنوا من حيث الخصائص الانفعالية العامة برفاقهم في نفس العمر العقلي — وليس العمر الزمني — فإنهم يكونون مثلهم ، أي لا يوجد فروق جوهرية بينهم . وإذا وجدت فروق في صالح العاديين فإن ذلك راجع إلى وضع ضعاف العقول في مؤسسات الرعاية أو مدارس التربية الفكرية .

خصائص أخرى : تدور معظم البحوث حول **التوافق الزواجي** للمأفونين دون غيرهم من فئات ضعاف العقول الذين لا يتزوجون عادة ، أو يتزوج قليل منهم . والزواج بالنسبة لضعاف العقول ليس هو المشكلة إنما المشكلة هي في تربية الأطفال . ولقد دار الكثير من الجدل حول استخدام موانع الحمل والتعقيم الاختياري لضعاف العقول .

وتعتبر **المشكلات اللغوية** من أوضح المشكلات لدى ضعاف العقول . وتشاهد اضطرابات الكلام مثل صعوبة تكوين الأصوات ، والتلفظ بدرجة أكبر لدى ضعاف العقول منها لدى العاديين . **وعلى العموم فإن ما يقرب من نصف عدد ضعاف العقول يعانون من اضطرابات الكلام وتتوقف شدة اضطراب الكلام على شدة الضعف العقلي** . فمثلاً يشاهد رتابة الكلام وبطئه عند البلهاء ، وقد يصل الاضطراب إلى عدم القدرة على الكلام عند المعتوهين .

وتلاحظ بعض **الخصائص الحركية** مثل عدم كفاءة ضعاف العقول ونقص مهاراتهم الحركية . كذلك تلاحظ بعض **الخصائص الإدراكية** ، فكلما زادت درجة التأخر العقلي زادت صعوبة الإدراك السمعي والبصري .

المعوقون جسمياً

The Physically Handicapped

يقصد بالمعوقين جسمياً هنا جماعات المقعدين والمصابين بشلل الأطفال والمصابين بالتهاب العظام والمفاصل والمصابين بعيوب الهيئة والمشوهين .

القدرة العقلية : تزداد نسبة التأخر العقلي في **الإعاقة الجسمية** التي يسببها اضطراب عصبي عضلي مثل **الشلل المخي** . أما عن ذكاء هؤلاء فنجد حوالي ٣٠٪ منهم متأخرين عقلياً .

التحصيل الدراسي : ليس من السهل ذكر تعميمات عن التحصيل الدراسي للمعوقين جسمياً كجماعة ، لأنهم يختلفون اختلافاً كبيراً في طبيعة وشدة حالاتهم . فكثير من الأطفال المعوقين جسمياً يتغيبون كثيراً عن المدرسة بسبب زيارتهم للمستشفيات والمختصين ، وبسبب ضرورة الراحة في المنزل . . . إلخ ، وبعضهم يتغلب جيداً بطرق التدريس العادية ، بينما البعض الآخر يحتاج إلى طرق خاصة بسبب إعاقتهم الجسمية الشديدة ، أو لازدواج عاهاتهم . وبسبب العوامل التي تؤثر على دراستهم فإن بعضهم يكون متأخراً دراسياً عن رفاقه رغم كون ذكائه عادياً ورغم وجود الدافع لديه .

وبعض المعوقين بدرجة طفيفة لا يشكون من صعوبات دراسية . وقليل من المعوقين إعاقة شديدة ومزمنة يستطيعون التفوق دراسياً رغم حالتهم الجسمية . وعادة ما نجد أن هؤلاء المعوقين جسمياً المتفوقين دراسياً لديهم قدرة عقلية معرفية عالية ودافعية قوية يستفيدون من رعاية مدرسيهم وآبائهم تربوياً .

وعلى أي حال فإن التحصيل الدراسي للمعوقين جسمياً يجب أن يتم دراسته بعناية في كل حالة فردية حتى تهيئ أنسب بيئة تعليمية ممكنة لتحقق أفضل نمو ، وأفضل تحصيل دراسي ممكن .

الخصائص الاجتماعية

تنقسم الخصائص الاجتماعية إلى ثلاثة تقسيمات داخلية على النحو التالي :

اتجاه المجتمع نحو المعوق جسمياً : تؤثر اتجاهات أفراد المجتمع الذي يعيش فيه المعوق جسمياً تأثيراً كبيراً على مفهوم الذات لديه ، وعلى فرصته في التوافق النفسي ، والتعليم والعمل . فإذا كان اتجاه أفراد المجتمع معبّراً عن الخوف أو الرفض أو التفرقة ، فإن على المعوق جسمياً أن يبذل جهداً كبيراً في محاولة إخفاء إعاقته والتغلب عليها . وإذا كان الاتجاه العادي هو العطف وتوقع العجز فإن المعوق جسمياً يميل إلى سلوك يظهر الاتكالية . وبقدر ما يرى أفراد المجتمع المعوق جسمياً رؤية موضوعية كفرد له حدود معينة ، وبالرغم منها فإنه مثله مثل الآخرين ، فإن المعوق جسمياً سوف يكون في موقف مشجع على الاستقلال والإنتاج في المجتمع .

وهناك عوامل تشير إلى تقبل المجتمع للمعوقين جسمياً . فقد أصبح أصحاب المهن يشجعون الاستفادة منهم في العمل ، وكسر الحواجز التي تمنع المعوقين من استخدام التسهيلات الاجتماعية ، والاستفادة منها مما يقلل من التفرقة . وقد أصبح أفراد المجتمع يرون المعوق جسمياً في مواقع عمل وإنتاج كمواطنين يقومون بدورهم . ولا شك أن النظرة الحديثة التي تتبناها معظم الحكومات تؤكد حق كل فرد معوق جسمياً في التعليم والعمل والكسب الشريف . ولا شك أن هذا الاتجاه العام يشجع الاتجاهات الإيجابية نحو المعوقين .

ولكن توجد بعض حالات الإعاقة الجسمية يشعر أصحابها باتجاهات الرفض والخوف والعطف والتفرقة من جانب من يتعاملون معهم ، وكلما كانت الإعاقة الجسمية واضحة وظاهرة أهمل اعتباره وزاد التعامل معه في شيء من السلبية من جانب المجتمع .

اتجاه الأسرة نحو المعوق جسمياً : يلعب اتجاه الأسرة نحو المعوق جسمياً دوراً هاماً ورئيسياً في حياته سواء كان الاتجاه إيجابياً أو سلبياً . فقد يزيد الطين بلة ويتضاعف الاتجاه السالب من جانب الآخرين . ولا شك أن الوالدين اللذين يرزقان بطفل معوق جسمياً ولادياً أو إصابياً تعتبر خبرة درامية بصرف النظر عن طبيعة الحالة . ولا جدال في أن الأسرة التي يكون طفلها معوقاً إعاقة شديدة يكون بمثابة صدمة عنيفة لها ، وخيبة أمل واكتئاب . ويشعر الوالدان غالباً بالخجل والذنب والإحباط .

وينتاب أسرة المعوق جسمياً اضطراب عام في العادة . فمثل هذا الطفل يحتاج إلى أموال قد تكون فوق طاقة الأسرة الاقتصادية ، ويحتاج إلى جهد ووقت كبيرين . وقد يتبادل الوالدان اللوم والأسى على سوء حظهما ، ويهملان بعضهما البعض ، أو يهملان أطفالهما الآخرين ، أو يحاولان إنكار أن طفلهما ليس عادياً . وإخوة الطفل المعوق قد يرفضانه ، ويتضجرون من الرعاية والاهتمام الذي يجب أن يناله . وقد تولي الأسرة الطفل المعوق جسمياً حماية زائدة مما يجعله في مرحلة طفولة شبه دائمة .

وهناك أمثلة كثيرة لمعوقين جسمياً فقدوا أطرافهم ـ أذرعهم أو أرجلهم ـ ونجح الوالدان والإخوة في جعل نموهم يسير سيراً عادياً عن طريق المعاملة السليمة والاحترام ، وجعل حياتهم مثل حياة إخوتهم العاديين .

وفي مثل هذه الحالات حيث ينجح الوالدان في تجنب التأثير السيء على شخصية وسلوك الطفل المعوق جسمياً فإن نموه يكون عادياً . وعلى العموم فإن معظم الأسر لا تعامل الطفل المعوق جسمياً مثل هذه المعاملة المتكاملة السليمة إلا إذا حصلت على الإرشاد المناسب من جانب المرشدين النفسيين ، والأخصائيين الاجتماعيين ، والمختصين الآخرين ، الذين يعملون في إطار مؤسسات رعاية المعوقين .

اتجاه المعوق جسمياً نحو نفسه : إن اتجاه المعوق جسمياً نحو

إعاقته الجسمية يعتبر إلى حد كبير انعكاساً لطريقة معاملة الآخرين له . فالخجل والشعور بالذنب استجابات متعلمة . وتنمو لدى الطفل مثل هذه المشاعر السالبة عندما يستجيب له الآخرون بما يوحي بالخجل واللوم له ولأمثاله لاختلافهم جسمياً . إن الطفل يكون مستقلاً ومكتفياً ذاتياً في حدود عجزه الجسمي أكثر من كونه معتمداً على الآخرين ومحتاجاً لهم . وفي ضوء ما يتعلمه من أمور رعاية نفسه ، وإشباع حاجاته . والطفل سوف ينمو لديه مفهوم واقعي عن ذاته ، ويحدد أهدافاً واقعية لذاته كلما كان الآخرون أمناء وصرحاء في تقييمهم لحالته .

وتشاهد في بعض الحالات رغبة المعوق جسمياً في أن يصبح عادياً ، وأن يشارك في نفس الأنشطة التي يقوم بها العاديون ، وتخيله في أن تختفي الإعاقة اختفاء سحرياً مفاجئاً . وعلى أي حال فإن المعاملة المناسبة والمعتدلة للمعوق جسمياً بأنه يمكن أن يتقبل إعاقته ، وأن يحيا حياة سعيدة بالرغم من اعترافه بطبيعة حالته .

كذلك يتوقع الخوف والقلق لدى المعوق جسمياً . فمن الطبيعي أن يخاف الوحدة ، أو الانفصال عن والديه ، أو الإيداع في المستشفى ، وخضوعه المستمر للفحوص الطبية ، وعمليات قد تكون مؤلمة . وفي هذا الوقت أيضاً فإن المعاملة الخبيرة يمكن أن تقلل الضغط الانفعالي والأثر السيئ . وفي حالة الإيداع في المستشفى فإن الصدمة النفسية لا تحدث بالضرورة . فبيئة المستشفى قد تكون في الواقع أكثر ترحاباً من منزل الطفل المعوق جسمياً حيث قد يسود الإهمال والرفض له .

وهناك اعتبارات هامة فيما يتعلق بالآثار النفسية للإعاقة الجسمية مثل سن المعوق ، وطبيعة الإعاقة ، وما إذا كانت الإعاقة ولادية أو مكتسبة ، متزايدة أو غير متزايدة . وعلى أي حال ، فإن هذه العوامل ليست واحدة في تأثيرها لدى الأطفال المعوقين جسمياً . فذو الإعاقة الجسمية البسيطة نسبياً ، والقصيرة الأمد قد يكون أسوأ توافقاً وأكثر قلقاً واضطراباً بالنسبة لأسرته من معوق آخر إعاقته دائمة وأشد منه . ولا شك أن فهم مشاعر المعوق ومشاعر أسرته بخصوص الإعاقة يعتبر عنصراً رئيسياً بالنسبة لتعليمه وتأهيله (هالاهان وكوفمان Hallahan & Hauffman ١٩٧٨ م) .

المعوقون بصرياً

The Visually Handicapped

المعوقون بصرياً يضمون العميان وضعاف البصر . ومن العميان من يكون عماهم كلياً أو جزئياً ، ولادياً أو إصابياً ، مبكراً أو متأخراً .

القدرة العقلية : دلت نتائج الدراسات المختلفة أن العميان كطائفة لا يختلفون عن المبصرين في الذكاء ، رغم أن تطبيق الاختبارات عليهم يدل على أن هناك فرقاً ضئيلاً لصالح المبصرين في نسبة الذكاء ، إلا أن هذا الفرق يمكن التغاضي عنه . كما تدل نتائج البحوث أيضاً على أن نسبة المتفوقين من المبصرين أعلى منها لدى العميان ، وأن نسبة المتخلفين في الذكاء أعلى عند العميان منها عند المبصرين (مصطفى فهمي ، ١٩٦٥ م) .

وبخصوص **القدرة اللفظية** توجد وجهتي نظر عن ما إذا كانت الإعاقة البصرية تؤثر في القدرة اللفظية أم لا . فمعظم الباحثين يعتقدون أن نقص الإبصار لا يقلل قدرة الفرد على فهم واستخدام اللغة ، وأن المعوقين بصرياً لا يختلفون عن المبصرين في **اختبارات الذكاء اللفظي** . وحيث إن الإدراك السمعي — أكثر من الإدراك البصري — هو الواسطة الحسية التي يتعلم الفرد من خلالها اللغة ، فإن ما وصل إليه الباحثون من أن العميان لا يتأثر نموهم اللغوي بإعاقتهم يعتبر أمراً معقولاً . فالأعمى يستطيع أن يسمع الكلام ، وقد يكون أكثر واقعية من المبصر لاستخدام اللغة لأنها هي الوسيلة الأساسية للاتصال بالعالم الذي يعيش فيه .

كذلك يوجد لدى المعوق بصرياً قدرات أخرى مساعدة مثل القدرات التصورية والمفاهيم المكانية والخبرة اللمسية .

التحصيل الدراسي : الدراسات التي أجريت حول التحصيل الدراسي للعميان مقارناً بالتحصيل الدراسي للمبصرين ، عليها ملاحظات منها أن المقارنة المباشرة يكون مشكوكاً فيها ، لأن كلاً من الجماعتين يجب أن يقاس تحصيلها تحت ظروف مختلفة . وبالرغم من المشكلات التي تتدخل في عملية القياس في التحصيل الدراسي للمعوقين بصرياً ، فإن بعض التعميمات يمكن استخلاصها من نتائج البحوث حول هذا الموضوع . وتوجد بعض الدلائل على أن كلاً من المبصرين جزئياً والعميان يختلفون قليلاً عن رفاقهم المتساوين معهم في العمر العقلي . كذلك فإن تحصيل المعوقين بصرياً لا يتأثر تأثيراً كبيراً كما يتأثر تحصيل المعوقين سمعياً .

الخصائص الاجتماعية : تتناقض الآراء حول ما إذا كان المعوقون بصرياً أقل توافقاً من المبصرين . وحيث إن نتائج البحوث لا تؤكد ، أو لا تقطع بأن المعوقين بصرياً يكونون أسوأ لجهة التوافق فإنه يمكن القول بأن المشكلات الشخصية لا ترتبط بالعمى . وتشير نتائج معظم البحوث إلى أنه حتى في حالة سوء التوافق لدى العميان — نسبياً — إذا ما قورنوا بالمبصرين فإن ذلك يرجع في الأغلب والأعم إلى معاملة المجتمع للعميان على أنهم مختلفون .

وعادة ما نجد أن الاستجابة الاجتماعية للمعوق بصرياً تؤدي إلى الاتكالية والاعتماد على الآخرين وبالعجز . وربما يرجع ذلك إلى خبرات الناس الشخصية بالظلام وشعورهم بالضياع والعجز . إلا أن المعوق بصرياً قد مر بخبرات كثيرة ومواقف تعلم ، وتعلم أن يرى القليل أو لا يرى مطلقاً . ولذلك فهو لا يكون في نفس الموقف السيئ الذي يجد المبصر نفسه فيه عندما يوجد فجأة في موقف لا يستطيع فيه الرؤية .

ويلاحظ أن التواكل وغيره من المشكلات الاجتماعية قد تنتج عن التفاعل الاجتماعي الخاطئ بين المعوقين بصرياً وبين الوالدين خاصة الأمهات .

الخصائص الانفعالية : أظهرت معظم البحوث أنه لا يوجد فروق جوهرية في مستوى التوافق على أبعاده المختلفة بين المعوقين بصرياً ، وبين المبصرين ، وأن معظم هذه البحوث تؤكد أن اتجاه المجتمع نحو المعوقين بصرياً يهيئ بيئة تزداد فيها المشكلات الشخصية .

وعلى العموم ليس هناك ما يثبت أن المعوقين بصرياً أقل توافقاً من المبصرين .

وفيما يتعلق بمفهوم الذات مثلاً فإن البحوث عموماً تشير إلى عدم وجود خفض لمدركات المعوق بصرياً لذاته .

وتشير بعض البحوث إلى أن المعوقين بصرياً لا يتقبلهم رفاقهم من المبصرين بالدرجة المطلوبة . كما تشير بعض البحوث إلى أن المعوقين بصرياً إعاقة شديدة يتقبلهم المبصرون تقبلاً أفضل من تقلبهم للمعوقين بصرياً بدرجة أقل . وتشير الدراسات إلى نقص التوافق لدى المبصرين جزئياً عنه لدى المعوقين بصرياً . ويفسر البعض الاتجاهات السالبة نحو المعوقين بصرياً إلى أن نوع الإعاقة هذه يخافها الكثيرون .

خصائص أخرى : من أشيع **أساليب المعاملة** التي تؤثر في سلوك المعوق بصرياً : **العطف والشفقة** . فالناس ينظرون إلى المعوقين بصرياً في صورة شحاذين ، أو بائعين صوريين لعلب الكبريت ، وغيرها ، لتغطية التسول ، لأنهم لا يوجد لديهم مهارات يجيدونها .

وفي الحقيقة فإن البعض يعتقدون أن الشحاذين المعوقين بصرياً هم في الواقع من أكثر فئات المعوقين اعتماداً على النفس ، ومن أقواهم شخصية . ويرى البعض أن اللوم بالنسبة للاتكالية المشاهدة عند المعوقين بصرياً يرجع إلى مئات المنظمات والمؤسسات والبرامج الخاصة بهم ، فالمعوقون بصرياً يعتمدون على المؤسسات في عدد من الخدمات مثل خدمات التشغيل وغيرها . (زهران Zahran ١٩٦٥م) .

المعوقون سمعياً

The Auditarually Handicapped

المعوقون سمعياً يضمون الصم وضعاف السمع . ومن الصم من يكون صممهم كلياً أو جزئياً ، ولادياً أو إصابياً ، مبكراً أو متأخراً .

القدرة العقلية : القدرة العقلية للمعوقين سمعياً ــ خاصة الصم ــ لقيت الكثير من اهتمام الباحثين . ووجد أن تأثير فقدان السمع على النمو اللغوي يكون كبيراً مما يؤثر بدوره على النمو العقلي المعرفي . وربما نتصور مدى تأثير القدرة اللغوية الضعيفة أو المفقودة على القدرة العقلية على أساس أن النمو اللغوي في السنوات الأولى من حياة الفرد يكون بمثابة كلام داخلي ، وهو يعادل الفكر المعرفي . وعلى هذا فإن النمو العقلي المعرفي للشخص ينمو في تواز مع نموه اللغوي وبالتالي فإن الفرد المعوق إعاقة شديدة يكون أيضاً معوقاً في قدرته العقلية المعرفية .

كذلك نجد أن القدرة العقلية المعرفية للصم تكون أقل من العاديين فيما عدا بعض المفاهيم التي تعتمد اعتماداً كلياً على الخبرات الكلية .

وقد يرجع نقص الأداء العقلي المعرفي للصم إلى نقص الخبرات والمثيرات البيئية خاصة في الأسرة .

التحصيل الدراسي : في كثير من الأحيان ــ ولسوء الحظ ــ نجد أن الأطفال المعوقين سمعياً يكونون بدرجات متفاوتة معوقين في التحصيل الدراسي . فالقدرة على القراءة تعتمد كثيراً على المهارات اللغوية التي تعتبر عنصراً هاماً في التحصيل الدراسي وهي أكثر القدرات تأثراً بالإعاقة السمعية .

ويلاحظ أنه إلى جانب الإعاقة السمعية يتأثر التحصيل الدراسي للمعوقين سمعياً بمستوى الذكاء واللغة والدافعية .

ويلاحظ كذلك أن المواد الدراسية الأخرى التي تعتمد على القراءة تتأثر بدورها بالإعاقة السمعية مثل العمليات الحسابية وغيرها .

الخصائص الاجتماعية : يعتمد نمو الشخصية اجتماعياً على عملية الاتصال . ويعتمد التفاعل الاجتماعي أساساً على تناقل الأفكار بين فردين أو أكثر . ولدى العاديين تعتبر اللغة أهم وسائل الاتصال الاجتماعي . وحيث إن عملية التنشئة الاجتماعية تعتمد إلى حد كبير على اللغة فقد وجد الدارسون أن المعوقين سمعياً يكون لديهم خصائص تختلف عن تلك الخصائص التي توجد لدى العاديين . ويلاحظ أن مشكلات الشخصية لدى المعوقين سمعياً ليست من النوع الشديد ، ولكن الذي يوجد منها لدى الصم مثلاً هي مشكلات الحياة مثل مشكلات الزواج ، ومشكلات التوافق المهني ، وغيرها .

وكما نعرف فإن المعوق سمعياً لا يستطيع الاتصال والتفاعل الاجتماعي تماماً مع أفراد المجتمع ، ولذلك فإنه ينمو في شبه عزلة ، خاصة إذا كانت الأسرة كلها عاديين . والمعوق سمعياً يحتاج إلى التفاعل الاجتماعي والتقبل ، وهذا يدفعه إلى الارتباط أكثر برفاقه من المعوقين سمعياً . ومما يلاحظ أن فئة المعوقين سمعياً دون غيرهم من فئات المعوقين هم الذين يميلون إلى الاختلاط اجتماعياً برفاقهم من المعوقين سمعياً مما يجعلهم جماعة متماسكة . ومن مظاهر ذلك منظمات ونوادي الصم في كثير من بلاد العالم حتى ليبدون وكأنهم فئة مستقلة . وهذه النوادي والمنظمات تعتبر سلاحاً ذا حدين فقد ينفع في بعض الأحيان وقد يضر أيضاً .

والمعوقون سمعياً يعتبرون أنفسهم جماعة فرعية من المجتمع . وهذه من أهم خصائصهم الاجتماعية التي تميّز هذه الفئة عن غيرها من فئات الشواذ .

الخصائص الانفعالية : للإعاقة السمعية في حد ذاتها ردود فعل في المجتمع الذي يعيشون فيه خاصة مشاعر الإحباط عندما يحاول المعوق سمعياً الاختلاط والتفاعل مع رفاقه الذين يسمعون ، وبصفة خاصة في مجال المهنة والعمل حيث يحتاج المعوق سمعياً إلى التفاهم مع زملائه .

الخصائص المهنية : يعمل معظم المعوقين سمعياً في مهن يدوية ، وقلة منهم يعملون في وظائف مهنية أو وظائف كتابية . وهذا يعني أن فرص العمل المتنوع ليست كثيرة أمامهم حيث تقتصر على تلك التي لا تحتاج إلى لغة .

ورغم أننا نجد المعوقين سمعياً يكونون كعاملين على مستوى جيد ومثابر فإن كثيرين منهم يعانون من البطالة .

وفي مجال الإرشاد المهني نجد أن معظم العاملين يميلون إلى توجيه المعوقين سمعياً إلى الأعمال الماهرة وشبه الماهرة . ومن أشهر الكليات في العالم **كلية جالوديت للصم في أميريكا** وهي تقدم برامج خاصة لطلابها .

ولا شك أن تنوع المهن المتزايد مع التقدم العلمي والتكنولوجي يجعل المعوقين سمعياً في موقف صعب بالنسبة لفرص العمل المتاحة لهم في المجتمع (كيرك Kirk ، ١٩٧٠ م) .

المعوقون انفعالياً

The Emotionally Handicapped

وهم أولئك الذين ينحرفون عن العاديين من حيث السمات الانفعالية ويكون سلوكهم الانفعالي مضطرباً ، ويواجهون صعوبة في التوافق الشخصي والانفعالي . وتضم فئة المعوقين انفعالياً أشكالا من الانحرافات السلوكية الانفعالية مثل الحساسية الانفعالية والاستثارية والاندفاعية ، والعدوان ، والغيرة ، والغضب ، والعدوان الموجه نحو الذات ، ومشاعر الذنب الشاذة ، وكذلك تضم حالات العصاب والذهان .

القدرة العقلية : يلاحظ أن الاضطراب الانفعالي يؤثر في الأداء عند قياس الذكاء ، فهو يعوق الفرد عن أقصى أداء يستطيعه إذا لم يكن مضطرباً انفعالياً . ويمكن القول بعبارة أخرى إن نسبة ذكائهم الحقيقية تكون عادة أعلى مما يحصلون عليه فعلاً مقاساً باختبارات الذكاء . وعلى العموم فإن نسب الذكاء الأقل من المتوسط لدى المضطربين انفعالياً تدل على نقص قدرتهم في أداء الأعمال التي يستطيع رفاقهم القيام بها بنجاح ، وتتفق درجاتهم المنخفضة مع نقص أدائهم التحصيلي ، ونقص مهاراتهم الاجتماعية بسبب اضطرابهم الانفعالي .

التحصيل الدراسي : يعتقد أن معظم الأطفال المضطربين انفعالياً يميلون إلى أن يكونوا متأخرين دراسياً عما يتوقع بالنسبة لعمرهم العقلي . ومن النادر نسبياً أن نجد طفلاً مضطرباً انفعالياً ومتفوقاً تحصيلياً في آن واحد . **ومعظم الأطفال شديدي الاضطراب الانفعالي يكونون متأخرين في القراءة والحساب ،** وحتى أولئك الذين يجيدون القراءة والحساب يكونون في العادة غير قادرين على تطبيق مهاراتهم في الحياة اليومية . فكثير من الأطفال المضطربين انفعالياً تنقصهم المهارات الأساسية لرعاية أنفسهم ومهارات الحياة اليومية مثل النظافة واللبس والطعام . . . إلخ .

الخصائص الاجتماعية : من أوضح خصائص السلوك الاجتماعي للمعوقين انفعالياً السلوك غير الناضج والسلوك الانسحابي . ويعتبر السلوك غير الناضج والانسحابي عائقاً حقيقياً للتفاعل الاجتماعي السليم . ويعتبر السلوك غير الناضج والسلوك الانسحابي من أهم خصائص المعوقين انفعالياً ، بل ومن أعراض **فصام الطفولة** . ويعتبر وجودهما لدى الأطفال مما ينبئ بسوء الصحة النفسية فيما بعد حيث يصبح الفرد غير قادر على إقامة العلاقات الاجتماعية السليمة ، وغير قادر على مقابلة ضغوط ومطالب الحياة اليومية .

والمعوقون انفعالياً الذين يكون سلوكهم غير ناضج وانسحابي يبدو لديهم مناوأة الآخرين ، والانعزالية ، وقلة عدد الأصدقاء ، والبعد عنهم ، ونقص المهارات الاجتماعية واللجوء إلى الخيال ، وعدم الاعتماد على النفس .

ولا شك أن السلوك غير الناضج والانسحاب والسلوك المضاد للمجتمع عندما يظهر في الطفولة فإنه ينبئ عن اضطراب التوافق الاجتماعي في المستقبل وسوء الصحة النفسية كذلك .

الخصائص الانفعالية : السلوك العدواني هو أظهر أشكال السلوك المضطرب انفعالياً لدى الأطفال المعوقين انفعالياً ، ويظهر ذلك في الضرب والمشاجرة والاغاظة والمناوأة والصراخ والتخريب والتشرد . ويكاد يكون السلوك اندفاعياً متكرراً مقلقاً للآخرين سواء من رفاق سنهم أو من الكبار .

ويلاحظ زيادة النشاط مع العدوان مما يجعل هؤلاء الأطفال يطلق عليهم **الجانحون اجتماعياً** أو المرضى اجتماعياً . إن سلوكهم يكون مضايقاً للآخرين ويكون مقاوماً للتغير باستخدام الوسائل العادية للنظام . وحتى إذا استخدم معهم العقاب فإنه لا يكون مجدياً .

وعلى العموم فإن الأطفال المضطربين انفعالياً يضايقون مخالطيهم ، ويتلقون عقاباً كثيراً ، ومن ثم تكون مشكلتهم مشكلة مضاعفة حيث في الأغلب والأعم نجد حلقة مفرغة تتكون « سلوك انفعالي مضطرب ــ عقاب ــ سلوك انفعالي مضطرب » . . . وهكذا .

وتكمن وراء العدوان عوامل الاحباط ، ويرجعه البعض إلى عوامل نفسية دينامية ويعتبرونه عرضاً لدوافع نفسية كامنة لا شعورية .

ويرى البعض أن العدوان سلوك متعلم من خلال ملاحظة الطفل للسلوك العدواني لوالديه وإخوته ورفاقه ، ومن خلال ما يشاهده في التليفزيون والسينما .

ويلعب التقليد دوراً هاماً هنا ، ويصبح الطفل ميالا إلى العدوان كلما كانت الفرصة متاحة أمامه لممارسته .

خصائص أخرى : وهناك **خصائص خاصة بشديدي الإعاقة الانفعالية** فيعتبر الأطفال شديدي الإعاقة الانفعالية بحق معوقون فعلاً . وهم يختلفون حتى عن أقرانهم الذين يعانون من اضطراب انفعالي بسيط أو متوسط .

وأهم الخصائص الخاصة بشديدي الإعاقة الانفعالية هي :
نقص مهارات الحياة اليومية ، والانحرافات الإدراكية ، والنقص العقلي المعرفي ، والبعد الاجتماعي عن الآخرين ، والاضطرابات اللغوية والكلامية ، والإثارة الذاتية ، والسلوك المؤذي للذات ، والعدوان على الآخرين .

ولا يخفى أن هذه الخصائص تجعل التنبؤ في حالة أمثال هؤلاء الأطفال ضعيفاً ، فسلوكهم على العموم منفعل ومتهور ، ويتطلب إشرافاً مستمراً وعناية مكثفة .

المعوقون اجتماعياً

The Socially Handicapped

وهم أولئك الذين ينحرفون عن العاديين من حيث السمات الاجتماعية ، ويكون سلوكهم الاجتماعي مضطرباً ، ويواجهون صعوبة في التوافق الشخصي والاجتماعي . وتضم فئة المعوقين اجتماعياً أشكالا شتى من الانحرافات السلوكية الاجتماعية مثل **السلوك السيكوباتي** ، والسلوك المضاد للمجتمع ، والكذب ، والسرقة ، والنشل ، والتزييف ، والشغب ، والتخريب ، والخطورة على الأمن ، والهروب ، والتشرد والبطالة والتمرد ، والانحرافات ، الجنسية ، والإدمان .

القدرة العقلية : تدل البحوث على وجود علاقة بين الانسحاب الاجتماعي وتأخر النمو العقلي المعرفي والتأخر الدراسي . ويؤكد **بياجيه** أهمية التفاعل الاجتماعي بالنسبة للنمو العقلي المعرفي ، فهما جانبان مترابطان . ويلاحظ لدى المنحرفين اجتماعياً أن غالبيتهم حالات حدّية وضعاف عقول ، وأن قلة منهم أذكياء .

التحصيل الدراسي : تدل البحوث أيضاً على أن الأطفال المنحرفين اجتماعياً يكونون متخلفين دراسياً في المدرسة ، ويعانون من مشكلات في التعلم ، وذلك بسبب محدودية الإثارة الاجتماعية ، وانخفاض مستوى السلوك الاجتماعي . ويلاحظ أن الأطفال المنحرفين اجتماعياً يكرهون المدرسة ، ويقاومون نظامها ، ولا يهتمون بالمناهج ، ويحطمون أدوات المدرسة ، ويهربون منها ، ويؤدي ذلك في النهاية إلى فشلهم دراسياً ورسوبهم .

ومن المعروف أن المشاركة بين التلاميذ بعضهم بعضاً يؤدي إلى تحسين التحصيل ، فالأطفال يتعلمون أكثر من خلال تفاعلهم الاجتماعي .

الخصائص الاجتماعية : يكون الأطفال المنحرفون اجتماعياً ، بطبيعة الحال ، غير متوافقين اجتماعياً ويسببون المتاعب في الأسرة والمدرسة والمجتمع ، ويجنحون في أشكال متعددة كالسرقة وغيرها حتى القتل .

ومن خصائص المنحرفين اجتماعياً البارزة **الانسحاب الاجتماعي** ، والبعد عن الناس ، وقلة الأصدقاء ، والاستجابة الاجتماعية المنحرفة المغايرة لمعايير السلوك الاجتماعي ، ونقص الضبط للسلوك الاجتماعي ، وفقر وانحطاط وضحالة السلوك الاجتماعي . وهذا يؤدي إلى مزيد من العزلة الاجتماعية ، والرفض الاجتماعي أو إلى السلبية والتبعية والانطواء . ويلاقي المنحرفون اجتماعياً صعوبات اجتماعية في الأسرة والمدرسة والمجتمع .

الخصائص الانفعالية : تدل البحوث على أن هناك علاقة بين الإعاقة والانحراف الاجتماعي في الطفولة ، وبين الفصام في المراهقة والرشد . فقد وجد أن حالات الفصام في الرشد لها تاريخ يميّزه الانسحاب ، وعدم التوافق الاجتماعي في الطفولة ، حيث لوحظ في تاريخ حياة المرضى خلال طفولتهم ، الخجل والحساسيّة الزائدة والسلبية ، والبعد عن الناس وقلة الأصدقاء أو انعدامهم ، والتبعية والانطواء والخوف .

المراجع

أولا : المراجع العربية :

– حامد عبد السلام زهران (١٩٧٨ م) ، الصحة النفسية والعلاج النفسي (ط٢) ، القاهرة ، عالم الكتب .

– ستيرن إديث وكاستنديك ، ألزا (ترجمة) فوزية بدران (١٩٦١ م) ، الطفل العاجز ، القاهرة ، دار الفكر العربي .

– عبد المجيد عبد الرحيم ولطفي بركات (١٩٦٦ م) ، سيكولوجية الطفل المعوق وتربيته ، دراسات نفسية تربوية للأطفال غير العاديين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .

– فاروق صادق (١٩٧٤ م) ، سيكولوجية التخلف العقلي ، الرياض ، مطبوعات جامعة الرياض .

– محمد عبد الوهاب الخلفاوي (د . ت .) ، علم النفس للمعوقين ، القاهرة ، المركز النموذجي لرعاية وتوجيه المكفوفين .

– مختار حمزة (١٩٧٥ م) ، سيكولوجية المرضى وذوي العاهات (ط٣) ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

– مصطفى فهمي (١٩٦٥ م) ، مجالات علم النفس ، المجلد الثاني ، سيكولوجية الأطفال غير العاديين ، القاهرة ، مكتبة مصر .

– يوسف الشيخ وعبد السلام عبد الغفار (١٩٦٦ م) ، سيكولوجية الأطفال غير العاديين والتربية الخاصة ، القاهرة ، دار النهضة العربية .

ثانياً : المراجع الإفرنجية :

-HALLAHAN, D. P. and KAUFFMAN, J. N. (1978).
Exceptional Children: Introduction to Special Education.
Englewood Cliffs: Prentice-Hall.

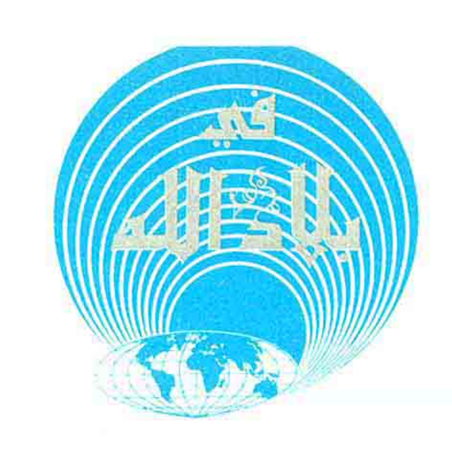
-KIRK, S. (1970).
Educating Exceptional Children.
Calcutta: Oxford & IBH Publishing Co.

-HARING, N. G. (Ed.) (1974).
Behavior of Exceptional Children: An Introduction to Special Education.
Columbus, Chio; Charles Merrill Publishing Co.

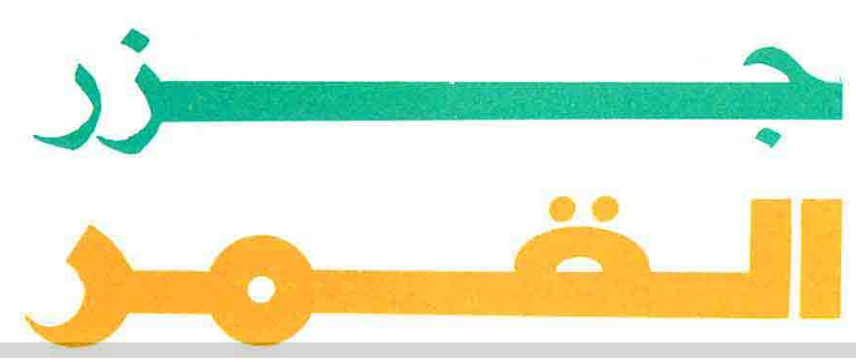
-PETERSON, D. (1974).
Educable mentally retarded.
In HARING (1974) PP. 295-374.

-STRAINE, P. S., COOKE, T. P. and APOLLONI, T. (1976).
Teaching Exceptional Children: Assessing and Modifying Social Behavior.
New York: Academic Press.

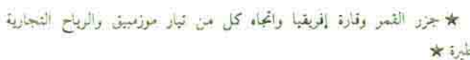
-ZAHRAN, H. A. S. (1965).
A Study of Personality Differences Between Blind and Sighted Children.
British Journal of Educational Psychology, 35, 329-338.

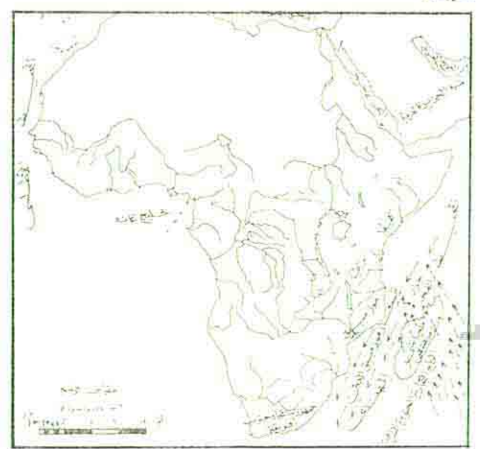


على الرغم من انتقال المسلم منذ أيام إلى القرن الخامس عشر من التاريخ الإسلامي العظيم ، إلا أنه ما زال في حاجة ماسة إلى المعرفة والاطلاع العلمي الحق على أجزاء واسعة من عالمنا الإسلامي[1] ، المترامي الأطراف ، الواسع المساحة ، المتعدد في شعوبه ، الذي يعكس لنا المد والانتشار العظيم الذي يعيشه الدين الإسلامي الحنيف ليعم بنوره المعمورة من أجل هداية البشرية إلى طريق الحق والخير والعدل والإيمان .



بقلم : د . احمد رمضان شقلية


★ جزر القمر وقارة إفريقيا واتجاه كل من تيار موزمبيق والرياح التجارية المطيرة ★



★ جزء من جزيرة مبوت وعليه إحدى ضواحي مدينة زاوزي عاصمة الجزيرة ★

وموضوع دراستنا الجغرافية هذه هي عن **جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية**[٢] أحدى أقطار عالمنا الإسلامي الذي لم تصل معلوماته الجغرافية الطبيعية والبشرية بعد إلى معظم المسلمين ، حتى الفئة التي تعرف عنها نجد أن معلوماتها غير واضحة .. بمعنى أن هذه الدراسة الجغرافية تجيء في وقتها لتوضح بكل تواضع في سطور ، صفحاتها وخرائطها وصورها معظم ما هو مطلوب من معرفة جغرافية عن هذا الأرخبيل الجزري الإفريقي المسلم الذي عاش فترة طويلة تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية ، التي عزلته عن عالمه الأم (الإسلامي) ، ثم لانشغال الأقطار الإسلامية عنه بحل مشكلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ولا أظن أن هذه الجزر المسلمة هي الوحيدة في مثل هذه المشكلة ، بل هناك العديد من الأقطار الإسلامية الجزرية والقارية التي نجح الاستعمار الغربي والشيوعي ، وطبيعة موقعها الجغرافي في عزلها وحجب معلوماتها عن المسلم والعالم الإسلامي ، خاصة أقطار : **جزر المالديف ، جزيرتي بمبا وزنجبار ، جيبوتي ، جزيرة مندناو ، إقليم فطاني ، ألبانيا ، والمقاطعات والجمهوريات الإسلامية في كل من الصين الشيوعية والاتحاد السوفييتي .**

الجغرافيا الطبيعية لجزر القمر

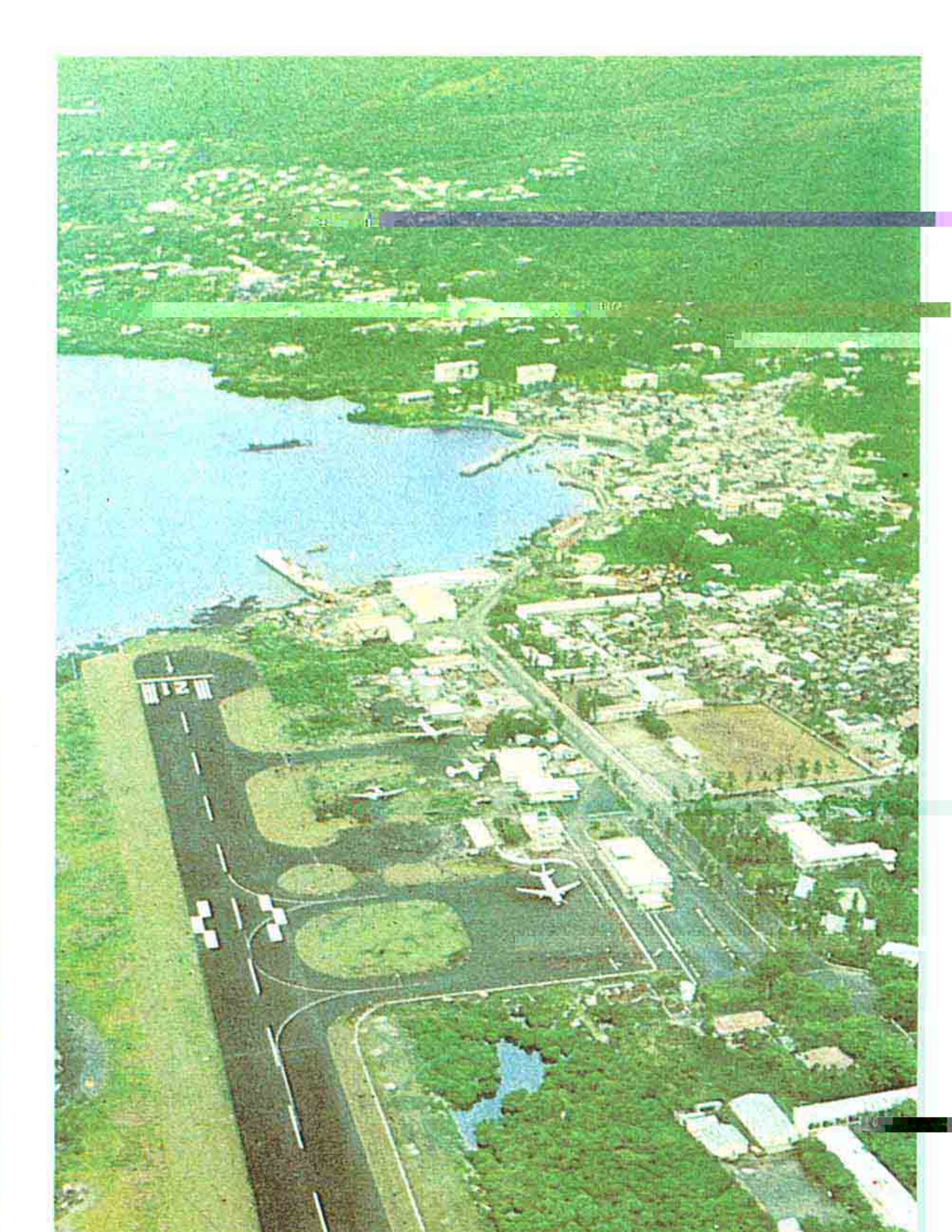
لقد وهب الله هذه الجزر الإسلامية العديد من المظاهر الطبيعية التي ميزها بها عن معظم الأقطار الإسلامية ، **فوقعها الجغرافي** في مياه غرب **المحيط الهندي** قرب الساحل الشرقي لإفريقيا وفي جنوب **خط الاستواء** ، وشرق **خط جرينيتش** ، وبالتحديد عند تقاطع خط طول ٤٥° شرقاً مع دائرة عرض ١٢° جنوباً ، عند المدخل الشمالي **لقناة موزامبيق**[٣] ليتأكد بهذا أهميتها الاستراتيجية لضمان حرية الملاحة في هذه القناة ، ولتصبح محطة « راحة » وتموين لوسائل النقل والتنقل البحرية والجوية ، من وإلى أقطار كل من : ملجاشي (**مدغشقر**) ، **موزمبيق ، تنزانيا** ، بحيث يفصلها عن القطر الأول شقة بحرية عرضها نحو (٢٥٠) كم ، وعن القطر الثاني بنحو (٣٥٠) كم ، وبالإضافة إلى الميزتين السابقتين في الموقع تنعم هذه الجزر وسكانها وبضائعها بسهولة وسرعة اتصالها بأقطار **شرق إفريقيا القارية** منها والجزرية ، كما يسهل موقعها هذا على سكانها الحصول على حاجاتهم من أقطار هذا الإقليم الإفريقي .

يتكون هذا القطر الإسلامي من (١٩) جزيرة متنوعة في مساحاتها وأشكالها الهندسية ، بل وفي عطائها الاقتصادي والاستراتيجي ... **وأهم جزر هذا الأرخبيل خمس هي : جزيرة القمر الكبرى ، جزيرة هنزوان (أنجوان) ، جزيرة مايوته ، جزيرة موالي (موحلي) ثم جزيرة زوازي** وجميعها ذات مساحات متسعة ، وتتمتع بحوافز الاستيطان والاستقلال البشري لها ، فهي في **جيومورفيتها** تعود إلى النشاط البركاني وركامياته من اللافا والبازلت ، التي ترجع في تاريخها إلى فترة انسلاخ يابسة مدغشقر نحو الشرق عن جسم إفريقيا في **عصر المايوسين** ، أحد عصور الزمن الكاينزوي الثلاثي وليصبح سطحها عبارة عن مخاريط وتلال بركانية ، تفصل بينها أودية تنتهي إلى البحار المحيطة بها ، وأشهر هذه البراكين هو : **كارتالا** الواقع في جنوب شرقي جزيرة القمر الكبرى بارتفاع نحو ٢٣٢٦ متراً عن سطح البحر ، له فوهة من أوسع الفوهات في العالم ، ومن أهم ملامح تكونها دور **التكوينات المرجانية** في بلورة الشكل الحالي ليابسة هذه الجزر ، ومظاهر تضاريسها من سهول ساحلية (٠ ــ ٢٠٠ م) أوسعها يوجد في شمال وجنوب جزيرة القمر الكبرى ، وشمال جزيرة هنزوان ، وفي شمال شرقي جزيرة موالي استغلها القمريون في إقامة مراكز السكن والعمران والمطارات ثم المزارع الواسعة .

ويتراوح اتساع هذه الجزر ما بين (٤٢ ــ ٧٠) كم وهي مسافات كبيرة إذا ما قورنت بغيرها من الجزر البركانية أو المرجانية .. ومن أهم المظاهر الجيومورفوية التي تشد انتباه الجغرافي والمواطن الزائر لها الغطاءات الواسعة من المصهورات البازلتية المسامية التي تتخلل سطحها الشقوق والفوالق ، كذلك كثرة مسيلاتها المائية الدائمة الجريان التي تعترضها التكوينات الصخرية مكونة التلال الطبيعية فيها أسمى آيات جمال العطاء الإلهي الكريم التي يمكن استغلالها في توليد الكهرباء خاصة في الجزيرة الكبيرة .

★ أحد جوانب العاصمة ديموني ومسجدها الكبير ــ جزيرة القمر الكبرى ★

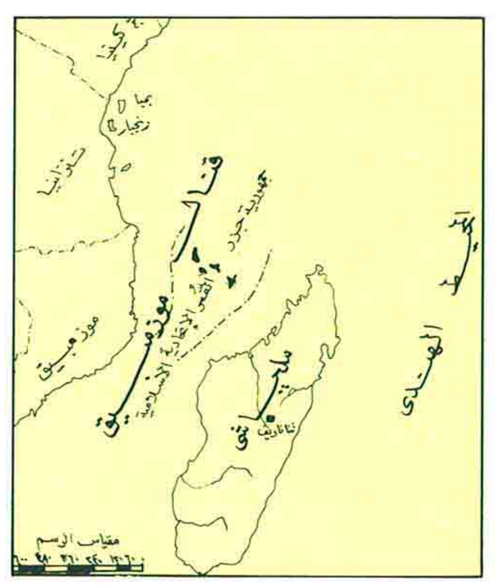




★ المطار الدولي والميناء والعاصمة موروني ـ جزيرة القمر الكبرى ★



★ مصور جغرافي قديم لجزر القمر وجزيرة مدغشقر ★



★ موقع جزر القُمر من أقطار شرق إفريقيا ★

وفيما يخص **سواحل هذه الجزر**: تتميز بكثرة تعاريجها، وعدد خلجانها العميقة، والرؤوس الصخرية النارية الأصل، أقيم على بعضها عدد من الموانئ، أهمها **ميناء العاصمة مروني** وموانئ: **دموني، نيوماشوا، ماموتزو** ثم شنجوني.

وتبلغ **المساحة الإجمالية** لهذه الجزر نحو (٢٣٠٠) كم² بما فيها مساحات الجزر البركانية والمرجانية غير المأهولة، لتصبح بإجمالي هذه المساحة ثاني تجمع جزري إسلامي بعد **مساحة الجزر الأندونيسية** (١,٩ مليون كم²) بينما تأتي مساحة **أرخبيل جزر البحرين** من بعدها مباشرة (٦٦١,٥ كم²) بين الأقطار الإسلامية الجزرية.

وفيما يخص **مناخها**: فهو خلاصة تفاعل عناصر موقعها بالنسبة لدوائر العرض، وفي مياه المحيط الهندي (طبيعتها الجزرية) وتيار موزمبيق الدافئ، وبالنسبة لموقعها من يابسة ملجاشي، واليابسة الإفريقية، وأخيراً بالنسبة لتضاريسها المحلية التي تتامت جميعاً على صبغ مناخها بالصبغة المناخية المدارية المطيرة، وذات معدلات حرارية، وفي الرطوبة المرتفعة معظم أيام السنة، ولتصنيفها ضمن مفهوم المناخ الموسمي الصيفي الجزري إذ تنعم بأمطار غزيرة نحو سبعة أشهر في الموسم الممتد بين أواخر الخريف ـ أواخر الصيف الجنوبي[٤]، تتراوح **كمية الأمطار الشهرية** فيه ما بين (٢٥٠ ـ ٦٠٠) سم، بحيث تغزر في الشرق حيث الأراضي التي تواجه الرياح الجنوبية الشرقية المطيرة وتقل كلما اتجهنا نحو الغرب والشمال، وبالتدقيق في أحوال مطرها نجد أنها تنعم بقليل من الأمطار الشتوية قادمة مع الرياح الشرقية والشمالية الشرقية.

وقد انعكست هذه الظروف المناخية على وجود **غطاء نباتي طبيعي**، شجري وحشائش كثيفة، دائمة الخضرة من الغابات الموسمية يتخللها **حشائش السافانا** لتكسب البلاد مظهراً جغرافياً جميلاً شبيه بالبستان، بينما تكسو سواحلها عامة، والشرقية منها خاصة، مظهراً نباتياً غريباً يطلق عليه **غابات المانجروف** التي تسمى بالعربية **أشجار الدهاليز** والتي تميز المناطق الحارة الغزيرة

الأمطار العالية الرطوبة ، وفي تصنيف غطائها النباتي الطبيعي وجد أنه يحتوي على نحو (٢٠٠٠) فصيلة ، ونوع من النباتات والأشجار الطبيعية المدارية .

وفيما يتعلق بتربتها : تغطي التكوينات البركانية معظم سطح أراضي الجزر التي تتميز بغنى صلصالها هذا خاصة في داخل الجزر ، بينما تغطي سواحلها التربة المنقولة والمنحوتة طابعها العام رملي ، لتؤكد دور الأمواج والتيارات البحرية في تكوين هذه التربة الساحلية ، ولتصبح بموجب تعدد تركيبها الكيماوي ، وتنوع صفاتها الميكانيكية ، تربة غنية في إنتاجها الزراعي ، ولترحب بجميع مزروعات المناطق المدارية سواء أكانت أشجاراً أو نباتات . وبالتدقيق في غطاء تربتها ميَّزنا بين الأنواع التالية من التربة : التربة البركانية السوداء ، التربة الرملية الساحلية ، المناطق الصخرية البازلتية الطغمية المعراة من التكوينات الحديثة .

المظاهر الجغرافية البشرية

يقصد بها ما تتمتع به هذه الجزر من خلال عدد سكانها وحرفهم وفترات تاريخهم .

●● **الوضع السكاني للجزر :** تتكون سكانها من عدد من العناصر البشرية أهمها :

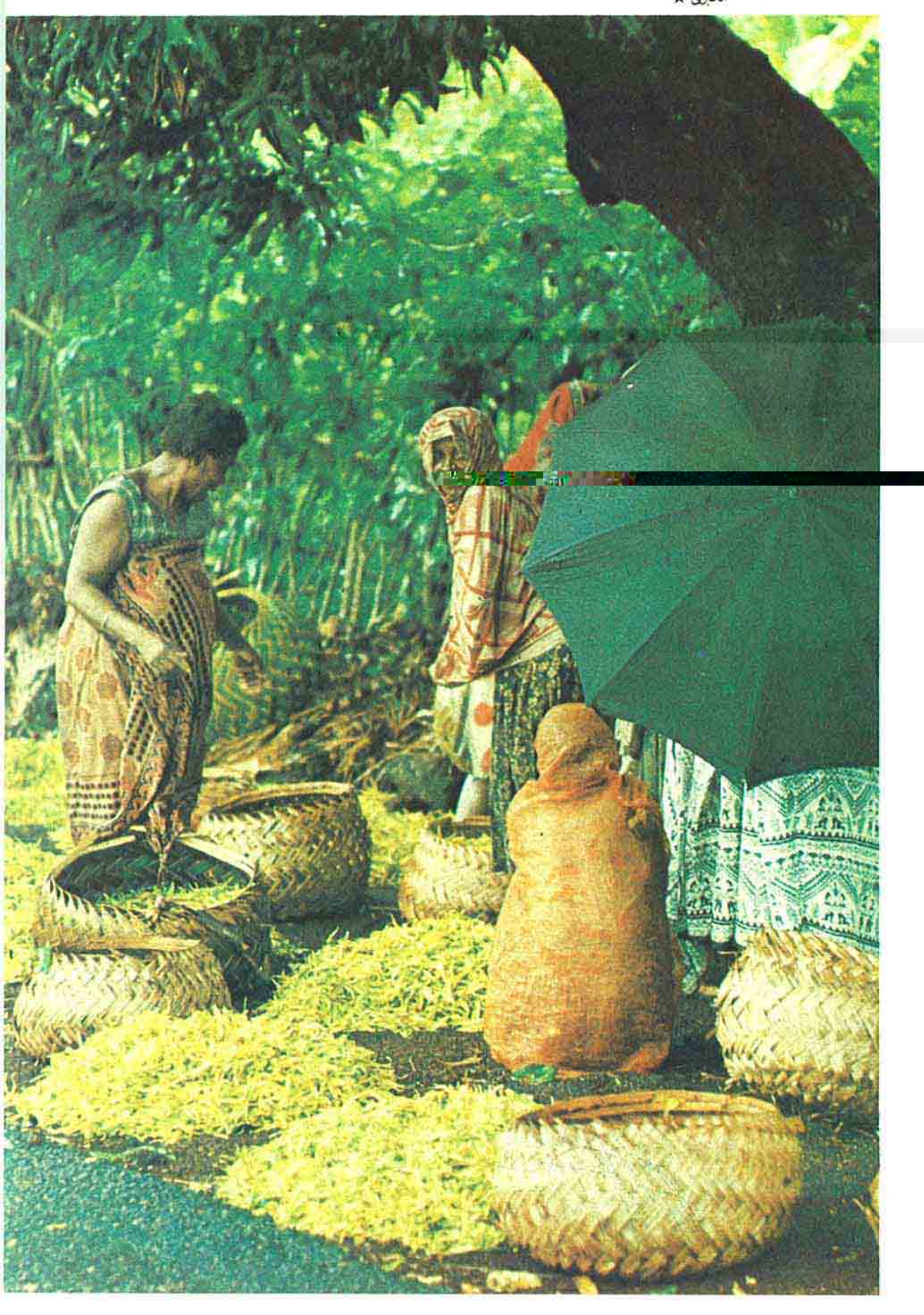
١ — **العرب :** تعود صلتهم بهذه الجزر منذ نحو (٣٠) قرناً حين نزحوا إليها من جنوب شبه الجزيرة العربية وعلى الأغلب من اليمن ، واستوطنوها لما وجدوا فيها من مظاهر طبيعية ، وموارد مشجعة لهم ، زاد على ذلك تشجيع موقعها البحري في هذا الركن من المحيط الهندي ، مما وضعها ضمن دائرة معارف عرب جنوب شبه الجزيرة العربية خارج بلادهم ، ومنذ ذلك التاريخ القديم ما زال العنصر العربي يميز أغلبية سكان هذه الجزر ، ويتمسكون بلغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، بالرغم من أنه سبقهم إلى استيطانها عناصر (**السكالافا**) الذي تأكد وصولهم إليها من جزيرة مدغشقر .

٢ — **الأفارقة :** ويطلق عليهم اسم (الماكوا) وقد جاءوا إليها من أقطار شرق إفريقيا ، خاصة من مدغشقر وموزمبيق ، فتزاوجوا مع العرب واختلطوا بهم ، ونخص من هؤلاء المدغشقريين الذين كانوا يغزون جزر القمر لأسباب لا إنسانية تتمثل في أسرهم لعدد من الأطفال والشباب لبيعهم في أسواق الرقيق ، ولم تنته هذه الظاهرة إلا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي بعد تدخل السلطات البريطانية في المحيط الهندي .

٣ — **الشيرازيون :** نزح هؤلاء إليها من إيران ، عبر فترات متقطعة بسبب النزاعات المذهبية الإيرانية .

٤ — **هجرات أخرى :** ما زالت آثارها الاثنولوجية والعمرانية مميزة بين سكان هذه الجزر الإسلامية ، وأهم هذه الهجرات تلك التي قدمت من : **الملايو وأندونيسيا** ، ثم **الهجرات الأوروبية** من بعد **حركة الكشوف الجغرافية** في المحيط الهندي ويابسه ، التي جاءت بعشرات الأسر الأوروبية ، بلغ عددها في عام ١٩٧٢ م ، في جزر القمر نحو (٢٠٠٠) نسمة يتوزعون على مدن جزيرة

★ جامعات الزهور والورود ليصنع منها الروائح العطرية ومن خلفهن أشجار المانجو ـ جزيرة القمر الكبرى ★



مايوت وزاوزي الانفصالية .

وهذا يعني أن كتلة سكان جزر القمر أصبحت كمتحف بشري جاء نتيجة تعدد مصادر هجراتها ، ويستطيع الزائر لها تمييز العنصر العربي من خلال صفاته التشريحية ، وملابسه من بين باقي الأجناس الأخرى ، أما الجامع لأغلب هؤلاء السكان فهو **الدين الإسلامي** اللواء الذي ينضوي تحته الجميع ما عدا الأقلية الأوروبية مع من شايعهم ممن استنصروا على أثر **حركات التبشير** للمسيحية الكاثوليكية الفرنسية .

وفيما يلي جدول المعلومات التعدادية عن سكان هذا القطر الإسلامي :[٥]

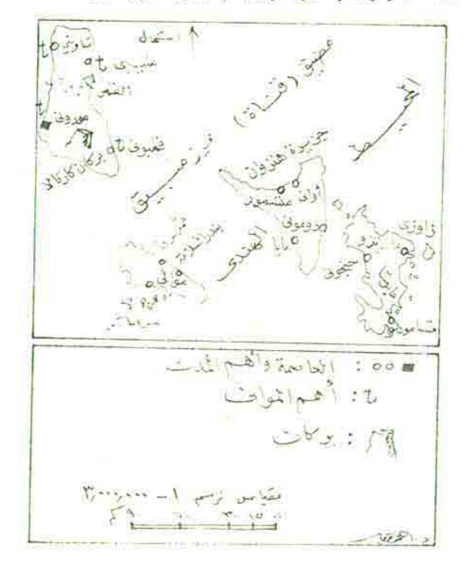
عدد السكان	السنة	المساحة الاجمالية بالكم²	نسبة المواليد	نسبة الوفيات	نسبة الزيادة الطبيعية	عدد سنوات مضاعفة السكان
٢٩٥٠٠٠	١٩٧٣	٢١٧٠ ـ ٢٣٠٠	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٢٠٠٠٠	١٩٧٥	=	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٠٠٠٠٠	١٩٧٩	=	٤٠	١٨	٢,٢	٣٢ سنة
٥٠٠٠٠٠	٢٠٠٠ (توقع)	=	٤٠	١٨	٢,٢	ـ

ينال **جزيرة القمر الكبرى** من هؤلاء السكان في عام ١٩٧٩ م ، نحو ٤٧ ٪ ، يليها نصيب **هنزوان** ٣٢ ٪ **ومايوته** ١٣ ٪ ، وأخيراً **موالي وزاوزي** ٨ ٪ ، أما تركيبهم النوعي فإن عدد الذكور في عام ١٩٧٩ م ، كان يزيد على عدد الإناث فيها ، هذا على الرغم من الأعداد الكبيرة نسبياً من أبنائها الذين يهاجرون للعمل في أقطار : تنزانيا وموزمبيق وعلى الأقل في مدغشقر ، ونعلل لهذه الظاهرة الجغرافية البشرية هو أن **أصل سكان هذه الجزر من أصل عربي** التواق دائماً إلى الهجرة والترحال ثم لتخوف الشباب منهم من المستقبل السياسي الذي يمكن أن يحدث لبلادهم كما حدث من مذابح في جزيرتي بمبا وزنجبار من النصراني المتعصب **جوليس نيريري** .

★ نموذج للمساكن التقليدية وأشجار الزهور والورود في مدينة بامانزي ـ جزيرة مايوت ★



★ المدن والموانئ في الجزر الرئيسية في جمهورية جزر القمر ★



ولعل استقلالها وانضمامها إلى عدد من المنظمات الدولية والإسلامية، يكفل لها العيش بسلام.

●● **أما عن لغاتهم:** فتأتي **اللغة الفرنسية** على رأسها كلغة رسمية للبلاد وللطبقة المثقفة والمسيحيين، تليها **اللغة السواحلية** وأخيراً **اللغة العربية** لغة الدين الإسلامي الحنيف.

●● الوضع السياسي لهذه الجزر

تعتبر علاقتها مع فرنسا منذ ١٨٤٣م، أبرز أحداث وضعها السياسي الحديث والمعاصر، حيث نزلت القوات الفرنسية في جزيرة مايوته بعد تأكدها من صلاحية الظروف الدولية لذلك، لتضم بعد ذلك باقي الجزر، وما إن جاء عام ١٩١٢م، حتى أعلنت رسمياً على المجتمع الدولي خضوع هذه الجزر وبكاملها لها، تلاها في عام ١٩١٤م، إعلانها بضم هذه الجزر إلى مستعمرتها **جزيرة مدغشقر** واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٦م، حين ضمتها إلى سلطة **وزارة المستعمرات الفرنسية** مباشرة تحاشياً منها للمشكلات التي بدأ سكان مدغشقر يلوحون بها تجاه ضم جزر القمر إليهم. وفي ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٨م، أجرت السلطات الفرنسية في الجزر **أول استفتاء** للاختيار فيه بين الاستقلال التام عن فرنسا، أو البقاء ضمن مفهوم ممتلكات الجمهورية الفرنسية، وعلى أثر الانتهاء من عملية الاستفتاء تلك أعلنت فرنسا أن نتيجته قد جاءت مع الاختيار الثاني، لتؤكد على بقاء جزر القمر تحت سلطاتها، وفي ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦١م، بمجيء **الجنرال شارل ديغول** على رأس **الجمهورية الفرنسية الخامسة** قررت الحكومة الفرنسية إعطاء سكان جزر القمر المزيد من مظاهر الحكم الذاتي حتى يونيو (حزيران) ١٩٧١م، حين أجريت فيها **أول انتخابات حرة** لاختيار **أول حكومة محلية**، وفي يونيو (حزيران) ١٩٧٣م، عقدت بين حكومة هذه الجزر والحكومة الفرنسية اتفاقية للحكم الكامل لهذه الجزر وعلى فترات تتم خلال خمس سنوات، لكن الحكومة الفرنسية تراجعت عن ذلك الاتفاق لتعلن في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٤م، عن إجراء استفتاء حول الموافقة على الاستقلال الكامل، أو البقاء ضمن الممتلكات الفرنسية، وقد جاءت نتيجة ذلك الاستفتاء لصالح البقاء ضمن الممتلكات الفرنسية!!! ولا عجب في هذه النتيجة.. حين نعلم عن مدى مخاطر أطماع كل من مدغشقر وتنزانيا في ضم هذا الأرخبيل الهام إلى إحداهما، والعداء مستحكم بين حكومتي هذين القطرين المسيحيين، وحكومة وشعب هذه الجزر المسلمة وبناء على نتائج ذلك الاستفتاء عام (١٩٧٤م) عيِّن لهذه الجزر ممثلون في الجمعية الوطنية **(البرلمان) الفرنسية مع تأليف حكومة محلية.**

وفي يوليو (تموز) عام ١٩٧٥م، كانت المفاجأة المذهلة لسلطات باريس وعملائها في جزيرة مايوته، وذلك بحدوث **انقلاب عسكري** كان أول أعماله إعلان الاستقلال التام عن فرنسا، ثم نقل مقر العاصمة من زاودزي الواقعة في جزيرة زاودزي المجاورة لمايوته إلى مدينة موروني في جنوب غربي جزيرة القمر الكبرى، وقد اضطرت هذه الحركة الوطنية السلطات الفرنسية إلى قبول استقلال هذه الجزر ممثلة في الجزر الثلاث (**القمر الكبرى، هنزوان، موالي**) بينما بقيت جزيرتا مايوته وتابعتها زاودزي حيث تسكن الأقلية المسيحية تابعتان لفرنسا، وحين جاء منتصف شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٦م، أعطيت تلك الجزيرة الانفصالية حق تقرير مصيرها وأصر سكانها على البقاء ضمن مفهوم الممتلكات الفرنسية، ولكن الشك كان قائماً حول دور فرنسا في نتيجة ذلك الاستفتاء حيث إنها في أمس الحاجة إلى قاعدتين إحداهما جوية، وأخرى بحرية لحماية مصالحها في هذه المنطقة من العالم هذا خاصة بعد قرارها الانسحاب من جمهورية جيبوتي (العفر والعيس).

وبالتالي ما زالت مشكلة هذه الجزيرة وسكانها وعلاقتهم بفرنسا من أهم المشاكل التي تواجه هذه البلاد الإسلامية الفتية.

وعلى أثر تلك الحركة الانقلابية، أعلنت حكومة جزر القمر انضمامها إلى عدد من المنظمات الدولية والإسلامية، وقبلت فيها، كما طالبت بالانضمام إلى **جامعة الدول العربية**، لكنها قوبلت بالتحفظ والتريث من عدد من الأقطار العربية وحتى الآن!

واعترفت باستقلالها معظم الأقطار الإفريقية وستة أقطار عربية، هذا على الرغم من الحملات الإعلامية والتوعدات المعادية لها من جاراتها في البر الإفريقي الشرقي، ومن ملجاشي



★ بحيرة لاك سالي البركانية في جزيرة القمر الكبرى ★

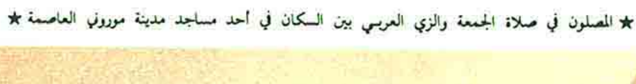
وما يمكن أن يحدث لها لا سمح الله مثل الذي حدث لإخواننا المسلمين والعرب في كل من جزيرتي بمبا وزنجبار قرب الساحل الشرقي لإفريقيا .

الجغرافيا الاقتصادية لجزر القمر

تبنى الحياة الاقتصادية لأي قطر على ما يتوفر على أرضه من ظروف جغرافية طبيعية وبشرية ، لتتفاعل وتتكامل جميعاً لإخراج الجغرافيا الاقتصادية بالصورة التي تعبر عن تفاعل تلك المظاهر الجغرافية ، وإظهار نتائجها . . ومن هذا المنطلق تنعم هذه الجزر الإسلامية بالتنوع ، والتعدد ، في حرف سكانها ، وبالتالي في مواردها الاقتصادية بالرغم من كونها قطر نام خضع للسيطرة السياسية ، والاستقلال الاقتصادي الأجنبي أكثر من نحو قرن وربع من الزمن لتعكس للقارئ غنى وأصالة ظروفها الجغرافية ، وتنوعها على أراضي جزرها الخمس المأهولة بالسكان .

الإنتاج الزراعي

تحتل الزراعة المكانة الاقتصادية الأولى في هذه الجزر سواء من حيث انتشارها الجغرافي على أراضي جزرها المأهولة ، أو من حيث عدد عمالتها ، ثم في تنوع محاصيلها وغلاتها ، وبالتالي في دورها الاقتصادي الوطني ، فإجمالي مساحة الأراضي الزراعية هي نحو (٢٠٠٠٠٠) فدان (أميريكي) التي تساوي ما نسبته ٧٥٪ من إجمالي الأراضي الصالحة للزراعة ، تنعم جميعاً بمياه الري من الأمطار والعيون والأنهار والمناخات الملائمة للزراعة طيلة أيام السنة المناخية ، والتي أدت إلى تعدد إنتاج الغلات الزراعية التي أهمها :



★ المصلون في صلاة الجمعة والزي العربي بين السكان في أحد مساجد مدينة موروني العاصمة ★

● **قصب السكر :** وهو على رأس الغلات الزراعية في هذه الجزر ، استقدمها العرب معهم من الهند ، ويقام على تصنيعها ١٨ مصنعاً للسكر ، تواجه منتجاتها خطر المنافسة من وارد سكر البنجر الأوروبي الأرخص .

● **الفانيليا :** من الغلات المدارية المتسلقة ، التي انتشرت زراعتها كمنافسة لمزروعات قصب السكر نظراً لزيادة طلب الأسواق الفرنسية عليه خاماً .

● **نباتات العطور :** ونخص منها **الايلانج** ylang-ylang التي تعمر نحو ١٥٠ سنة ، وتزهر بعد ثلاث سنوات من زراعتها ، ثم شجر **الليمون جراس** وقد انتشرت زراعة أشجاره على سفوح الجبال وفي الأودية على أثر تبعية هذه الجزر لفرنسا سيدة العالم في صناعة العطور والروائح ، حتى أصبحت هذه البلاد مصدراً لنحو ٧٥٪ مما تصنعه فرنسا من عطور ، خاصة **مدينة جراس عاصمة العطور الفرنسية** . وتجمع الزهور وتباع في مختلف مدن البلاد .

● **الزيوت النباتية :** يزرع منها في البلاد أشجار الكوبرا (**جوز الهند**) **ونخيل الزيت** ، تصدر ثمارها إلى المعاصر الفرنسية حيث يتم عصرها وتصنيعها إلى النباتين الصناعي وغير ذلك من المنتجات الغذائية الصناعية .

● **البن :** من المزروعات التقليدية في هذا القطر الإسلامي العربي الأصل والبركاني التربة

والغزير الأمطار . . وهو من المزروعات التي يكفي إنتاجها الاستهلاك المحلي مع وجود فائض منه للتصدير إلى فرنسا[٦] .

كما يزرع على أراضيها كل من **التوابل والبهارات** الإفريقية التقليدية ، وفواكه **الباباي والموز** ، ثم **الكاكاو والأرز** ، التي تساعد جميعاً في تأكيد المكانة الاقتصادية لهذه البلاد الإسلامية .

أما عن نباتات السيسال (**السيزال**) الليفية فتزرع في المناطق السهلية ، وتقوم عليها عدة مصانع لتصنيع أليافها إلى حبال وأدوات صناعية وصحية أخرى بالرغم مما تواجهه من خطر منافسة منتجات النايلون الشبيهة ، يضاف إلى تلك القائمة الطويلة من المنتجات الزراعية زراعة العديد من أنواع الخضر والفواكه والبقوليات المدارية والمحلية . وفيما يلي ملخص لكمية الإنتاج (بالطن) في عام ١٩٨٠ م ، لعدد من المنتجات الزراعية : **الكاساڤا** : ١٠٢٠٠٠ ، **اليام والبطاطا الحلوة** : ١٢٠٠٠ ، **الأرز** : ١٢٠٠٠ ، **الذرة** : ٤٠٠٠ ، **الكوبرا** : ٦٣٠٠٠ ، **زيت النخيل** : ٧١٣٠٠ ، **السيسال** : ٥٣٠ ، **البن** : ٢١٠ .

الإنتاج الحيواني

تنعم البلاد بمساحات واسعة من أراضي المراعي الدائمة الخضرة التي ترحب بالأعداد الوفيرة من الأغنام والماعز والأبقار (إجمالي عددها نحو ٩٧٤٠٠٠ رأس) والتي تساهم بتوفير جزء وفير من حاجات أسواقها من اللحوم والألبان والجلود . . ويكمل هذا الإنتاج ذلك المصيد الضخم نسبياً والمتنوع من **الأسماك** من مياه بحار هذا القطر الجزري ، والمفتوحة لأعمال الصيد طيلة أيام السنة ، والضحلة بحيث لا يزيد عمقها عن (٢٠٠) متر ، بينما عمق المياه المجاورة لها تصل إلى ١٠٠٠ متر ، وقد ساعد مرور تيار **موزمبيق** الدفيء من خلالها على جلب الحشائش البحرية والطحالب المغذية للأسماك ، ويقدر المصيد من جميع أنواع الأسماك الغذائية سنوياً بنحو (٢٠٠) طن .

الإنتاج الصناعي

له على أراضي هذه الجزر تاريخ طويل منذ بدء الصناعات اليدوية التقليدية التي كانت تصدر منتجاتها إلى أقطار شرق إفريقيا ، وجنوب شبه الجزيرة العربية ، حتى جاءت حركة التصنيع الحديثة المعاصرة حيث تركزت مصانعها في جزيرة القمر الكبرى ، ومنها مصانع : **سكر القصب ، وتقطير العطور ، ودبغ الجلود ، والقوارب ، ومواد البناء والتشييد ، والزجاج والطباعة** وعدد من الصناعات الغذائية .

وبناء على ما تقدم من دراسة جغرافية لهذا القطر أصبح له نشاط تجاري دولي ، **في مجال التصدير** يبلغ وزن صادراتها السنوية نحو (١٥) ألف طن قيمتها نحو ٢,٢ مليون فرنك فرنسي أهمها : **الفانيليا ، العطور ، البن ، الجلود المدبوغة** ، بينما إجمالي وزن وارداتها هي نحو (٦٠) ألف طن إجمالي قيمتها نحو ٦,٢ ملايين فرنك ، من أهم غلاتها : **الأرز** [illegible] على نمو هذا النشاط التجاري وتنشيطه الموقع الجغرافي البحري لجزر القمر ، وتمتعها بعدد من الموانئ البحرية ومطارها الدولي ، حيث تخدم عليها عدد من شركات الملاحة البحرية الأجنبية خاصة الفرنسية ، ثم نحو أربع شركات للطيران الدولي والمحلي .

وفي **خاتمة** هذه الدراسة الجغرافية عن هذا القطر الإسلامي النامي ندعو الله له وللمسلمين شعوباً وأوطاناً بالتوفيق والسؤدد في خطاها نحو التطوير والازدهار على الصعيدين الدولي والإسلامي .

أهم المصادر والمراجع

لمزيد من التوسع والتحقق من المعلومات الجغرافية الواردة في هذه الدراسة :

(١) دولة الكويت ــ وزارة الإعلام (١٩٧٥ م) مجلة العربي ــ العدد ٢٠١ ــ الكويت .

(٢) د . جمال الدين الدناصوري وزميلاه (١٩٧٠ م) جغرافية العالم ــ الجزء الثاني ــ القاهرة .

(٣) محمود شاكر (؟) جزائر القمر ، بيروت .

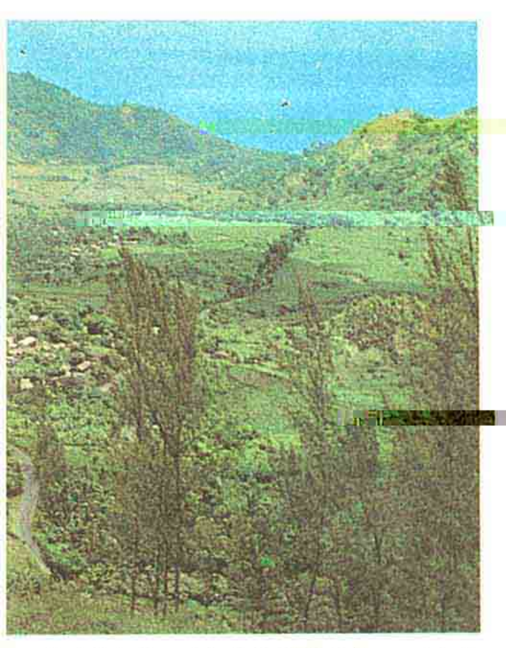
1 – Raymond Groussolles, (1974), Les Comores, Paris.

2 – Europa Publications Limited (1977) Africa.

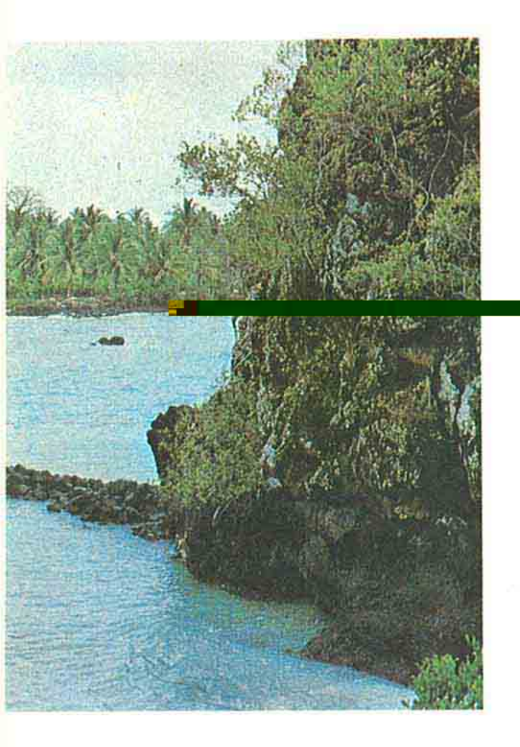
3 – Bartholomoew J. (1974), The World Atlas, Edinburgh.

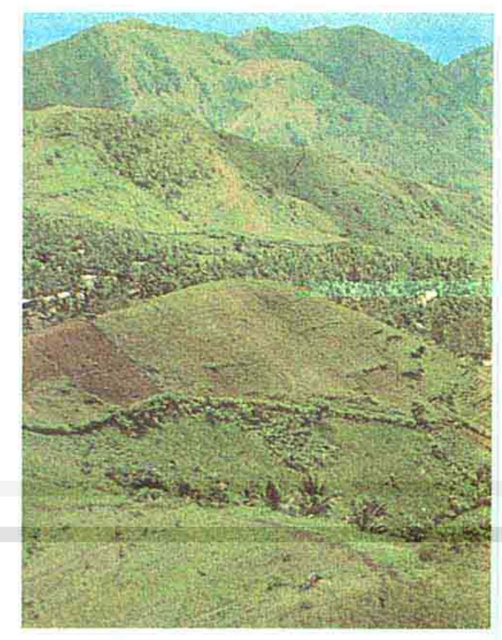
4 – La Revue Francaise (Sep. 1972), Les Comores, Paris.

5 – Paxton, J. (1974–1976), "The States Man's Yearbook", London.

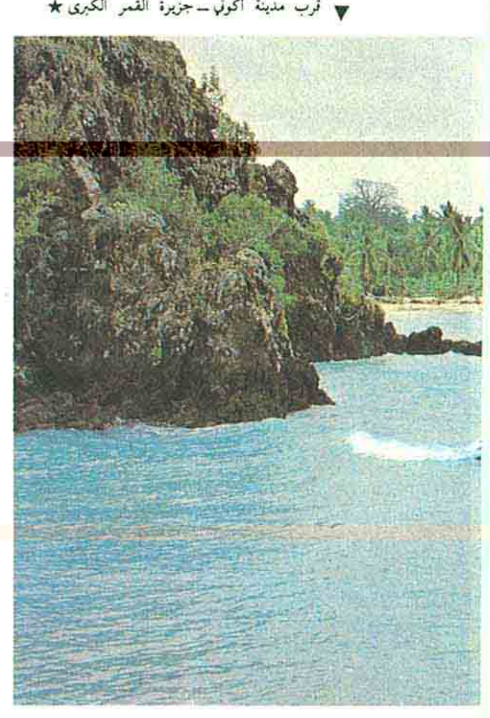


★ مدينة دموني والجبال البركانية المحيطة بها في جزيرة هنزوان ★ ▲





★ غابات أشجار جوز الهند والصخور البركانية
قرب مدينة أكوني ـ جزيرة القمر الكبرى ★



★ إحدى مزارع أشجار جوز الهند في منطقة مدينة إساندا ـ جزيرة القمر الكبرى ★

الهوامش

(١) يطلق تعبير (العالم) على جزء من اليابسة، مقسم إلى وحدات سياسية يسكنها عدد من الشعوب يربطها ببعض عدد من الروابط الجغرافية البشرية والطبيعية، بينما تعبير (وطن) يطلق على جزء من اليابسة هذه يسكنها شعب واحد، ولكن الظروف السياسية جزأته وأرضه إلى أقطار تفصل بينها الحدود السياسية والتناحرات العسكرية.

(٢) أطلقت عليها هذه التسمية العربية لترجمة حرفية للتسمية الفرنسية لها Comore التي هي أصلاً عربية، أطلقت عليها أول ما أطلقت على جزيرة مدغشقر، ومن بعدها على جزر هذا الأرخبيل، الذي احتكر هذه التسمية لنفسه، ويعلل الفرنسيون هذه التسمية بأن جزر القمر الكبرى موزعة على شكل وجوه القمر الرئيسية.

(٣) يطلق تعبير قنال (قناة) على أي مجرى مائي من عمل الإنسان، أو أن يكون مضيق مائي طويل الشكل من عمل الطبيعة، ومثالنا على ذلك: قناة السويس، قناة بنما أو القنال الإنجليزي، قنال موزمبيق.

(٤) الصيف الجنوبي يقابله في آن واحد الشتاء في نصف الكرة الشمالي، ويصل قمته في ٢١ ديسمبر (كانون الأول) من كل سنة، وكذلك يقابل فصل الخريف الجنوبي فصل الربيع الشمالي وذلك في نحو ٢١ مارس (آذار) من كل سنة.

(٥) الباحث وخلاصة عدة مصادر.

(٦) يلاحظ الارتباط الشديد بين جزر القمر وفرنسا في معظم المظاهر الحياتية بما فيها التجارية (الصادرات والواردات).



الإنطباعيون

ولعبة الضوء واللون

إعداد :
د . فوزي الأحدب

★ المزمار .. للفنان (ادوار مانيه) ★

● متحف الانطباعيين ●

إذا زرت متحف (اللوفر) في باريس فلا تنس أن تعرج على متحف الانطباعيين Le Musée de l'Impressionnisme ، حيث ستجد صفاً طويلاً من الناس ينتظر ساعة افتتاح المتحف .. وستجد بين هذا الصف طلاب الفنون الجميلة وهواة الفن وبعض السياح الذين جاءوا من كل حدب وصوب .

وبناء المتحف متواضع جداً إذا قارنته بأبنية (اللوفر) ، فهو بناء يتكون من طابق واحد يغطيه

سقف من القرميد ، وما زال الفرنسيون يطلقون عليه اسمه القديم **(جه دو پوم)** Jeu de Paume ، فقد كان [illegible] في البداية ملعباً لكرة المضرب في شكلها القديم والتي تطورت فيما بعد إلى لعبة (التنس) الحالية .

وقد أنشأ **(نابوليون الثالث** هذا البناء ، ثم عدل البناء سنة ١٨٧٧ م ، ثم في سنة ١٩٣٢ م . وتم ترميم البناء كاملاً سنة ١٩٥٩ م .

يقع المتحف في **حدائق (تويلوري)** المحيطة باللوفر ويطل على **جادة (ريفولي)** ولا يبعد عن (اللوفر) بحيث يستطيع السائح أن يسير من (اللوفر) إلى متحف الانطباعيين عبر الحدائق الغناء في نزهة بين أحضان الطبيعة تستغرق منه حوالي نصف ساعة ، ويطل بناء المتحف على ميدان شهير في باريس هو **(ساحة الكونكورد)** Place de la Concorde .

وقد افتتح هذا المتحف سنة ١٩٢٧ م ، عندما وضعت قاعات (جه دو پوم) تحت تصرف مدير **متحف (اللوكسمبورغ)** كي يعرض اللوحات الانطباعية ، واللوحات التي رسمها فنانون غير فرنسيين .

وحقيقة الأمر أن تلك اللوحات التي تمتلكها الدولة الفرنسية بقيت مكدسة زمناً طويلاً في غرفة صغيرة في (اللوكسمبورغ) .

وهكذا أصبح هذا البناء متحفاً — منذ سنة ١٩٢٧ م — ، للمدرسة الانطباعية . ومع أن المتحف لا يحتوي على كل اللوحات الانطباعية إلا أنه يضم مجموعة كبيرة منها ، إذ يوجد فيه لوحات لفنانين أسهموا في الحركة الانطباعية مثل **(دوغا)** Degas ، **و (سيزان)** Cézanne ، **و (فان كوخ)** Van Gogh ، وكذلك لفنانين ساهموا في تطوير أو تحوير المدرسة الانطباعية مثل **(سورات)** Seurat ، **و (سينياك)** Sig- nac ، **و (أوديلون رودون)** Odilon Redon وغيرهم .

ولذلك فإن هذه المجموعة من الأعمال هي التي أدت إلى إطلاق اسم (الانطباعيين) على هذا المتحف .

● بداية المدرسة الانطباعية ●

في سنة ١٨٣٩ م ، نشر **(أوجين شيفرول)** Eugène Chevreul كتابه (في قانون التزامن المتغاير لألوان الأشياء وعلاقة ذلك بالرسم)[1] .

وبرهن (شيفرول) على أن الألوان في الرسم ليست من صميم الأشياء نفسها ، وأن كل لون نراه يأتي معه بلونه المكمل له (الألوان المتنافرة والألوان المتوافقة) ، واعتمد في براهينه على تحليل ضوء الشمس الأبيض إلى الألوان الستة الأساسية ، وعلى القرص اللوني الدوار الذي تمتزج فيه الألوان الأساسية بالدوران أمام عين الناظر إليه وتتحول إلى لون أبيض . كما برهن على أن اللون الأسود غير موجود . فالظلال ملونة ، والليل ملون (لونه بنفسجي غامق) وهكذا فإن العالم كله في حالة تحول لوني مستمر .

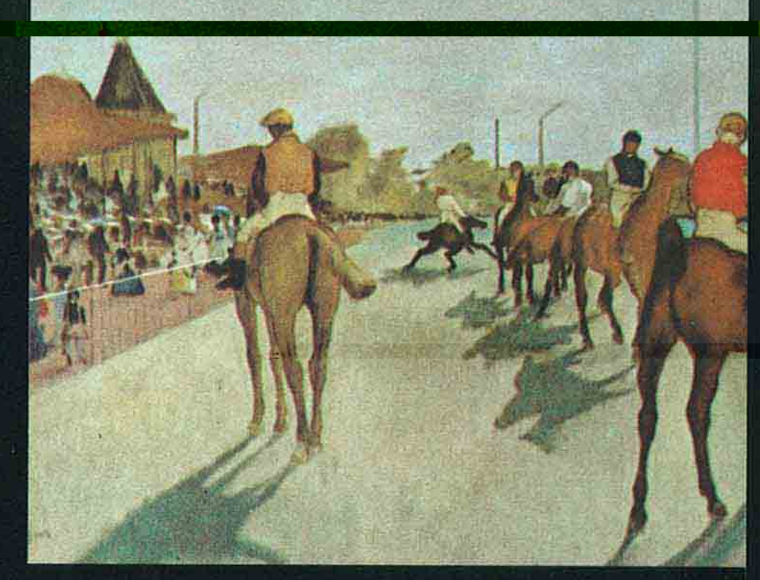


★ سيزلي .. ميناء مارلي ★

وقد تأثر فريق من الرسامين بهذه الدراسات الفيزيائية والضوئية ، وما سبق ذلك من أبحاث ومقالات . **وهكذا قال الانطباعيون بأن الألوان لا تؤثر في بعضها البعض فقط وإنما يتغير اللون نفسه حسب الزمان الذي يرى فيه** . وإذا حاولنا أن نرسم منظراً في أوقات مختلفة من النهار ، فإننا نجد أن الألوان قد تغيرت متأثرة بحركة الشمس ، وشدة الإضاءة ، واتجاه الظلال ، وهذا ما دعاهم إلى القول بأن الألوان ليست من الصفات الثابتة في جوهر الأشياء بل هي من المقومات المتغيرة ، والتي تظهر بالإنعكاس الضوئي على السطوح وبشكل مختلف في كل مرة . وهكذا ففي كل لوحة انطباعية هنالك أضواء قوية وخافتة ، وبريق اللحظة الحاضرة الزائلة ، مع تناغم بين اللون والضوء .

● فلسفة الحركة الانطباعية ●

يمكن وصف الأسلوب الانطباعي بأنه ميل إلى التغيير ، فهو في حد ذاته ثورة على مفاهيم الرسم الكلاسيكي . **ويمكن تعريف الانطباعية بأنها مدرسة فنية في الفن والأدب والموسيق تقول بأن مهمة الفنان الحقيقية هي نقل (انطباعات) أحاسيسه إلى الجمهور وليست أبداً**



★ سباق الخيل .. للفنان (دوغا) ★

الإنسانية . **ومع أن هذه المدرسة قد أعطت السلطة المطلقة للضوء والنور واللون فإن الصفة التي يمكن إطلاقها عليها كلها هي (السوداوية) على الرغم من الحبور الظاهر .** وقد وجدت هذه الفلسفة لسان حالها في **الشاعر (جول لافورغ)** Jules Laforgue الذي توفي سنة ١٨٨٧ م .

ولقد كان لكل حركة فنية إبداعية شاعرها المعبِّر عنها : فالفن **الرومانتيكي** كان شاعره **(بودلير)** Baudlaire والمدرسة **التكعيبية** كان شاعرها **(أبولونير)** Apollinaire . وكان الفنان الانطباعي **(مانيه)** يقول : « العين الانطباعية هي يد » والعين هنا هي عين الفنان المدربة القادرة على الرؤية الواضحة والعميقة .

ولعل ما يميز أسلوب هذه المدرسة وتميزها عن المدرسة

★ درب عبر الغابة .. للفنان (أوغست رينوار) ★

تصوير الواقع الموضوعي .

والانفعال الذي أتت به الحركة الانطباعية — وخاصة في الرسم — يدل على شعور الإنسان بأنه كائن زائل غير مخلد في الحياة ، فالإنسان يقع ضمن إطار الزمان والمكان ويرى ويلمس ضمن إطار اللحظات التي تمر سريعاً دون الشعور بها .

وقد ظهرت هذه الفلسفة بشكل حاد في أعمال الفنانين — الفرنسيين على الغالب — في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . ونجد في كل لوحة انطباعية محاولة لتسجيل لحظة زمنية عابرة عن طريق اللون والضوء . ويجد الباحث تناقضاً كبيراً في مواضيع اللوحات رغم أنها تنضوي تحت أسلوب يكاد يكون واحداً ، فهنالك لوحات مليئة بالحركة والسرور والحياة ، وهنالك لوحات تعكس الشعور بالأسى والحزن ، ومع ذلك فإن السرور والحزن مشاعر زائلة لا تدوم شأنها شأن الحياة

الـواقعية هـو مقـدرة الفنـان الانـطباعي على تسـجيل مـظاهر الحياة بطريقة موضوعية بعيدة عن التأثر الـذاتي ، وهـكذا تجنـب الانطباعيون ما يسمى بـ **(الفن الخيالي)** .

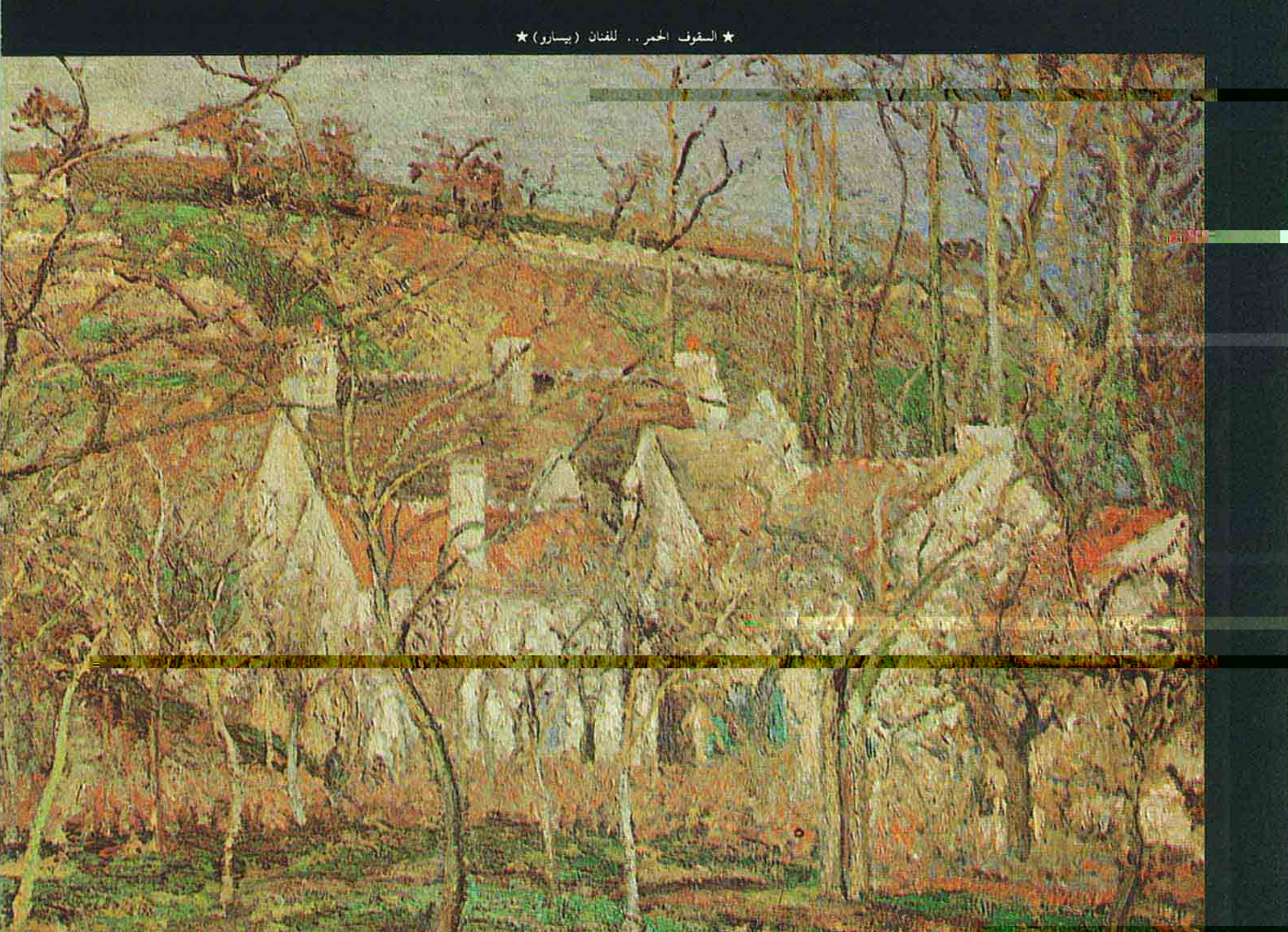
ومنذ بداية الحركة الانطباعية لوحظت اختلافات في الاتجاهات والطريقة إلا أن هـؤلاء الفنـانين قد اتفقـوا على **فـكرة واحـدة** هـي أن يـرسموا المنـظر دون أي ترتيب مسبق على أن يبـدو فعـلاً حـاملاً معـه سيـاء اللحـظة الـتي التقط فيها . وكان أهم ما أضافوه هو تـأكيـدهم على الأثـر الـكبير (للحادث) الـزائل على مـوضوع اللـوحة . بعـد ذلك ظهـرت **البدعة الثانية** في الانطباعية : يجب أن تـرسم كل المواضيـع خارج جـدران المرسـم ، وحيـث هي في الطبيعة ، ومن هنا جاءت **البـدعة الثـالثة** : يجـب استخدام الألوان فوراً دون إبـطاء وذلك لالتقـاط **(لحظة)** المنـظر حاضرة كما هي ، وهـذه العملية السريعة في استخدام الألـوان أعـطت لـوحات الانـطباعيين مظهر (مسودة أو اسكتش) .

● تاريخ الحركة الانطباعية ●

بـدأت بـذور الحـركة مـع محـاولات **الفنـان (إدوار مانيه)** Manet بأسلوبه الفـريد في استـخدام الألـوان الـبراقة ، ذلك الأسلوب المعروف بـالتسمية الفرنسية **(الـرسم الشـفاف)** Peinture Claire الذي يظهر في **لـوحة (المرأة والببغاء)** **و (سـباق الخيـل)** **و (الشـاطئ والموانئ)** . وكان هـدف (مـانيه) هـو أن يحصـل على نتيجـة مـؤثرة باستخدامه ألواناً فـاتحة جـداً ثم يـرسم بـألوان نصـف غـامقة ثم غـامقة ويـتم ذلك عنـدما يكون الطلاء على اللوحة ندياً لم يجف . وكان يحـاول ـ في حقيقـة الأمر ـ أن يقلـد التـدرجات اللونية في لحظات معينة وفي ضوء معين .

وحوالي سنة ١٨٦٠ م ، بـدأ كل من **(أوغست رينوار)** و (مانيه) بتجـارب على الألـوان عـن طريق استخدام **ألـوان قوس قـزح** . وقـد حـاولا أن ينقلا المعـادل اللوني للـون المرئي إلى لـوحاتهم بـطريقة حـدسية . وللوصول إلى هذه النتيجة عمـد الانطباعيون إلى استخدام ضربات فرشاة تمتزج مـع بعضـها عنـدما تشاهد من بعد بـدلا مـن تـدرج الألـوان المعـروف في المدرسـة الـكلاسيكية . وقـد أطلـق الانـطباعيون على هـذه الـطريقة **(طريقة الألوان المكسرة)** . ويظهر هذا الأسـلوب في **لـوحة رينـوار (طـاحونة البسـكويت)** ولـوحتـه **(الأرجوحة)** وكذلك في لـوحة (مـونيه) Monet **(زنـابق الماء)** .

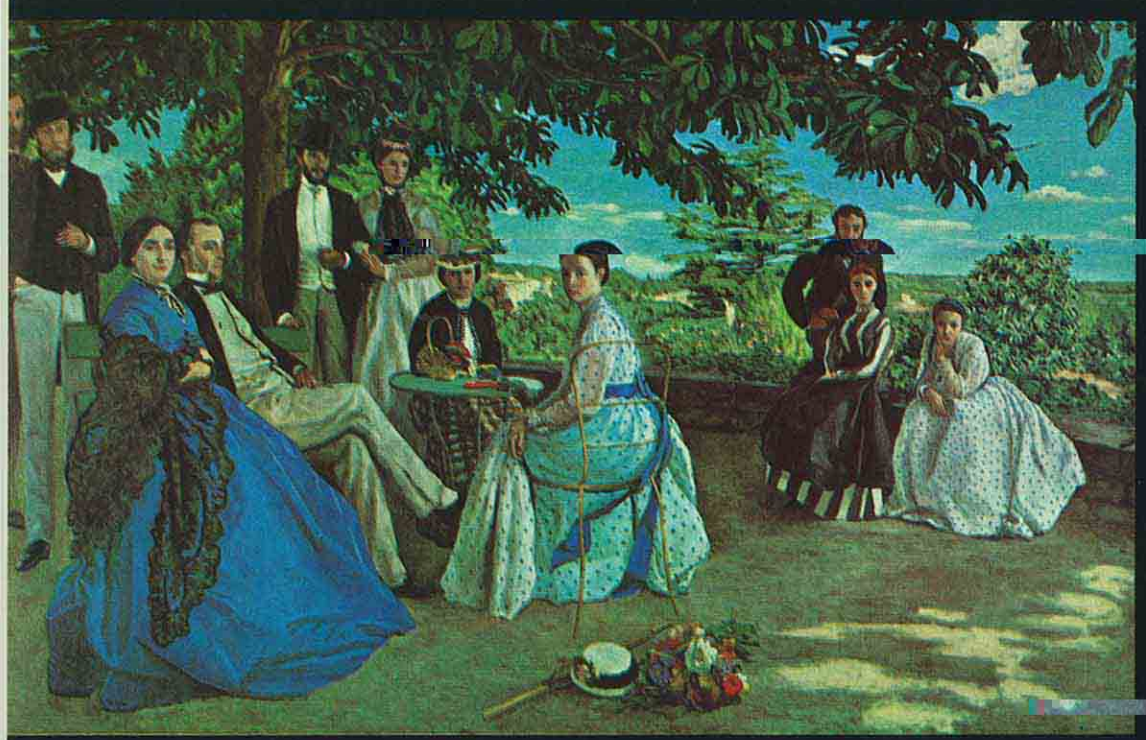
★ السقوف الحمر .. للفنان (بيسارو) ★



ومع مطلع عام ١٨٧٤ م، قامت مجموعة من الفنانين الانطباعيين بتنظيم معرضهم الأول في **جادة (كابوسين)** Des Capucines في باريس في (ستوديو) المصور (نادار) Nadar. وقد تضمن المعرض أعمالا لفنانين مثل **(كاميل بيسارو)** و **(پول سيزان)** و **(ألفريد سيزلي)** و **(إدغار دوغا)** و **(أوجين بودان)** و **(بيرت موريزو)** و **(أرماند غايوم)** و **(رينوار)** و **(مونيه)** وغيرهم من الفنانين. أما الفنان (مانيه) فإنه لم يشارك في العرض. وقد نظم هؤلاء ثلاثين معرضاً بعد المعرض الأول.

وقد أثار المعرض الأول عاصفة من الاحتجاج في الصحافة ولدى الجماهير والنقاد. وأطلق على هؤلاء الفنانين اسم **(المرفوضين)** Les Refusés. وقد أطلق عليهم **(لويس ليروا)** بخبث تعبير (الانطباعيين) مستمداً تلك التسمية من لوحة لـ (مونيه) اسمها (انطباع: شروق الشمس). ولم يكن كل زوار المعرض نقاداً بل إن كثيراً منهم أقبلوا على شراء اللوحات إعجاباً منهم بالأسلوب الجديد.

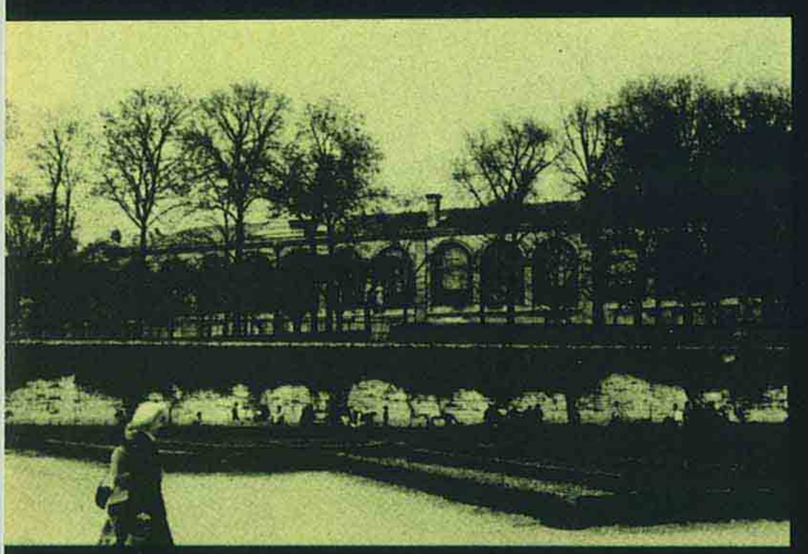
وهكذا بدأت المجموعة تحقق بعض الربح المادي إضافة إلى أنها كسبت بعض النقاد إلى جانبها. وانضمت إلى المجموعة **الفنانة الأميركية (ماري كاسات)** و **(غوستاف غايلبوت)** و **(پول غوغان)**. وهكذا مع مضي الوقت لاقوا تقبلاً من الجمهور.



اجتماع عائلي .. للفنان (فريديك بازيل) ★

● ما بعد الانطباعية ●

بعد سنة ١٨٨٠ م، قام بعض الفنانين الانطباعيين بانتهاج أساليب فردية محاولين أن يضيفوا إلى اللوحة الانطباعية ما يعرف باسم **(قسوة الخطوط)**، **(فجورج سورات)** G. Seurat مثلاً استخدم الألوان على شكل نقاط ملونة متمازجة وهكذا ظهر إلى الوجود أسلوب جديد ومدرسة جديدة هي **(التنقيطية)** Pointillisme ويظهر ذلك في لوحته **(السيرك)**. أما **(فانسان فان كوخ)** Van Gogh، فقد استخدم ألواناً براقة في لوحات لم يحافظ فيها على الشكل أو المظهر كما يظهر فيها الانفعال القوي بضربات فرشاة قوية متوازنة وحرة. أما (پول غوغان) Gaugin فقد استخدم ألواناً غير مألوفة وذات خطوط تزيينية مما أكسب لوحاته رؤى رمزية سحرية. و (پول سيزان) ساهم من جانبه في تطوير هذه المدرسة وكذلك **(هنري تولوز لوتريك)** Toulouse-Lautrec.



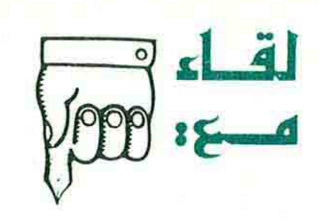
★ مبنى متحف الانطباعيين في باريس ★

وخلاصة القول إن هؤلاء الفنانين الانطباعيين (أو التأثيريين) جاءوا بمدرسة جديدة لها خصائصها وهواتها وتركوا أعمالا رائعة Chef d'Oeuvre تعتبر بحق تحفاً نادرة. لكن هذه المدرسة لم تعمر طويلاً بل إن رينوار هجرها وعاد إلى المدرسة الكلاسيكية.

الهوامش

(١) بالفرنسية:

«De La Loi du Contraste Simultané de Couleurs des Objets Colorés d'après Cette Loi dans Ses rapports avec la Peinture».



د. محمد الحبيب الهيلة



تفاعلت الحضارات الإنسانية عبر تلاحق القرون. وفي كل عصر من العصور نجد المفكرين يرودون شعوبهم، ويتقدمون صفوفهم نحو الاستنارة والاستيعاب.

وما وقفت أمة من الأمم بمعزل عن غيرها، ولا انعزلت حضارة عما سبقها أو عاصرها من حضارات، يتجلى مصداق ذلك فيما نراه من موقف الإنسان المعاصر من الحضارات المعاصرة في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وأواخر القرن العشرين الميلادي، وهو موقف يستوجب من الإنسان العربي أن يحكم عقله فيما يرى ويسمع ويقرأ، وأن يستند في أحكامه إلى مدى إيمانه بما يرى أو يسمع أو يقرأ.

اعداد: د. يوسف نوفل

الحضارات.. والتراث

ولقاؤنا اليوم بأحد المفكرين المسلمين العرب الذين يقومون بدورهم الفكري الواعي في بيئة من بيئات الوطن العربي، وهي البيئة التونسية.

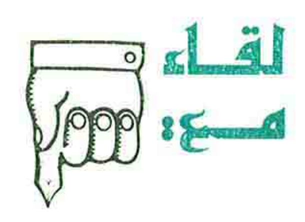
وهو يسهم في ركب الحضارة العربية المعاصرة إسهامات نظرية وتطبيقية فيما يؤلف، وفيما يحاضر في الجامعة، وفيما يشترك به في المؤتمرات واللقاءات العالمية. وفي ذلك كله نجد أنفسنا إزاء مفكرٍ واعٍ بقضايا عصره، وبموروثنا الحضاري العريق، ولعل فيما حققه من كتب تراثية ما يشير إلى اطمئنانه الفكري إلى تلك الركيزة النفيسة في حياتنا، ولعل مشاركاته في **دائرة المعارف الإسلامية** الصادرة بالفرنسية، وإشرافه على رسائل الدكتوراه، إلى جانب مؤلفاته الأخرى ما يشير إلى موقع الفكر المعاصر من نفسه حتى لتبدو لنا ظاهرة طيّبة لدى هذا المفكر وهي حسن الجمع بين المعاصرة والتراث.. إنه **المفكر التونسي الدكتور محمد الحبيب الهيلة.**

نحن.. والحضارات

● **لكل أمة موقف حضاري متميز... ما موقفنا المعاصر إزاء الحضارات العالمية؟**

●● «أريد أن أشير ـ قبل كل شيء ـ إلى أن الحضارة هي تحقيق عمل إنساني شامل، وهي تتسم بالعالمية والشمول، إذ هي نتاج عمل الفكر والسّاعد في المجتمعات الإنسانية المتباينة، وفي أحقاب متلاحقة، فهي بعبارة أعم لقاح مجموعة من الثقافات غذّت حقولها، وكوّنت لبناتها، فإذا هي تضافرت أعطت مدَدًا حضارياً متكاملاً.

ولرفع الالتباس الذي قد يحصل في الأذهان يحسن أن أبيّن المفهوم الأصلي لكلمة الثقافة وذلك وفقاً للمعنى الفلسفي «الأنثربولوجي» للكلمة، خصوصاً وأن **الثقافة ـ حسب المفهوم الذي سأحاول تحليله ـ هي عماد الحضارة. فالمتعارف عليه أن الثقافة هي مجموعة من المعلومات والمعارف التي يحصل عليها الإنسان وبواسطتها يصقل عقله وفكره وذوقه** ووجدانه، حيث إن الذي أرمي إليه هو أن الثقافة هي نمط العيش المتداول بين مجموعة من الناس يعيشون في بيئة واحدة تخضع لمؤثرات واحدة. وإذا كان هذا التعريف مبدئياً وسطحياً يتناول الثقافة في وضعها البدائي الخام فإن الثقافة تصل إلى



المستوى الرفيع عندما تحاول المجموعة أن توجد أنماطاً فكرية ، وظواهر فنية وأشكالا مادية ، تساعد الإنسان على عمق الفهم للمدركات ، وتسمح له بالنظر إلى حقائق الأشياء والمعاني بعين الإدراك الفني والتصوير الذوقي ، وتمكّنه من جعل حياته ميسورة يتمتع فيها بوفير الراحة والرفاه .

وكلما وصلت المجموعة إلى هذا الطور الاكتشافي والإبداعي والصناعي سارت خطوات على درب الثقافة وبذلك تكون قد ساهمت في وضع البناء الحضاري ، فإذا قدّمت كل مجموعة عطاءها الفكري والفني والمادي التقت كل هذه العطاءات بعضها ببعض ، وتمازجت وتلاقحت ، فنالها التشذيب والتهذيب ، وثبت منها ما هو أقوى وأصمد ، وبذلك يكون البناء الحضاري . **فالحضارة مجموع يتكون من عناصر مهمة هي :**

★ عنصر فكري .

★ عنصر فني .

★ عنصر مادي .

يندرج في العنصرين الأولين كل ما يساعد على تقوية المفاهيم العلمية ، وحقائق الفلسفات العقدية ، وما ينتج عن ذلك من تقاليد وأخلاق وطرائق فنية وأذواق .

ويندرج في العنصر الثالث كل أنماط الحياة العملية والوسائل الآلية المادية التي يحققون بها حياتهم على أرضى الوجوه .

وبقدر اهتمام الإنسان بتغذية حياته الفكرية والأدبية الفنية وجعلها أكثر عطاءً ونماءً وأبعد فهماً وأعمق إحساساً وأصدق تعبيراً عن أحاسيسه وآماله وطموحاته ، وبقدر ما يهتم بتطوير حياته المادية بما يُبْدعه من الوسائل بقدر ما يخدم الحضارة ويساعد على نمائها وتقدمها .

فعلى طول الدرب الذي سارت فيه الحياة الإنسانية ظهرت حضارات كثيرة تعاقبت في أزمانها ، وتباعدت في أماكنها وتنوّعت في خصائصها وأشكالها منها ما عمّر زمناً طويلاً ، ومنها ما أفل بسرعة ، ولكنها ـ على كل حال ـ جميعاً متشاركة في بناء الحضارة الإنسانية .

ولقد اختلف موقف العرب من الحضارات العالمية قديماً وحديثاً ، فقديماً ـ عندما التقى العربي بالحضارة ـ تطلّع إليها ، وتفهّم أغوارها ، واحترم منابعها ، وكان معها نزيهاً ، واختار منها ما يتلاءم مع بيئته وذوقه وحاجياته مما أبقى هويته وخصائص شخصيته ، وعلى هذه الأسس سار فأمكنه أن يبني حضارة عربية ، لأنه قام بالجهد الحضاري دون مركبات نقص واستعلاء .

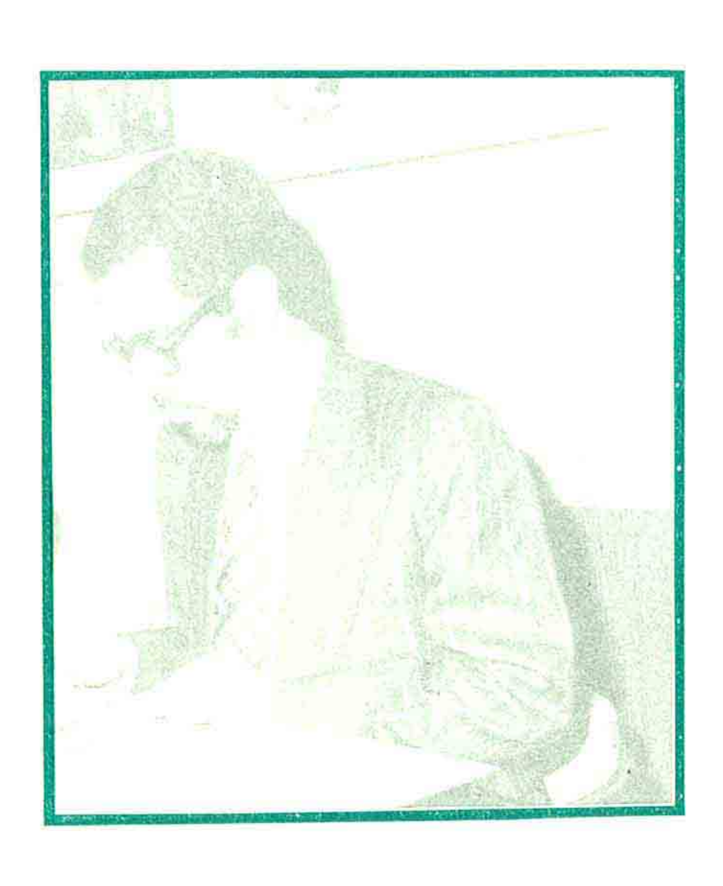
ومما يمكن أن نعتز به من مواقفهم تجاه الحضارات السابقة هم أمران :

★ **أولا** : أننا ما وجدنا في تاريخهم الحضاري إنكاراً لجهود من تقدمهم لاكتشافاتهم القلمية وعطائهم الحضاري ، ولو كانوا ممن يختلفون معهم اختلافاً جذرياً في العقيدة والمنهج الفكري .

وهذا ما لم تسر عليه الحضارة الغربية عند ظهورها إذ حاول الغربيون إنكار كل أو أكثر ما قام به العرب من عمل حضاري .

★ **ثانياً** : أنهم كانوا يختارون من الحضارات السابقة ما يتلاءم مع أذواقهم ومجاري تفكيرهم فيأخذون ويضيفون إليه ما أمكنتهم قدراتهم . ومن أمثلة ذلك موقف العربي من **الحضارة اليونانية** ، أخذ منها الطب والفلسفة والعلوم العقلية ، ونبذ وراء ظهره الأنماط الأدبية اليونانية لأنها لا تتلاءم مع ذوقه ولا تتماشى مع ميوله ، وعندما احتاج إلى تطعيم أدبي اختار أقرب الآداب إليه وهو الأدب الفارسي فنهل منه .

أما العربي اليوم فقد وقف موقفاً مغايراً تماماً منهج أسلافه ؛ فهو في هذه المرحلة الأولية التي أخذ فيها يتعرّف على حضارة الغرب ظل يأخذ كل شيء ، ويستورد كل شيء ، ويؤمن بكل شيء فيها وعندما يصل إلى مرحلة الإنتاج والإبداع ـ إذا كتب له ذلك ـ فلن يكون إلا مواصلاً لحضارة لا يمكن أن تُنسب إليه ، ولا يمكن أن تكون عربية .



من الواضح أن حضارة اليوم حضارة مادية بحتة في أصولها القائمة عليها وفي أهدافها الرامية إليها . فهذه الحضارة قامت على الآلة وجعلت الإنسان عبداً لها فلم يعد للإنسان هدف منها سوى الرفاه المادي ، وقد اجتهد الغرب في تعزيز هذه الحضارة وتطويرها فحقق في ذلك أبعد الأشواط وغريب النتائج .

والغريب أن حضارة اليوم شذّت عما تقوم عليه الحضارات عادة من دعامتين : إحداهما مادية وأخرى روحية . فلم تستجب للجانب المعنوي الروحي الذي نلاحظ أنه هزيل يكاد ينعدم في حضارة اليوم التي ظلت تشكو من الجفاف الروحي فنبذت الدين ، وقتلت النزعة الإنسانية الروحية في الإنسان مثيرة فيه الغرائز ، ومدعّمة الجانب المادي البحت .

وقد تسرّبت العدوى لبلداننا ، فأخذنا من مفاهيمها ، واكتسينا بكسائها ، وتداولنا منجزاتها ، وتشبّعنا بفلسفاتها المادية ، فكان موقفنا موقف المستورد والمقلّد ، وموقف المعجب والمستهلك وهاته المواقف هي التي جعلت الكثير منا يؤمن بالحضارة الحديثة وينصرف عن ماضيه وأصوله .

فنحن نستهلك حضارة الغرب معتبرين أنه لا بد من ذلك خصوصاً وأنها فرضت نفسها على أصولنا الحضارية باعتبار أننا كلنا أهل حضارة أسمى روحياً من حضارة اليوم ، وقد استمد الغرب ما احتاجه في بناء حضارته ، وها نحن اليوم نقف موقف الاستهلاك الذي لا يخلو من إيجابية على حياتنا اليومية بما ننعم به من نتائج هذه الحضارة . ولكن فيه أكبر الخطر على هويتنا .

فعلينا أن نهيئ أجيالنا لأن تقوم بعملها الحضاري ، وذلك بأن نضيف إليها الجانب المفقود وهو الركيزة الروحية التي لا بقاء لأي حضارة بدونها » .

موقفنا من التراث

● لكل حضارة تراثها ، ما موقفنا من التراث الآن ؟

●● « لنكن صرحاء مع أنفسنا ، ولنبحث عن الأسباب التي دفعت بأبناء جيلنا هذا لأن يثيروا دائماً التساؤلات حول التراث والتحاور حول موقفنا منه ، فهل هو محل نقاش وحوار ، وهل كان في يوم ما تراث الأوروبيين أو أمم الشرق الأقصى محل نقاش ؟

عندما أراد الأوروبيون بناء حضارة أوروبية عادوا إلى تراثهم وتبيّنوه وحققوه وتدارسوه ونقدوه حتى أصبحت كل دقائقه واضحة عندهم ، وكل حقائقه ماثلة أمامهم ، ويمكننا اليوم أن نقول إن من أندر النوادر أن نجد مخطوطة أو صحيفة أو كتابة أو غيرها لم تنلها الدراسة والتحقيق . أفلا يجدر بنا إذا أردنا أن نكوّن حضارة عربية أن نسلك هذا الطريق القويم .

التراث هو الرصيد الثقافي للمجتمعات التي نراها تحافظ عليه لأنه يمثل عماد الأصالة ، ويعكس لنا صورة جذور المجتمع ، ويترجم عن عبقريتين في مختلف الميادين المادية والأدبية . **فالتراث يصل الحاضر بالماضي ويربط بين حلقات التاريخ والأجيال في تواجدها على أحقاب متباعدة .**

ما من حضارة إلا وخلّفت تراثاً يختلف باختلاف العناصر الثقافية والوسائل المادية التي قامت عليها الحضارة ، وقد كان **للحضارة الرومانية** تراث معماري ضخم ، ومخلفات قانونية مهمة ، وبطولات حربية خلّدتها كتاباتهم وأشعارهم ، كما كان لليونان تراث فكري عملاق يمتاز بالجودة والتنوع في فنون الفكر والأدب ، وللعرب تراث واسع في

الأدب والفلسفة وعلوم الدين وفنون الفقه والطب والحساب والفلك والهندسة والموسيقى والعمران ، وقد شهدت الحضارة العربية الإسلامية اتساعاً كبيراً سواء في الرقعة التي شملتها ثمارها أو في العناصر التي قامت عليها ، أو في المجالات التي اهتمت بها .

وموقفنا من تراثنا يختلف من جيل إلى جيل آخر ذلك بحكم الأنماط الحضارية التي عاشتها أجيالنا ، فالأجيال التي سبقتنا والتي لم تكن على صلة بالمدنية المعاصرة كان لها ارتباط وثيق بالتراث ، وحاولت إحياءه بطريقتها التي قد لا تعتبر مثالية علمياً ، ولكنها على أية حال تدل على نظر موفق . وعندما ظهرت الأجيال الأخيرة كانت متأثرة إلى أبعد حد بالآراء الأوروبية التي غُرست فيها عن طريق المدارس الابتدائية والثانوية في أكثر البلاد العربية ، وعن طريق الجامعات الأوروبية في جميعها ، نضيف إلى ذلك تنوّع المدارس الفكرية واختلاف المشارب الثقافية التي انجرفت تياراتها فاتجهت في أغلبها إلى الوعي بالحاضر والنظر في ما استُحدث من النظريات والمذاهب العصرية على اختلاف مشاربها محاولة فهم الحاضر دون



هضم للماضي بحجة أن الوقت لا يرحم وأن الانتظار والتأني ودراسة ما وُجد سابقاً يضيع عليه ما قد وجد. ونسيتْ أنه يجب أن تحمل أعباءها وأن تبني حضارة عربية لا أن تكون تابعة، وعاملة في حقل الحضارة الحالية، ولا يمكن لها أن تؤدي هذه الرسالة إلا إذا حافظت على هويتها، وربطت حاضرها بمستقبلها، وآمنت بنفسها، وخرجت من تيار التبعية.

قد تبدو هذه النظرة متشائمة. وما ذلك إلا لأن عمل جيلنا في الحفاظ على التراث يسير بكل تؤدة واحتشام.

وهذا لا يعني أن الاهتمام بالتراث مفقود وأن لجيلنا موقفاً سلبياً منه، فالجهود ـ على اختلاف كثافتها وأهميتها ـ موجودة في كل البلاد العربية للحفاظ على التراث. ولكن في رأيي هذا لا يكفي فالمطلوب إحياء هذا التراث.

فإذا نظرنا إلى مكتبتنا العربية وما احتوت عليه من الكتب والمجلدات فسنجد أننا لم نمسح غبار النسيان إلا عن جزء قليل وضئيل جداً منها منذ أن عرفنا الطباعة في حين أننا ـ والحمد لله ـ نملك الكثير من الإمكانات المادية والمطابع العصرية والمثقفين الجامعيين.

ومع ذلك فإن موقفنا الحالي من التراث إن لم يكن سلبياً فهو متواضع ومحتشم. ولا بد لنا من موقف أكثر فعالية، إذ بالتراث يمكن لنا أن نحافظ على هويتنا العربية الإسلامية».

الماضي.. والحاضر

● من لا ماضي له لا حاضر له، ما رأيكم في صدق هذه المقولة؟

●● «أكيد. أنه من لا ماضي له لا حاضر له، فالأمم بتاريخها وعراقتها وأمجاد ماضيها. وما ماضي الأمس إلا منطلق الحاضر في يومنا، وما حاضر اليوم إلا ماضي الغد، فلا حاضر بلا ماض، وإلا كانت مُنْبَتَّة منقطعة الجذور والأصول، فالماضي هو عماد الحاضر زمنياً وحضارياً، ولَبِنات الحاضر أقيمت في الماضي. وصرح اليوم بُنيت قواعده بالأمس، فلا نكران إذن للماضي، ولا يمكن أن نقطع صلتنا معه، فإنه ـ وإن اندثر ـ موجود في ضمائرنا وفي شعورنا، في خصائصنا وفي طباعنا، وقد أثبت علم النفس التحليلي أن الإنسان لا يستطيع البتة أن يقطع صلته بماضيه، فالماضي حيّ مؤثر في كل كائن حي.

فلا إغفال للماضي ولا إهمال للقديم. بل المفروض أن يمد الحاضر يده إلى الغابر في محاولة لنفض ما ران عليه من غبار، واستخلاص ما يمكن أن يكون قد أفاد الأمس الزاهر لغاية إفادة الغد المأمول، لأن الماضي تجربة قد أثبتت وجودها، وتركت آثارها، وإذا أردنا الانقطاع عن الماضي حكمنا على أنفسنا بالضياع والتيه».

دور الجامعات

● ما الدور الذي يمكن أن تقوم به الجامعات في إبانة الموقف الحضاري لأمتنا العربية؟

●● «أعتقد أن الجامعات في العالم العربي والإسلامي تتحمل أوفى نصيب وأعظم مسؤولية في هذا الميدان، فزيادة على الدور التعليمي، وتكوين الإطارات ذات الكفاءة، وتشجيع وتنشيط البحث العلمي يتأكد عليها أن تقوم بدورها المناط بعهدتها في إشعار الطلبة والأجيال بمسؤوليتهم في المسيرة الحضارية للأمة وتبصيرهم بمشاكل مجتمعاتهم ومشاكل الأمة، وأن تقوم بتوعيتهم بالتحدي الحضاري الذي تمارسه الأمم الأخرى ضد الأمة العربية والإسلامية.

إنه بات من الواضح أن أمتنا تشكو تخلّفاً اقتصادياً وصناعياً وعلمياً وحضارياً، وأن الأمم الغربية قطعت في ذلك أشواطاً بعيدة لا يمكننا بلوغها إلا بعد أمد طويل، وعمل متواصل، وأننا ـ وإن خلصنا من ربقة الاستعمار الاستيطاني ـ ما زلنا نرزح تحت كَلْكل الاستعمار الثقافي والتبعيات الكثيرة من اجتماعية واقتصادية وغيرها. فعلينا أن نبصّر شبابنا بهذه المشاكل حتى يهتدي إلى الحلول المتلائمة مع واقعه ومتطلبات حياة مجتمعة، حتى لا يقع فيما وقع فيه أبناء الجيل الحالي من محاولة فاشلة في ملاءمة حلول ذات مشرب غربي في مجتمع شرقي، وتطبيق «أيديولوجيات» مادية وإلحادية في مجتمعات عريقة الإيمان، ولا نظريات جافة في مجتمعات شديدة الحساسية بإنسانيتها.

إن التحديات لقيمنا وأصالتنا وأصول حضارتنا وماضينا المجيد وتاريخنا المشرق وديننا الحنيف هي التي يجب أن تكون محل اهتمام الجامعات في بلادنا حتى تتسلح الأجيال القادمة بما يلزم لمواجهة هذه التحديات، من علم ومنهجية وإيمان بالذات.

لا يمكن أن يقتصر دور الجامعات على تخريج المتعلمين وإنتاج حملة العناوين والشهادات!!، وإنما عليها أن توفّر لمجتمعنا إمكانات علمية وروحية وأخلاقية قابلة للتجمع والتفاعل والعطاء المبارك».

إذا ألقينا نظرة على أهم الدراسات الأدبية التي ظهرت في السنوات العشر الأخيرة ، لاحظنا وجود ظاهرة ثقافية جديدة ، آخذة في التطور ينهض بها فريق من رجال الاجتماع ونقاد الأدب ، تتمثل في محاولتهم فتح ميدان العلوم الإنسانية[1] على ميدان النقد الأدبي . ترى الفئة الأولى من هذا الفريق أن دراسة التغييرات الأدبية والفنية والفكرية تساهم في فهم طبيعة العلاقة بين التغيرات الثقافية ، وتغيرات البناء الاجتماعي[2] وفي هذا الصدد نذكر مؤلف « التحليل الاجتماعي للأدب »[3] ، ومؤلف « الفلاح في الرواية المصرية »[4] كأمثلة تبين أحد جوانب هذا الاتجاه . أما الفئة الثانية ، فقد اضطرت أمام تطور العلوم بصفة عامة والإنسانية بصفة خاصة أن تتبنى وجهة النظر القائلة بأن وظيفة النقد هي التفسير الموضوعي[5] للأثر الأدبي ، أي محاولة اكتشاف طبيعة العلاقة بين قوانينه الداخلية والخارجية ، ويمكن أن نجد في مؤلف « الأدب في عالم متغير »[6] أو في مؤلف « القصة وصورة المجتمع المصري الحديث »[7] أمثلة بارزة تعبر عن هذا الاتجاه .

والملاحظ على أغلب هذه الدراسات أنها قد توافرت فيها شروط الروح العلمية التي تساعد على النهوض بهذا الاتجاه حتى يصبح فرعاً من فروع العلوم الإنسانية المعترف بها في الأوساط العلمية ، بعكس الأعمال التي تنقصها هذه الشروط وتحاول أن تقتحم الميدان ، فتقضي بهذا على أهم العناصر التي تساهم في تكوين تراثه العلمي ، نظراً لأن أصحابها غير مزودين بالمعرفة النظرية أو المنهجية التي يتطلبها البحث في هذا المجال ، نذكر منها على سبيل المثال مؤلف **« مصر عند كتابها المعاصرين »**[8] أو دراسة **« مقدمات في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة »**[9] .



الإشكال المنهجي لدراسة الأدب العربي المعاصر

بقلم : د . سمير حجازي

سنحاول هنا أن نعرض أهم الأخطاء المنهجية أو النظرية الشائعة في مثل هذه الدراسات ، وسنجعل من دراسة « مقدمات في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة » مجالا لنقاشنا باعتبار أن هذه الأخيرة تعد أحدث ما كتب بالعربية في هذا المجال ، وسنحاول من جهة أخرى أن نلقي بعض الضوء على أهم المسائل الجديدة التي تتعلق بالأسس النظرية والمنهجية لعلم اجتماع الأدب ، منطلقين من جملة الآراء النظرية التي جاء بها **لوسيان جولدمان** (L. Goldmann) وأخيراً نحاول تطبيق هذه الأسس النظرية على الأدب العربي المعاصر .





★ شارل فييل ★

★ نجيب محفوظ ★

مقدمات في سوسيولوجيا الرواية

في البداية نلاحظ أن دراسة « مقدمات في سوسيولوجيا الرواية » قد بدأت دون نقطة انطلاق محددة ، ومضت تسجل العديد من الظواهر الأدبية المألوفة : توقف **نجيب محفوظ** عن العطاء للرواية العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ م[10] ، ظهور جيل جديد من الروائيين العرب تطلق عليهم الدراسة « **جيل**

المأساة » و « الجحيم » و « التحدي للأنا والآخر » ، وأنه جيل « يتذكر » وأن أعماله الروائية تتسم باليأس و « التجربة ولحظة الحضور » إلخ . . . ، وبنفس الكيفية واصلت الدراسة عملية القيام بتجميع لبعض مظاهر التغير التي طرأت على الشكل الروائي لهذا الجيل دون البحث عما وراء تلك الظواهر الأدبية ، أو كيفية حدوثها على نحو معين ، أو التقدم نحو البحث عن الأسباب الموضوعية التي كونت هذه الظواهر الأدبية . فمثلاً تقول الدراسة : « روايتنا الجديدة لم تنظر إلى المائتي عام التي مضت من تاريخ الإنسان العربي على أنها سنوات اليقظة القومية والتطور الاجتماعي ، وإنما نظرت إلى هذه الحقبة الطويلة على أنها كانت « فترة اختبار » لتخلفنا الحضاري المروع وتقاليدنا غير الديمقراطية في أسلوب الحكم » .

وفي موضع آخر تقول : « اليأس لدى الجيل الروائي الجديد لا يرادف العدمية ، ولا يقترب من أسوار الفوضوية الأوروبية . اليأس من الواقع هو دعوة إلى تغييره . فنياً تتحول هذه الدعوة إلى الهدم ، فالرواية لم تعد « حكاية طويلة » بطلها السرد الوصفي أو التحليلي ، ولم تعد « سيرة ذاتية » بطلها الاعتراف والذكريات ، ولم تعد قصة نهاية بطلها التاريخ للعائلات والأجيال » .

وهكذا لم تتجاوز الدراسة حدود الظواهر الأدبية التي ينبغي على الباحث أن ينظمها في حدود دينامية معينة ، كما هو شائع في بحوث علم الاجتماع عامة والأدب خاصة .

والملاحظ من جهة أخرى أن الدراسة كانت استدلالية الطابع ، ينقصها التجربة التي كان من الضروري أن تقومها من حين لآخر ، وينقصها أيضاً الفروض ، التي توجه الباحث في عمله وتقوده نحو هدف معين يحاول تحقيقه ، ويجنبه الجهد الفكري الذي يبذل بدون تحقيق فائدة معينة . لعل هذا هو السبب الذي جعل الدراسة تخلو من النتائج . فهكذا تنتهي دون الوصول بنا إلى ضفاف معينة حيث نراها تقول : ولا شك أن صدمة الجديد متوقعة ، ولكنها بالقطع تختلف عن صدمة الزيف القاتلة ، لصاحبها على أية حال . وربما كانت « الحكاية » رغم التحرر الكامل في صياغتها ، ورغم ما أحرزته من تحولات جوهرية في بنائها من مرحلة « بداية ونهاية » إلى مرحلة « بلا بداية وبلا نهاية » .

لغة الدراسة

أما اللغة التي عولجت بها الدراسة فقد جاءت إنشائية الطابع ، مثل هذه العبارات « بطلها منقوع في تربة المأساة حتى العنق » ، و « أقبلت الرواية الجديدة . . . وحملقت بعيون كاتبها وقارئها في قلب الواقع وأحشائه الدفينة » ، « ظهور وانطفاء بعض الشموع التي استحدث نورها كله في الأربعينات » ، « لم تعد هناك مسافة موضوعية بيننا وبين ما يجري ، لقد غرقنا في اليم ، ولا منقذ » .

إن استعمال مثل هذه العبارات أو مثل هذه الجمل في أي مجال من مجالات البحث ، يقوم بعملية تميع للمعنى ، ويجعله غامضاً ، ويحصر وظيفة اللغة في الوصف والتسجيل ، وهذا عكس ما تطلبه لغة علم اجتماع الأدب ، التي تفسر وتعبر عن الظاهرة الأدبية في حدود أسس دينامية ، بواسطة عبارات وجمل دقيقة تعبر عن قصد الباحث بوضوح حين يعالج هذه القضايا المحددة ، هذا بالإضافة إلى ضرورة استعمال المصطلحات الشائعة في هذا المجال ، مثل « البطل المشكل » (Le Héros Problématique) ، « رؤية العالم » (La vision du monde) ، « البناء التعبيري » (La structure significative) ، « البناء الذهني » (La structure mentale) إلخ .

الأصول النظرية والمنهجية

ويلاحظ أخيراً أن الدراسة توهم القارئ أنها مزودة بمعرفة الأصول النظرية والمنهجية لعلم اجتماع الأدب ، ذلك عن طريق الإشارة بين الحين والآخر في هامش البحث إلى عدد من المؤلفات الهامة لجولدمان كما جاء في ص ١٣٠ : حيث تذكر :

(Lucien Goldmann, Pour une sociologie du Roman, Paris 1964.)

نتابع في هذا العمل الأساسي فصل « الرواية الجديدة والواقع » (ص ٢٧٩ ـ ٣٢٤) حيث يعرض جولدمان ، للمرة الأولى ، مفهومه عن تداخل البنى غير الأدبية (اقتصادية ، اجتماعية) والبنى الفنية في صياغة الشكل « الجديد » للرواية . مثال آخر ص ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٢ .

بينما الظاهر لنا أن ذكر هذه المؤلفات ليس إلا من قبيل الديكور و « الحشو » بقصد إضفاء الطابع الأكاديمي على شكل البحث[١١] ، ودليل ذلك أن الدراسة محل التعليق لم تستفد قليلاً أو كثيراً من جملة الآراء الشائعة في هذا الميدان .

ويظهر لنا هذا بشكل خاص حينما أغفلت الدراسة الاستعانة بأبسط المبادئ المنهجية : البدء بتحديد ظاهرة أدبية معينة ، وتكوين فكرة إجمالية عنها لدى الباحث ، ثم محاولة الخروج منها بفرض عامل يصلح كأساس لتفسير الظاهرة ، وأخيراً يحاول تحقيق هذا الفرض عن طريق التجربة . هذا إلى جانب اغفال أمر آخر لا يقل في أهميته عن الأول : أن الأسس النظرية التي تتضمنها نظرية جولدمان تنطلق أساساً من البحث في مدى التشابه بين البناء الأيديولوجي لجماعة اجتماعية معينة والبناء الفكري في الأثر الأدبي[١٢] .

بناء على هذا ننتهي إلى حقيقة مؤداها أن هذه الدراسة أو أمثالها لا يمكن أن تنسب إلى هذا الفرع من فروع علم الاجتماع ، حتى إذا ادعى البعض أن القصد منها التمهيد أو التقديم لدراسات أخرى لاحقة فإن هذه الدعوى ليست إلا مظهراً من مظاهر الجهل بأبسط قواعد البحث العلمي سواء في هذا المجال أو في كافة المجالات الأخرى ، لأن هذا النوع من الدراسات يخضع أيضاً لمجموعة من القواعد المنهجية : تحديد ظاهرة ثقافية معينة ، ثم طرح عدد من التساؤلات عن الأسباب والعوامل التي شكلتها ثم محاولة إعطاء إجابات مؤقتة في شكل فروض معينة ، ليأتي فيما بعد باحث آخر يحاول تحقيقها عن طريق التجربة .

الخصائص العامة للبنية الاجتماعية وبنية الأثر الأدبي

إن البحث في مسألة العلاقة بين الخصائص العامة لبنية اجتماعية معينة ، وبنية الأثر الأدبي تعد القضية الجوهرية التي تشغل اهتمام علم اجتماع الأدب اليوم ، وعلى هذا الأساس لم يعد ينظر إلى الأثر الأدبي على أنه يعكس درجة معينة من الوعي الجماعي على الفرد المبدع ، وأن هذا الأخير يقوم بعكس هذا

الوعي بكيفية معينة . إن الحياة الاجتماعية في حقيقة أمرها تبدو كبنيان مجمل في حالة معينة من الترابط، وإن الفرد لا بد أن يكون مندمجاً داخل هذا البنيان، ونتيجة لهذا فإن وعيه يمثل جزء من الوعي الجماعي[١٣] .

في البداية يجب أن ننطلق من الفرض القائل بأن عملية الإبداع الأدبي تعد رمزاً للحياة الاجتماعية بكل أبعادها المختلفة، لأن هذا المنطلق يقود الدارس نحو البحث في مسألة التشابه القائم بين بنية اجتماعية معينة، وبناء الأثر الأدبي، ولتحقيق هذا الفرض يجب القيام بعدة خطوات منهجية معينة، يوضحها لنا جولدمان في مؤلفه **«بحوث ديالكتيكية»** (Recherches dialectiques)[١٤] وبالتحديد في الجزء الأول الذي يتناول فيه موضوع **«المادية الديالكتيكية وتاريخ الأدب»** (Matérialisme-dialectique et Histoire de la Littérature) وموضوع **«مفهوم البناء التعبيري في تاريخ الثقافة»** (Le concept de structure significative en histoire de la culture) .

في مطلع هذه الدراسة يذهب جولدمان إلى أن الأدب والفلسفة يعبران عن رؤية متماسكة للعالم، وأن رؤية العالم هذه تعد ظاهرة اجتماعية لا فردية، وأنها (أي رؤية العالم) تبدو كمشهد غير متناقض عناصره تبدو في حالة ترابط وثيق . ورؤية العالم هذه تعتبر نظاماً للفكر يفرض نفسه على فئة معينة من الناس تعيش في ظروف اقتصادية واجتماعية متشابهة .

وبناء على هذا فإن محاولة الناقد أو الباحث القيام بتفسير للأثر الأدبي على ضوء الحياة الشخصية للمؤلف، أو وصف بيئته الخاصة، تعد محاولة عديمة الجدوى، لأنه من الصعب أن نتصور وجود فرد معين غير مندمج في بنية اجتماعية معينة . لذلك فإن القضية الأساسية الواجب بحثها هي قضية العلاقة بين بناء الأثر الأدبي من ناحية، ورؤية العالم المتعلقة ببعض الطبقات الاجتماعية من ناحية أخرى . لذلك لا يجب على الناقد أو الباحث في هذا المجال أن يهتم بالمقاصد الخاصة التي تعتري وجدان المؤلف .

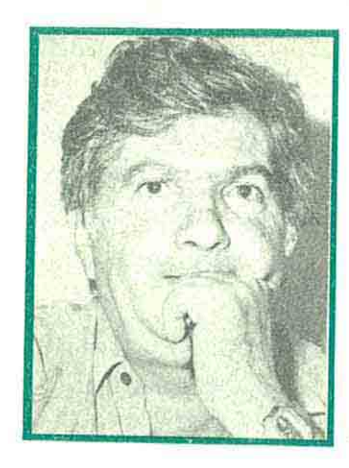
أما بخصوص التوطئات التي تكتب من قبل المؤلف في بعض الأحيان، فلا يجب إهمالها، بل يجب البحث لها عن وظيفة معينة في ميدان الأثر الأدبي نفسه . إن تصور الباحث أو الناقد أن المؤلف يستطيع أحياناً أن يفسر أثره الأدبي ليس صحيحاً على الاطلاق، لأنه يجوز أن يرشد الباحث إلى حقيقة معينة كما يجوز أن يضلله أيضاً . نتيجة لهذا يجب أن نميز هنا بين **الدلالة الذاتية للأثر، والدلالة الموضوعية** :

فالأول يهتم بتحليل أنماط **الشعور واللاشعور** عند المؤلف، وهذا النوع من الدراسة ينطلق أساساً من الفرض الذي يعتبر الأثر الأدبي مجرد واقعة اجتماعية .

أما التفسير الموضوعي للأثر ــ وهو الذي يهمنا هنا ــ فينهض على فكرة جوهرية مؤداها أن الأثر الأدبي يتضمن في داخله مجموعة من العلاقات المنطقية الخاصة، كما هو الحال بالنسبة لأشخاص الرواية أو المسرحية، أو القصة . وهذه العلاقات المنطقية هي التي تجعلنا نفهم ونفسر تصرفات الأشخاص وفق أجزائها الواحدة بانتسابها إلى البناء الكلي للأثر الأدبي .

فالأثر الأدبي حسب هذا المفهوم يبدو كنمط بنائي له وحدة عضوية معينة، لهذا نجد أن بناء الأثر يشغل مكاناً هاماً في الدراسة، فجولدمان نفسه يرى بأنه كلما كان بناء الأثر يتميز بوحدته العضوية، وعلاقاته المنطقية المتماسكة دل ذلك على عبقرية الكاتب، وكلما استطاع هذا الأخير إدراك مكونات


★ إحسان عبد القدوس ★



★ غالب هلسا ★

عناصر البناء الضرورية لعصره، دل ذلك على معايشته لعصره، وحساسيته الخاصة تجاه التحولات والتطورات التاريخية والاجتماعية .

إن هذا المفهوم يتطلب من الباحث أن يوجه اهتمامه الرئيسي نحو بناء الأثر ومنطقه الداخلي الخاص، ويبين لنا خصائص هذا التماسك من ناحية، ويكشف لنا عن طبيعة العلاقة بينه، وبين الواقع التاريخي والاجتماعي من ناحية أخرى، معتمداً في ذلك على المنهج البنائي الدينامي .

إن **الآثار الأدبية العظيمة** ــ حسب وجهة نظر جولدمان ــ هي وحدها التي تتميز بوحدة تماسكها الداخلي، واحتوائها على مجموعة علاقات ضرورية تتألف من العناصر المختلفة التي يتكون منها الشكل والمضمون، وبناء على هذا فإن الباحث الذي يوجه اهتمامه على أحد عناصر الأثر دون مراعاة مجموعة العناصر التي تكون أجزاءه، يعد اتجاهاً معيباً، لأنه يقضي على وحدة البناء والتماسك الداخلي للأثر . لأن كل عنصر في البناء الكلي للأثر له دلالة اجمالية معينة، لا يمكن إغفال أهميتها عند القيام بعملية تفسير الأثر الأدبي .

إن جولدمان يشير في مواضع عديدة من دراساته إلى حقيقة هامة مؤداها أن التماسك الداخلي للآثار الأدبية العظيمة تعد تعبيراً عن رؤية معينة للعالم، تظهر في عصر معين، لتعبر عن موقف معين لبعض الجماعات الإنسانية المختلفة إزاء حركة التاريخ .

وهذا يعني أنه لا ينبغي على الباحث أن ينظر إلى التماسك الداخلي للأثر باعتباره حقيقة جامدة، بل كقوة مضمرة النشاط في داخل الجماعات الإنسانية، وأن البناء ذو الدلالات يحتوي في داخله على مجموعة من الأفكار والعواطف، والسلوك . وهذا المفهوم ــ حسب رأي جولدمان ــ يبدو على جانب كبير من الأهمية، فهو من ناحية، ينظر إلى الأثر الأدبي باعتباره بناء في صيرورة، وينأى به عن أن يكون أحد المعطيات الجامدة، ومن ناحية أخرى يثبت لنا وجود وحدة بين الفرد المبدع والمجتمع على مستوى التماسك الداخلي للأثر، لأن بناء هذا الأخير لا يبدو كانعكاس للبناء الاجتماعي، ولا كتعبير عن شخصية الكاتب فحسب، بل يبدو كواقعة لها دلالة موضوعية تشير إلى وجود وحدة بين الفرد والمجتمع تتم بطريقة ديالكتيكية في التاريخ .

لكي يصل الباحث إلى التماسك الداخلي للأثر، أو البناء ذو الدلالات، يجب عليه القيام بإجراء عمليتين لا يمكن فصل الأولى عن الثانية : يجب أولا

القيام بعملية تحليل بنائي للأثر نفسه عن طريق استخلاص المميزات الخاصة للبناء ، من أجل القيام بتفسيره تفسيراً مماثلاً ، ويجب **ثانياً** محاولة البحث في كيفية دمج هذا البناء الخاص في بناء كلي واسع .

وفي هذا الصدد يقول جولدمان : « إن أهم الخطوات المنهجية العلمية هي محاولة دمج البناء ذو الدلالات الخاصة في بناء أكثر اتساعاً » . ثم يضيف قائلاً : « إن هذه الخطوات العلمية تتطلب من الباحث الاتيان والغدو الدائم من الجزء إلى الكل والعكس بالعكس » .

نخلص من هذا إلى أن استخدام مفهوم البناء ذو الدلالات يفرض على الباحث أو الناقد القيام بدراستين : الأولى شاملة تتطلب تعين كافة الخصائص الداخلية للأثر ، ثم يليها دراسة أخرى تفسيرية .

وقد حاول جولدمان نفسه أن يطبق هذه الأسس النظرية والمنهجية في الدراسة التي أجراها على الرواية الفرنسية الحديثة[١٥] ، منطلق من عدة فروض أساسية تتلخص في وجود تشابه قائم بين بناء الرواية الكلاسيكية ، وبين بناء التبادل في الاقتصاد الليبرالي ، وأن هناك توافق بين بناء النوع الروائي وبناء البيئة الاقتصادية عن طريق التحولات الاقتصادية : من اقتصاد المزاحمة الحرة ، إلى اقتصاد الكارتل والاحتكارات . وقد استطاع في تفسيره للظاهرة التي حددها عن الشكل الروائي أن ينتهي إلى أن التحول في بناء المجتمع الرأسمالي الفردي قد صاحبه تحول مماثل في البناء الروائي ، يتمثل في اختفاء الشخص الفردي « البطل » .

الأدب العربي المعاصر

عرضنا فيما سبق بعض الأخطاء المنهجية الشائعة ، وأهم الأسس الحديثة لعلم اجتماع الأدب . وأخيراً نحاول القيام بتطبيق هذه الأسس على الأدب العربي المعاصر ، باعتبار أن هذا العمل يستطيع من بعض النواحي أن يثري هذا الميدان من ناحية ، وأن يفيد النقد الأدبي الاجتماعي من ناحية أخرى .

إن الاجتهاد النظري أمر مطلوب ، ولكن تجاهل الجانب التطبيقي يعتبر من أشد المعوقات التي توضع أمام تطور هذا الميدان . إن التناول العلمي التطبيقي يحدد القضايا بلغة دقيقة ، توصف وتفسر الظواهر في إطار محدد . وهذا من شأنه أن يزيد النظرية خصوبة .

أ ـ يواجه المجتمع العربي منذ أواخر الستينات محنة[١٦] تشبه تلك المحن التي اجتازها في أواخر القرن التاسع عشر ، ووجه الشبه بينهما يتمثل في تلك التساؤلات التي طرحتها الفئة المثقفة حول **قضية التخلف الحضاري التي تواجه المجتمع العربي** ، والتي ظهرت بوضوح عقب الاحتكاك الحضاري بين المجتمع العربي والحضارة الأوروبية الغازية . وقد نتج عن هذا الاحتكاك وعي جماعي بضرورة القيام بعمليات التحديث ، التي بدأت ـ على المستوى الفكري ـ بظهور تيار نقدي اتجه بصفة أساسية نحو دارسة أسباب التخلف ، والبحث عن وسائل فعالة للقضاء عليه[١٧] .

عقب هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ م ، أثار بعض المثقفين العرب نفس التساؤلات السابقة ، بعد أن كشفت لهم نتائج هذه الحرب ـ من بعض النواحي ـ عن عدم فاعلية ذلك النمط الشائع من السلوك والتفكير في مواجهة أساليب الحضارة المعاصرة . وكان الامتصاص السريع لمقومات هذه الحضارة[١٨] هو الطريق الوحيد للخروج من هذه الأزمة .

وقد ظهر هذا الاتجاه في المجتمع العربي بصفة عامة ، وفي مصر وسورية بصفة خاصة . والملاحظ أن مرحلة الانتقال هذه قد صاحبها نوع من فقدان الاتزان الاجتماعي ، وقد ظهر هذا في حياة المجتمع في شكل أزمة اقتصادية ، وسياسية ، وفي حياة الفرد في شكل قلق أو شعور بالعبث ، يرجع في أساسه إلى اختلال في ميزان القيم نتيجة التغيرات التي طرأت على البناء الاجتماعي . وهذا من شأنه أن لا يجعل الفرد داخل إطار معين من التآزر ، إذ قد تحطم هذا الإطار بحيث أصبح الفرد كالمجتمع في حالة تشبه من انقطعت به السبل عن المضي في أي اتجاه معين . إذ لم تتحدد بعد معالم الطريق الجديد . فالمجتمع عندما يواجه تغيرات جديدة يضطر في البداية أن يخطو خطوات جديدة في سبل مجهولة ، وهنا يقف الفرد منفرداً أو معزولاً ، وإنا لنشهد ذلك بوضوح في هذه الفترة المحددة عند أغلب المثقفين وبصفة خاصة عند مبدعي الفن والأدب .

يمكننا القول باختصار إن المجتمع العربي في الفترة التي أعقبت حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ م ، قد طرأ على بنائه الاجتماعي تغيرات معينة أدت إلى إجراء تغيرات في ميزان القيم ، جعلت الفرد ينعزل عن بنائه الاجتماعي ، باعتبار أن القيم هي مظاهر الصلة بين الفرد وعناصر البناء الاجتماعي . وهذا القول لا يعني أكثر من أن عملية التكيف الاجتماعي التي كانت قد اختطت لنفسها طرقاً معينة من قبل هي بسبيل تغيير هذه الطرق ، فالفرد والمجتمع يمضيان الآن نحو تكيف اجتماعي جديد .

وفي استطاعتنا أن نعتبر تطور العلوم الإنسانية في المجتمع العربي في هذه الفترة مظهر من مظاهر هذا التكيف الجديد . لذلك قد نرى مظاهر أخرى في ميدان الإبداع الثقافي : كسيطرة الأشكال الجمالية القصيرة ، على الحياة الأدبية ، أو شيوع الرمز والعبث في الآثار الأدبية .

ب ـ ولكن في أي ميدان من ميادين الأدب نقوم ببحثنا ؟ فعالم الأدب يضم أجناساً متعددة ؟ هل نمضي نحو دراسة الأدب العربي المعاصر بصفة عامة ؟ كلا ، لأنه لا يوجد في الواقع أدب هكذا مجرد ، خاصة وأننا نريد أن نقيم دراستنا على أساس مشاهدة الواقع ، فالحديث عن الأدب عامة ، لا يجدي في هذا الاتجاه شيئاً ، اللهم إن نخرج منه ببضع ملاحظات غامضة عابرة . الأدب في الواقع ينهض على عديد من الأجناس الأدبية ، كالشعر ، والرواية ، والقصة ، إلخ . . لذلك رأينا أن نقتصر على البحث في نوع واحد من بين هذه الأنواع الأدبية جميعاً ، ألا وهو القصة القصيرة ، وقد نشير إشارات عابرة إلى بعض الأنواع الأدبية الأخرى .

القصة القصيرة

ونود أن نشير هنا إلى موضوع له أهميته الخاصة ، فنحن لم نختر القصة القصيرة لأنها أسمى الأنواع الأدبية في أدبنا العربي المعاصر ، فتلك نظرة تقويمية لا تتفق واتجاهنا الذي تستوي عنده الوقائع من حيث أنها موجودة فعلاً ، وبالتالي فلها حقوق متساوية في دفع الباحث إلى الاهتمام بها والنظر في علة وجودها . كذلك نود ألا يفهم من حديثنا أننا من أصحاب الرأي القائل بأنه لا يوجد اختلاف جوهري بين الأنواع الأدبية ، فهذه النظرة تقضي على محاولة إقامة نظرية للدلالات الاجتماعية والتاريخية للشكل الأدبي . حقاً أننا لا نستطيع أن نحدد العناصر المشتركة بين نوع أدبي وآخر ، إلا أننا نستطيع أيضاً أن نحدد النظم الخاصة التي ينهض عليها شكل

أدبي معين والتي يمكن أن تميزه عن الأشكال الأخرى .

سنقتصر إذن بحثنا على شكل القصة القصيرة من دون الأشكال الأدبية الأخرى ، لا من أجل تحديد ميدان البحث تجنباً للتشتيت ، بل لأمر هام يتعلق بمسألة أخرى بالغة الأهمية خارجة عن إرادتنا ، ألا وهي أن القصة القصيرة قد سيطرت على ميدان الإبداع الأدبي في هذه الفترة ، فالروائيين العرب ـ **كنجيب محفوظ، ويوسف إدريس ، وإحسان عبد القدوس** ـ لم يكتبوا سوى الأشكال الأدبية القصيرة وخاصة الأقصوصة . هذا إلى جانب أن أغلب كتّاب الجيل الذي تلى الحرب ، قد اتجه أيضاً نحو معالجة هذا النوع الأدبي نفسه .

هذه الملاحظات التي تشكل الظاهرة موضوع بحثنا ، تسمح لنا بطرح سؤال جديد : **لماذا يظهر في تاريخ الأدب العربي المعاصر شكل أدبي معين يسيطر على وجدان الفرد المبدع ، ألا وهو القصة القصيرة ؟**

هل هذه الظاهرة الثقافية على علاقة معينة بنوع التغيرات التي طرأت على البناء الاجتماعي في هذه المرحلة؟ إذا كانت هذه العلاقة قائمة فما طبيعتها؟

هناك فرض يستطيع أن يعطينا إجابة مؤقتة : « نعم هناك ارتباط سببي بين طبيعة هذه التغيرات التي طرأت على بعض عناصر البناء الاجتماعي ، وسيطرة هذا الجنس الأدبي » .

سؤال آخر : ما الدلالة الاجتماعية والتاريخية لهذه الظاهرة الثقافية ؟

فرض آخر يسمح لنا بالقول : إن التغيرات السريعة تحدث خللاً في ميزان القيم تجعل بعض الجماعات تنعزل عن إطارها الاجتماعي ، وترى العالم من خلال منظور ذاتي .

جـ ـ بعد أن فرغنا من تحديد ميدان البحث ، فلنحدد موضوعه ، فميدان العلاقة بين الجنس الأدبي ، والمجتمع يضم موضوعات يستحق كل منها أن يفرد له بحث قائم بذاته ، فهناك البحث في تاريخ هذا الجنس الأدبي وعلاقته بالأطر الاجتماعية المختلفة ، أو علاقة مضمونه بالواقع الاجتماعي والتاريخي لمرحلة معينة ، أو الوصف البنائي للقصة ، واستنباط مميزاته الخاصة من البناء المجمل وعلاقته بالبناء النفسي الاجتماعي عند الفرد المبدع والجماعة التي ينتمي إليها . وهناك موضوعات أخرى كثيرة يتسع لها ميدان البحث في هذا الموضوع .

إلا أننا قد تخيرنا لبحثنا موضوع العلاقة بين شكل القصة القصيرة وطبيعة التغيرات التي طرأت على البناء الاجتماعي للمجتمع العربي في مصر ، في الفترة بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ م ، محاولين أن نجيب على التساؤلات التي طرحناها سابقاً (لماذا سيطر هذا الجنس الأدبي دون سواه ؟ وما الدلالة الحضارية والتاريخية لهذه الظاهرة الثقافية) .

في إجابتنا على هذه الأسئلة سوف نحاول أن نختبر تلك الفروض التي ذكرناها سابقاً على ضوء بعض الأسس الاجتماعية المستوحاة من النظرية الحديثة لتفسير الأدب ، وهذا يعني أولا وقبل كل شيء القيام بتنظيم الظاهرة في حدود أسس دينامية ، أي أن نحاول إبراز ديناميات الظواهر التي على علاقة متينة بها . فالظاهرة بموضوع البحث لها مراحل وجوانب متعددة : (تاريخية ، اجتماعية ، نفسية) فهذه الجوانب تشكل مجموعة من القوى قد أثرت على تشكيلها على نحو معين .

إذا كان هذا هو موضوع بحثنا ، فإلى أي مدى يمكننا الإفادة من الكتابات الشائعة في هذا المجال ، ونحن نقصد هنا مؤلفات لوسيان جولدمان في سوسيولوجيا الأدب .

ونرى أن نشير هنا إشارة عابرة تحدد اتجاه البحث عنده ، والفرق بينه وبين اتجاه البحث عندنا ، فهو قد اهتم أولا وقبل كل شيء بالإجابة على السؤال : **لماذا حدث تحول في الشكل الروائي (اختفاء الشخص الفردي « البطل ») بدأ مع نهاية القرن التاسع عشر حتى عصرنا .**

وجولدمان ـ كما ذكرنا سابقاً ـ يرى أن هذا التحول يرجع في الأصل إلى التحول الذي طرأ على بناء البيئة الاجتماعية ، وخاصة البناء الاقتصادي الذي يعتقد أنه على علاقة مباشرة بالبناء الروائي . وهذا يعني أنه يفسر الظاهرة الأدبية على ضوء التطور التاريخي والاجتماعي ـ الاقتصادي ، دون الأخذ بعين الاعتبار الجانب النفسي الذي يشكل في الواقع مع الجانب الاجتماعي عنصر واحد .

ظاهرة سيطرة القصة القصيرة

إذا كنا نقصد ببحثنا هذا القيام **بدراسة سوسيولوجية لظاهرة سيطرة جنس القصة القصيرة في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة** ، فمعنى هذا التسليم بأنها ظاهرة اجتماعية ذات نوعية خاصة باعتبار أن الظاهرة الاجتماعية هي موضوع علم الاجتماع .

ولما كانت هذه الظاهرة الثقافية لا بد أن تحدث في وسط اجتماعي معين ، لا بد أن تكون البداية هنا تقرير أنها تحدث في وسط اجتماعي ذو بناء معين . ومحاولة الربط بين الظاهرة موضوع الدراسة والوسط الاجتماعي أمر له أهمية خاصة ، باعتبار أن هذا الأخير يعد المحدد الخارجي للظاهرة ، لهذا فهو له أثره السببي ، وفعله في فكر الفرد المبدع . وهذا يعني أن هناك عوامل معينة تؤثر في الظاهرة ، وفي اتجاهها ، وفي شكلها ، سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر .

إذا حددنا الوسط الاجتماعي هذا التحديد ، وبينا نوعية العلاقة بينه وبين الظاهرة موضوع الدراسة ، ثم نظرنا إلى المسلمة العامة ، التي ذكرناها ، باعتبارها الخطوة الأولى نحو دراسة الظاهرة ، وقارنا بين موقفنا من موضوع الدراسة على هذا الأساس ، وموقف غيرنا من الباحثين برزت أهمية تلك المسلمة العامة التي ذكرناها سابقاً ، واستطعنا أن نتبين قيمتها .

إن أوضح ما تقرره هذه المسلمة أن ظاهرة سيطرة شكل القصة القصيرة في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة مشروطة بأوضاع تاريخية واجتماعية ، وسيكولوجية معينة ، وليست كما يعتقد أغلب المستشرقين الفرنسيين مثل **شارل فيل** (C. Vial)[١٩] أو **مدام طوميش ندا** (N. Tomiche)[٢٠] بأن تخلي الكتّاب العرب عن معالجة الشكل الروائي بعد حرب ١٩٦٧ م ، ليس سوى تفضيل شخصي من الكاتب لهذا الجنس الأدبي . لا يمكن تفسير ظاهرة سيطرة القصة القصيرة في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة من داخل الفرد المبدع فحسب ، لأن ذلك يجعل هذا الأخير في حالة انعزال عن الحياة الاجتماعية ، وتجعل الظاهرة محل الدراسة غير مشروطة بأوضاع معينة .

بهذه المسلمة إذن نقرر أننا نخالف هذه الآراء وغيرها ، التي تنظر للظواهر الثقافية الخاصة دون أن تجد لها النظام الذي يفسرها وفق أسس ديناميكية تضم العديد من الظواهر

صناعة متغيرات

تعد الحرب من أهم العوامل التي تقوم بإجراء عمليات تغير في الإطار الحضاري والثقافي لأي مجتمع ما . فالمجتمع الأوروبي ، مثلاً ، قد عرف تغيرات خطيرة في بنائه العام في بداية النصف الأول من القرن العشرين ، نتيجة الشعور بنشوء الحرب من حين لآخر ، فاندفع نحو إيجاد وتجديد الصناعات الحربية ، وهذا قد أدى إلى إحداث تطور عام في البناء المادي (التكنولوجي والصناعي) الذي أثر بشكل مباشر وغير مباشر على وسائل العيش وعلى فكر وسلوك الفرد .

والبناء الاجتماعي في المجتمع العربي في مصر لا يشذ عن هذه القاعدة ، فقد عرف تغيرات عديدة في بعض عناصر بنائه الاجتماعي والثقافي ذات طابع سريع ، نذكر منها : تحول البناء الاقتصادي بعد حرب ١٩٦٧ م ، وقد ظهر اتجاه يدعو رأس المال الأجنبي إلى المساهمة في تطوير بعض المشاريع الصناعية . وقد تجلى هذا بوضوح بعد ١٩٧١ م ، حيث تم صدور مجموعة من القوانين التي تهدف إلى توسيع نطاق هذا الاتجاه ، وبالفعل أقيم العديد من المشاريع الصناعية الأجنبية في مجالات مختلفة . وقد أدى هذا إلى إحداث تغيرات في نظام الملكية ، وتقسيم العمل ، أدت إلى ظهور طبقة اجتماعية جديدة لعبت دوراً كبيراً في تغير شكل البناء السياسي في مصر .

وقد أدى هذا إلى إعطاء دفعة للصناعة والتكنولوجيا والفكر العلمي ، الذي يعتبر دعامتها الأساسية إيجاد نظرة جديدة إلى العالم بدأت تتصارع مع الثقافة التقليدية . إذ ارتفعت نداءات النزعة العقلانية معلنة بذلك ميلاد قيم جديدة .

هذه التغيرات يصعب ملاحظتها أو إدراكها بشكل مباشر في الحياة الاجتماعية ، كل ما نستطيع أن نلاحظه ، في بعض جوانب من مظاهر هذا التغير ، التي تبدو ــ في مدى قصير ــ في سلوك وتصرفات بعض الجماعات ، التي يفترض فيها مميزات خاصة : كنسبة عالية من الوعي ، وحساسية معينة تجاه التحولات التاريخية والاجتماعية . ونحن نقصد هنا فئة المثقفين ، ومبدعي الفن على وجه الخصوص .

إن هذه الجماعة قد استطاعت بواسطة سلوكها المميز أن تعطي دلالات نفسية واجتماعية ، وتاريخية عن طريق نوع معين من الكتابة تتلاءم ، مع طبيعة هذه التغيرات ، فالمواقف والشخصيات التي ظهرت في كتاباتهم تعبر عن نظرة ذاتية للعالم .

إن انهيار بعض القيم على نحو سريع قد أدى إلى قطع الأوشاج التي تصل بين الفرد وبنائه الاجتماعي ، لأن القيم بالنسبة للفرد تمثل محور الترابط الاجتماعي والنفسي في نفس الوقت .

ولاستعادة اتزانه بشكل نسبي لا يمكن أن يتم إلا إذا ظهرت معالم البناء الجديد ، على نحو يسمح له بتكوين صورة معينة في بنائه الذهني ، فيصحو فيه شعوره بالانتماء ، والقدرة على الاندماج ، أو لا يقبله ، بالمرة فيضطر أن يبقى على حالته السابقة ، أو يقبل جزء ويرفض الجزء الآخر . فنجيب محفوظ مثلاً بعد أحداث عام ١٩٥٢ م ، توقف عن الكتابة لعدة سنوات ، حتى يستطيع تكوين إطار معين في بنائه الذهني ، عن التحولات الاجتماعية والسياسية الجديدة .

والمرحلة بين فقدان الاتزان ، والسعي إلى تحقيقه بنسبة معينة يتجه الفرد المبدع نحو وسائل التعبير المختلفة ، ليحاول بناء نظرة موضوعية للعالم ، لكن حدة التوتر تحيل بينه وبين تحقيق هذه النظرة الموضوعية للعالم . ولا نعني أن هذا الفعل لا يتحقق إلا إذا أصبح الفرد المبدع بلا توتر نفسي ، لأن هذا الأخير يعد شريطة جوهرية لعملية الإبداع الفني بصفة عامة . . فانخفاض أو زيادة هذا التوتر لدرجة معينة تعطل عملية الإبداع[٢١] .

إن اختلاف درجة التوتر عند الفرد المبدع قد ترجع إلى مجموعة من العوامل الداخلية أو الخارجية أو كلاهما معاً ، فقد تكون ناتجة عن بعض تغيرات في عناصر الواقع الاجتماعي ، وقد تكون ناتجة عن عوامل معينة في شخص الفرد المبدع نفسه . لكن العناصر التي تشكل عالم هذا الأخير في غالب الأحوال تعد عناصر نفسية واجتماعية في آن واحد ، تختلف طبيعتها من فترة لأخرى ، ومن كاتب لآخر ، كلا حسب نوعية حساسيته الخاصة ، ونظرته للواقع الاجتماعي والتاريخي ، فالعنصر النفسي الاجتماعي إذن هو الذي يحدد ــ في أغلب الحالات ــ الشكل الحالي عند الفرد المبدع ، أو بعبارة أخرى ، إن درجة الاتزان النفسي عند هذا الأخير هي التي تحدد المنظور الذي يشكل نظرته إلى العالم .

هل معنى هذا أن نوعية التغيرات الاجتماعية التي حدثت في هذه المرحلة قد أوجدت عند الفرد المبدع درجة معينة من التوتر تطلبت تعبيراً فنياً معيناً يتفق مع نظرته إلى العالم ؟ ليس هذا إلا مجرد افتراض يلزمنا لتحقيقه القيام بدراسة تجريبية محددة ، أو بعبارة أخرى ينبغي أن نلقي الضوء على موقف الفرد المبدع ، وطبيعة نظرته إلى العالم ، ومدى علاقته بالشكل الأدبي في الفترة التي حددناها مستعينين في ذلك بوسائل تجريبية معينة ، مثل الاستخبار والاستبار intervene .

نص الاستخبار[٢٢]

وجهت هذه الأسئلة إلى الأدباء ، وقد طلبنا منهم بعض الآراء الشائعة في هذا الموضوع ، كما طلبنا منهم أيضاً أن يستشهدوا بأمثلة عديدة كلما أمكن في الإجابة ، وأن يبتعدوا عن التعميمات ذات الصبغة العلمية ، ويتحدثوا عن أنفسهم ومن واقع تجاربهم الخاصة :

١ ــ أترى أن هناك حالة معينة تجعلك تشعر أنك في حاجة إلى كتابة قصة قصيرة ؟

٢ ــ أتشعر بوجود صلة بين أحداث حياتك العملية ، وبين ما ورد في قصصك من أحداث ؟

٣ ــ كيف كان وقع الهزيمة عليك ؟ وكيف رأيت المجتمع ؟

٤ ــ هل التعبير عن هذه المرحلة قد تتطلب منك تكنيكاً معيناً ؟

٥ ــ ما مهنتك ؟

أجاب على هذا الاستخبار فريقان من الأدباء الأول يتمثل في الجيل

السابق للحرب وهم نجيب محفوظ، يوسف إدريس، عبد الرحمن الشرقاوي، إحسان عبد القدوس، صلاح حافظ، عبد الله الطوخي، والفريق الثاني من **الجيل اللاحق للحرب** وهم جمال الغيطاني، مجيد طوبيا، صنع إبراهيم، يوسف القعيد، غالب هلسا، أحمد الشريف.

أولا: الجيل السابق للحرب

إجابة نجيب محفوظ[٢٣]

١ ـ تجيء الفكرة أولا، أو الدفقة الوجدانية، ثم يتقرر الشكل بعد ذلك، وفي أثناء ذلك تكون رواية أو قصة قصيرة، ولكن هناك أحياناً ظروف خارجية وغير أدبية تدعوني لكتابة قصة قصيرة مثل أن أكون قد فرغت من عمل كبير، وما زال لدي طاقة، أو رغبة في النشر في الصحف أحياناً ولكن هذا لا يؤثر فيَّ تأثيراً جوهرياً. وعلى ذلك فأنا لم أنتبه للأسباب النفعية، والنفسية التي قد يكون لها الأثر في تحديد شكل القصة. لقد كتبت قصصاً قصيرة في مطلع حياتي بين ١٩٢٨ ـ ١٩٤٠ م، ثم عدت إليها بدءً من ١٩٦٠ م.

٢ ـ توجد صلة وثيقة بيني (أنا والحياة الاجتماعية) وبين مضامين القصص وأحداثها، حتى لو بدت القصص خيالية أو رمزية، أو تاريخية. إن الغالبية العظمى من قصصي تعالج دوافع حاضرة مستلهمة من المجتمع، والقليل من قصصي تعالج أشواقاً ميتافيزيقية، ولعلها أيضاً مستلهمة من نفس المجتمع.

٣ ـ لقد أصابت الهزيمة الناس جميعاً من إحدى الجوانب، لكن بعض الرجعيين وبعض مراكز القوة قد استخدمها لصالحه. أما الشعب فقد استنفذت دمه وروحه. هذا إلى جانب ازدهار طبقة جديدة تتكون من تجار الشنطة السماسرة والوسطاء.

أما بالنسبة لي فالهزيمة كانت أفظع حدث هز كياني، فيوم اكتشفت الهزيمة حصل لي ذهول شديد، وحزن أشبه بآلام السرطان. فقد كل شيء معقوليته، حتى إنني خرجت عن طريقتي في التأليف، كنت أشعر أنني منفعل باستمرار، وليس لدي موضوع محدد، فكنت أبدأ من الصفر. لا أدري هل أنتهي إلى شيء أم لا؟ لعل همي الأول كان التعبير عن شعوري المضطرب، وإن كانت هناك فكرة فقد كانت تنشأ في أثناء العمل، ومع هذا فإن الأيديولوجية كانت حاضرة في قصصي.

٤ ـ لا يمكن أن ننكر وجود أزمة في التعبير في ذلك الحين، فانعدام الحرية في المجتمع أوجدت لدى الكاتب نوعاً من الغموض في الرؤيا. ولعل هذا قد ظهر في طريقة البناء الفني.

٥ ـ موظف والآن على المعاش.

إجابة يوسف إدريس[٢٤]

١ ـ يصعب عليَّ تحديد موقفي من الأشكال الأدبية، فأنا أعتقد أني لا أختار دائماً، بل هي التي تختارني. فالكتابة أحياناً ما أتصورها على أنها لا علاقة لها بالإرادة. فهي نوع من التحقيق اللاإرادي للذات، وبقدر عمق الرغبة اللاإرادية في تحقيق الذات يكون عمق خصوبة الأثر الأدبي. بناء على هذا فإن كتابة القصة القصيرة لا تأتي إلا إذا شعرت بإمكانيتها. والقصة القصيرة بالنسبة لي تعبِّر عن لحظة اكتشاف لأشياء وعناصر موجودة فعلاً في الواقع، فهي تعبِّر عن حالتي النفسية من جهة، وعن المجتمع الذي أستعمل لغته في بناء قصصي. فهي تعبير واع وغير واع في الوقت نفسه.

٢ ـ لا بد أن تكون هذه العلاقة قائمة حتى لو أني لا أعي إليها، كما ذكرت سابقاً. إن حوادث حياتي الخاصة أو العامة توحي إليَّ بما تهوى، ولكل جانب نتائجه ودوره في انفعالي وإن كنت أرى أن أثر الأحداث العامة تؤثر في أكثر من الأولى. فمثلاً حدث ١٩٦٧ م، قد جعلني في حالة اضطراب معين، شعرت وكأني قد أصبت بمرض نفسي حاد. إن المثقفين هم وحدهم الذين شعروا بالهزيمة. لقد نشأ لدى البعض منهم نوع من الأزمات الشخصية تحولت عند البعض إلى نوع من المشاكل الفردية. هذا ما حدث لجماعة القصاصين الذين أنشأوا **مجلة جاليري** «٦٨».

٣ ـ أنا لا أعتقد أني أكتب عن الأحداث التاريخية أو الوطنية لأن ما أكتبه ليس وعظاً وطنياً. أنا أكتب بناء عن موقف شخصي، وإن كنت قد انفعلت رغم إرادتي بهذا الواقع، وعبرت عنه بكيفية معينة كما تجد في **قصة «النداهة»** مثلاً.

أما كيف رأيت المجتمع في تلك الفترة، أولا المجتمع المصري بالنسبة لي بعد مجتمعين، مجتمع القاهرة الذي تفككت فيه عناصر الانتماء، وهو الذي أحس بالهزيمة وخاصة الجيش، والثاني مجتمع الريف الذي لا أعتقد أنه شعر بالهزيمة لأنه في وضع انهزام من قبل.

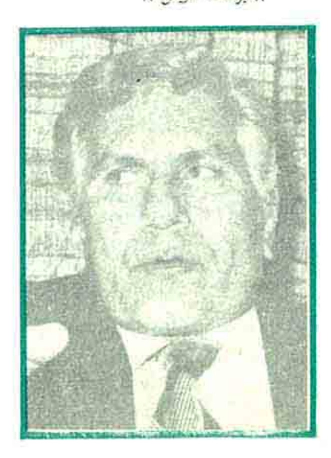
٤ ـ لقد شعرت أن المجتمع كان يرفض مواجهة نفسه صراحة، خوفاً أن يخدش حياته السياسي، أو الاجتماعي النفسي، ولكن الفنان كان له دور في كون أن يكون مرآة الحقيقة، ولا يقبل أن يلوذ بالصمت. كل كاتب أصيل كان يعاني أن يقول الحق، أو ما يعتقد أنه الحق.

٥ ـ طبيب.

إجابة عبد الرحمن الشرقاوي[٢٥]

١ ـ أشعر أني في وضع يسمح لي بكتابة قصة قصيرة إذا تهيأت لي فكرة قصة قصيرة، دون الالتفات من جانبي إلى الأحوال النفسية المصاحبة لهذا


★ عبد الرحمن الشرقاوي ★ ◄
★ يوسف أدريس ★





الوضع .

٢ ـ هناك صلة بلا شك بين الأحداث التي تدور في قصصي من ناحية ، والواقع الاجتماعي من ناحية أخرى ، وهذا يظهر في المضمون بصفة مباشرة وفي البناء بكيفية غير مباشرة .

٣ ـ لقد أصابني إحساس بالفجيعة ، كما أصاب غيري من المثقفين . وظهر هذا عندي في صورة إحساس باليأس سيطر عليَّ لمدة معينة ، إلا أنه في الوقت نفسه قد أشعل فيَّ روح الرفض ، والمقاومة .

أما الوضع الاجتماعي فقد رأيته يتراجع للخلف ، فقد كانت هناك طبقة جديدة تحاول الثراء السريع مستغلة في ذلك ظروف الحرب ، وما تخلفه من إجراءات استثنائية . أما الطبقات الشعبية فقد ازدادت فقراً فأصابها نوع من خيبة الأمل ، كما ظهر في الريف . فالاستغلال من قبل بعض الجماعات المالكة للأراضي لم يزل قائماً ، وإن كان يتم بصورة خفية . أضف إلى هذا ظهور فئات طفيلية كثيرة حققت أرباحاً طائلة بلا عائد اقتصادي يذكر .

٤ ـ التعبير عندي كان بالرمز ، وعند غيري أصبح نوعاً من الألغاز ، وهذا لمحاولة الهروب من الرقابة التي كانت تفرض من قبل الدولة على شتى أنواع الكتابة . ومع هذا كان القارئ يفهم الهدف الذي يقصده الكاتب ، لأن القارئ نفسه كان يعاني من أزمة حرية التعبير .

٥ ـ صحفي .

إجابة إحسان عبد القدوس[٢٦]

١ ـ أشعر أني في حاجة إلى كتابة قصة قصيرة لا رواية عندما يطرأ على حياتي نوع من الاضطراب غير المألوف ، أوضح هذا : حدث مثلاً في حياتي بعض هزات سياسية واجتماعية معينة ، جعلتني أفقد الاطمئنان والهدوء الشخصي ، فتوقفت عن كتابة الرواية ، ولم أجد غير القصة القصيرة باعتبارها وسيلة فنية للتعبير يسهل فيها استعمال الرمز عن الرواية . لكنني أحياناً ما أكتبها كفن مستقل عن الأحداث وليس له نفس الغرض السابق .

٢ ـ هناك صلة قوية بين أحداث قصصي وأحداث حياتي العملية ، لأن حياتي الفردية مرتبطة بصورة معينة بالحياة الاجتماعية .

٣ ـ كنت في حالة من البهوت الشديد لحظة عرفت حقيقة الموقف ، ومدى أثره المباشر على أغلب الصحفيين والأدباء ، إلا أن الأثر كان أعمق على المسؤولين عن الدولة .

أما المجتمع فكان يواصل تطوره في الفترة بين ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ م .

٤ ـ لما كانت طبيعة النظام في تلك الفترة لا تسمح بحرية التعبير عن الرأي ، ولمواجهة هذا الوضع كنت أضطر إلى استعمال الرمز ، للإفلات من محاسبة السلطة مثال ذلك قصة **« علبة من الصفيح الصدىء »** و **« لا أستطيع أن أفكر ، وأنا أرقص »** .

بلا شك أن هذه القيود قد قلت إلى حد كبير بعد السبعينات ، لم يعد هناك رقابة على ما يكتب ، إلا أن الصحف لم تزل مقيدة بنظام الحكم ، وليس من حق الصحيفة أن تنقد النظام ، هذا إلى جانب أن السلطة ، هي التي تقوم بتعيين رؤساء التحرير .

٥ ـ صحفي

إجابة صلاح حافظ[٢٧]

١ ـ أكتب القصة القصيرة عندما أكون منفعلاً بقضية ما في الحياة العامة ، فهي تعبير عن موقف في النهاية ، فمثلاً هناك قضية ما ، أريد أن أحدد موقفي منها في سلوك معين فأصطنع شخصيات وحدث ، وموقف ، أجسد فيه هذه القضية العامة في شخص أو عدة أشخاص .

٢ ـ نعم هذه الصلة موجودة بصفة جوهرية في قصصي باعتبار أني أنطلق في عملي من الواقع .

٣ ـ لم أكن أصدق ما حدث في يونيو (حزيران) ١٩٦٧ م ، ولم أكن في حالة تسمح لي أن أحلل الأحداث وأستوعب ما حدث . فلم أكن أتخيل أن تكون بهذا الوضع .

أما ملاحظاتي وشعوري الخاص نحو الواقع الاجتماعي فتتلخص في ثراء الطبقة الجديدة التي كانت تستثمر المال العام . أما طبقة العمال والفلاحين فقد كان وضعها في تدهور ، إذ قد توقفت القوانين عن الصدور . وازداد أصحاب الملايين ، والمجتمع ، في هذه الفترة عرف بعض المحاولات لدفعه من جانب المستغلين . فقد حاول المستغلون الاستفادة من الظروف السياسية لكي يحققوا مكاسب اجتماعية ، واقتصادية . إلا أن الحكم في مصر سلطة وطنية يلزمه أن يحد من ضراوة هذا الصراع .

٤ ـ لقد عبرت عن موقفي إزاء هذا الواقع باستعمال الرمز الواقعي . إن النظام السياسي في هذه الفترة لم يسمح بالنقد المباشر ، فالثورة قد استخدمت مع المثقفين وسيلتين : إما السجن وإما الإغداق . لقد كنت أعبر عن فكري بصورة مستترة ، حتى إنني أصبحت أتقن فن التمويه ، معتمداً على ذكاء القارئ في فهم الدلالات التي وراء النص .

٥ ـ صحفي .

إجابة عبد الله الطوخي[٢٨]

١ ـ أكتب القصة القصيرة لحظة ينشأ لدي انفعال خاص بإحدى جزئيات الحياة اليومية داخل المجتمع . والمجتمع بالنسبة لي ليس المجتمع الذي أعيشه فحسب بل أيضاً المجتمع العالمي وكلما كان انفعالي شاملاً كانت قصتي عالمية . والكتابة عندي ليست رد فعل للأحداث والقضايا المثارة في مجتمعي . فأنا أعتقد أني أساهم في اكتشاف القضايا وتجاوزها .

٢ ـ الجزء الأعظم من انفعالاتي منبعه الواقع الاجتماعي ، أو النفسي ، أو التاريخي ، ومضامين قصصي لا تخرج عن نطاق هذه الجوانب .

٣ ـ لقد شعرت بأن كارثة قد أصابتني ، ظلت تلاحقني مدة ليست قصيرة . أما المجتمع فقد رأيته في حالة تشبه إنسان ضرب بعنف وعلى رأسه ضربة غدر . وكان كل كفاحه ألا يفقد عقله ، وأن يحافظ على توازنه لكي يفيق من الضربة ، ثم يحاول تكوين نفسه لكي يرد الضربة ، ثم إقامة حياته بعد ذلك .

وخلال هذه المرحلة ظهرت طبقة جديدة ، إن لم تقف القوة الوطنية في وجهها فستعود التناقضات إلى الظهور كما كانت من قبل .

٤ ـ الطابع الغالب على قصصي في هذه الفترة هو الرمز ، الأمر الذي

أبعدني عن المصارحة . ذلك بسبب وجود رقابة على الصحف ، وبسبب تصاعد موجة اللامنتمي بين الكتّاب ، فقد أفقدتهم الهزيمة لهب الإيمان .
٥ ـ صحفي .

ثانياً : الجيل اللاحق للحرب

إجابة جمال الغيطاني[٢٩]

١ ـ أحياناً ما يأتيني نوع معين من الانفعال نتيجة تفاعلي مع الواقع الخارجي ، الذي ينعكس عليّ بدرجة معينة ، وهذا الانفعال يكون مصحوباً بفكرة معينة ، تجد القصة القصيرة الشكل الفني الملائم لها .

٢ ـ أعتقد أن الصلة وثيقة جداً . فإن ما يجري من أحداث في المجتمع يثير لديّ انفعالات مستمرة ، ويرتبط بحياتي ارتباطاً مباشراً على المستوى الخاص والعام ، وهذا بدوره ينعكس على قصصي .

٣ ـ عندما حدثت كارثة ١٩٦٧ م ، كنت أبلغ من العمر ٢٢ عاماً . وكنت أعتقد دائماً أنه إذا كان هناك خللاً في جهاز الدولة ، فإنه لا يمكن أن يكون في الجيش . فعندما وصلت الحقيقة إلى علمي شعرت وكأن هناك كابوساً يلازمني .

لقد كتبت **قصة « أوراق شاب عاش ألف عام »** في أغسطس (آب) من نفس العام ، البطل يذهب إلى ميدان القتال ، باعتبار أن هذا هو الطريق . ويشاء القدر أن أعمل في الصحافة بعد عام واحد ، وأن اختار بملء إرادتي العمل في ميدان القتال كمراسل حربي طوال هذه الفترة .

ولقد لفت انتباهي على المستوى الاجتماعي بروز فئات طفيلية من المقاولين ومتعهدي الأغذية . فالطبقة الجديدة التي ظهرت في الستينات قد اختفت وحل محلها طبقة أخرى من الأغنياء الجهل لا ثقافة لهم ولا شعور وطني ، بدأوا بعد هزيمة ١٩٦٧ م ، وانتشروا بعد حرب ١٩٧٣ م .

٤ ـ التكنيك الذي كنت أستعمله دائماً هو التاريخي ، والرمزي . إني أعتقد أن هناك علاقة بين الظروف الديمقراطية والشكل الفني . ففي مجتمع كمجتمعي تصادر فيه حرية الكلمة ، أضطر أن أتحايل على هذا الوضع وأقول كلمتي من خلال أشكال وطرق فنية متنوعة ، والقصة القصيرة هنا تصبح أداة فنية ناجحة ذلك لاقترابها من طبيعة الشعر .

٥ ـ في البداية عملت في مهنة تصميم السجاد ، وبعد ذلك عملت في الصحافة ، وما زلت حتى الآن .

إجابة مجيد طوبيا[٣٠]

١ ـ أكتب القصة القصيرة عادة في لحظة معينة يحدث فيها تفاعل ما بيني من جهة ، والمجتمع من جهة أخرى ، وطبيعة هذه العلاقة كما أحسها جدلية . فأنا دائماً على خلاف مع المجتمع ، لأنني أطمح إلى الأفضل . فمن خلال معاداتي لما أراه معاد للإنسان ، وعن طريق حاستي الخاصة وقدرتي على النظر إلى مدى بعيد تنشأ القصة القصيرة .

٢ ـ الصلة بيني وبين الواقع عميقة ، وهذا يبدو من الإجابة السابقة .

٣ ـ انتابتني صدمة وجدانية عندما اكتشفت الحقيقة ، فأنا وأبناء جيلي نعد من أكثر الأجيال التي قضت معظم سنوات حياتها مع سنوات الثورة .

٤ ـ كنت أعبّر عن موقفي بأساليب رمزية ، ولعل هذا يكون راجعاً إلى محاولة الإفلات من الرقابة التي تفرض على كل ما ينشر . مثال ذلك هناك عدد من القصص لكتّاب من الجيل الذي لمع بعد هزيمة ١٩٦٧ م ، لم تنشر بعد .

٥ ـ معيد بالمعهد المسرحي .

إجابة صنع الله إبراهيم[٣١]

١ ـ أشعر غالباً أنني في حاجة إلى كتابة قصة قصيرة حينما يكون هناك أحداث متلاحقة أنفعل بها ويكون من الصعب عليّ في لحظة مرورها القيام بتحليلها بعمق ، وإعطاء تصور كامل لأبعادها .

٢ ـ هذه الصلة قائمة فأنا أعيش داخل المجتمع وأرى وأشعر بقضاياه التي هي جزء من قضايا الكاتب باعتباره فرداً يمارس حياته داخل هذا الإطار .

٣ ـ من خلال مشاهداتي أستطيع القول بأن هناك طبقة جديدة قد ظهرت خلال هذه المرحلة ، واستطاعت في فترة قصيرة أن تحقق أرباحاً بصورة خيالية ، والمجتمع تزداد فيه التناقضات يوماً بعد آخر .

٤ ـ عن طريق استعمال الرمز والتعبير السريالي ، فالواقع رحب للغاية والتمثل الفني له لا يمكن أن يكون بصورة حسابية .

٥ ـ موظف في دار نشر .

إجابة يوسف القعيد[٣٢]

١ ـ الحاجة إلى كتابة قصة تنبع من إحساسي الحاد بعدم التوافق بيني وبين العالم ، فإذا لم أشعر بهذا الإحساس لا تنشأ لديّ الرغبة للكتابة ، التي أعتبرها محاولة للتعبير عن حالة من القلق ، وعدم الرضا ، والرفض . وقد تكون الكتابة هنا شكلاً لحلول الأزمة .

٢ ـ بالتأكيد هناك صلة قوية بين حياتي ، وواقع المجتمع ، وبين ما يدور في قصصي من أحداث وهذا يخضع لعدة اختيارات واعتبارات كثيرة . وإن كان ما يحدث سواء على المستوى الشخصي ، أو الواقعي قد لا يصلح مادة للقصة ولكن رغم هذا فالصلة قائمة فعلاً .

٣ ـ كانت هزيمة ١٩٦٧ م ، تعني الكثير بالنسبة لي سواء على المستوى الواقعي أو المستوى الفني فهي كانت هزيمة للقوى التقدمية في مسيرتها . إنها كانت بمثابة هزة عنيفة كشفت عن حقيقة الحكم . وإنه ذو مجد وأخطاء في نفس الوقت .

وفي تلك المرحلة بدت لي الفروق الطبقية بشكل واضح ، فقد أثرت فئات طفيلية نتيجة استفادتها من وضع الحرب ، وهذه الفئات ليس لها أي دور اجتماعي يذكر . فتجار السوق السوداء مثلاً قد استغلوا حالة التقشف التي فرضت على البلاد وتلاعبوا بالأسعار بصورة لم تحدث من قبل . وكذلك مقاولو الباطن والسماسرة والوسطاء ، لقد تحملت الطبقات الكادحة عبء هذه الظروف إلى جانب جماعات المثقفين الذين عانوا حتى درجة العذاب .

٤ ـ أعتقد أن التعبير عن الرأي بصراحة في تلك المرحلة كان يمثل مشكلة ، فكان اللجوء إلى استعمال الرمز ، أفضل من الواقعية المباشرة .

إجابة غالب هلسا[٣٣]

١ ــ أكتب القصة القصيرة من أجل التعبير عن موقف خاص تجاه قضية معينة ، وهذا الموقف تحدده حالتي النفسية .

٢ ــ الصلة قائمة باعتبار أن موقفي يتحدد على ضوء الجانب النفسي الذي أعتقد أنه يرتبط بصورة من الصور بظروف الواقع الاجتماعي .

٣ ــ عقب هزيمة ١٩٦٧ م ، نشأ لدي إحساس بالعبث ، كما ساد هذا الشعور عند الغالبية العظمى من المثقفين . لقد تبين لي أني أعيش في عالم مزيف . لقد اعتقدت قبل هذه المرحلة أنني وغيري نضحي من أجل بناء دولة قوية . ولكن عندما تبينت لي الحقيقة شعرت باليأس .

أثناء هذه الفترة كانت هناك طبقة طفيلية تنمو وتزداد ثراء ، أما المثقفين فهم بين طرفي الصراع يتراوح التزامهم بين مطالب المعيشة ، وبين ضميرهم .

٤ ــ إن طبيعة النظام فقد أدت إلى عزلة الكاتب ، والبحث عن أساليب التداعي ، والعبث ، وهو الذي أدى أيضاً إلى الغموض في الرؤية الاجتماعية والسياسية .

٥ ــ كاتب وصحفي .

إجابة أحمد الشريف[٣٤]

١ ــ لا تأتيني القصة القصيرة إلا في لحظة فريدة معينة ، تكون حافلة بالانفعال ، وهذا الانفعال هو محصلة التفاعل بيني وبين المجتمع ، وبقدر ما يتعرض المجتمع للأزمات والتغيرات ، بقدر ما تتوالى هذه اللحظات وتتنوع .

٢ ــ الواقع الاجتماعي أعيشه ولا أنفصل عنه يؤثر فيَّ وبالتالي يؤثر في مضمون قصصي .

٣ ــ لقد بدت لي الأشياء على نحو غير معقول فلم أعد أثق في قدرة المسؤولين على المواجهة أو على بناء ما انهار من ماديات أو معنويات .

أما المجتمع فكان في مرحلة حرجة يراجع فيها قيمه ، وفكره ، ومثله ، التي هزتها الهزيمة . وقد استغل هذه المرحلة وظروفها طبقة طفيلية تتكون من تجار العملة ، وتجار السيارات والعمارات ، والشقق المفروشة .

٤ ــ التكنيك الذي أستعمله هو التداعي أو الرمز .

٥ ــ من قبل موظف في وزارة الثقافة والآن صحفي .

انتهت إجابات الأدباء . ويلاحظ من الوهلة الأولى أن الإجابات كلها متفقة سواء الجيل السابق للحرب (نجيب محفوظ ، يوسف إدريس ، عبد الرحمن الشرقاوي ، إحسان عبد القدوس ، صلاح حافظ ، عبد الله الطوخي) والجيل اللاحق للحرب (جمال الغيطاني ، مجيد طوبيا ، صنع الله إبراهيم ، يوسف القعيد ، غالب هلسا ، أحمد الشريف) على الشاهدة بأن هناك انهيار في بعض عناصر البناء الاجتماعي ، وضعت الفرد والمجتمع في موقف مأزوم . وقد استطاع الأدباء القيام بوصف هذه الأزمة وصفاً مباشراً .

وإذا دققنا النظر في أقوالهم وجدناها تكشف عن مظاهر هذه الأزمة بطرق مختلفة ، لكنها متفقة على حقيقة دينامية واحدة . فهناك على الدوام **أزمة المثقف والمجتمع** ، وإن كان هناك اختلاف في بعض الإجابات ، إلا أننا لا نستطيع أن نجعل نقطة البدء الاهتمام بتفسير جزئيات الظاهرة ، وإلا انتهينا إلى التصنيف على أساس الجزئيات . فنضرب مثال لذلك نفرض أننا وقفنا عند النص الذي أوردناه عن نجيب محفوظ لنقول إنه يكتب القصة القصيرة تحت ظروف نفعية أحياناً وأخرى نفسية واجتماعية معينة ، ثم عند يوسف إدريس نجد أنه لا يستطيع تحديد موقفه من الشكل الأدبي باعتبار أنه لا يختارها ، ثم عند إحسان عبد القدوس لنقول إنه يكتب القصة القصيرة تحت ظروف سياسية ، واجتماعية معينة . وإذ بنا نبحث عن مدى التشابه بين بعضهم ، وبذلك ننتهي إلى تصنيف تبدو عليه معالم الدقة والاتقان ، لكن أن نكون بهذا التصنيف قد ألقينا ضوءً على ديناميات الظاهرة ؟ كلا . لأن التصنيف يقف عند حدود الظاهرة ولا يفسرها .

ثم إن هناك مشكلة أخرى ألا وهي ما يبدو من تضارب بين بعض الأقوال . فعلى حين يرى صلاح حافظ مثلاً أن هناك محاولات لدفع المجتمع وأن القوانين توقفت عن الصدور ، بينما يرى إحسان عبد القدوس أن المجتمع يتطور .

ماذا يقال في هذا التضارب ؟ هنا يوجد اختلاف بين الباحثين بعضهم يضيق أفق البحث ، فيقتصر على عدد من الأقوال المتشابهة ليخرج منها بنتيجة متماسكة . وفي ذلك خروج عن أبسط قواعد البحث العلمي . حقاً إن كل نظرية تتضمن نوعاً من الاختيار ، ولكن شتان بين اختيار يعني التنظيم ويأتي نتيجة للفرض المنظم الذي يتسع لتناقض الظاهرات ، وبين اختيار يفرض فرضاً فيعني الحذف والإنكار أحياناً هرباً مما تبديه الظواهر من تناقض .

على أية حال هناك بعض الباحثين ممن يأخذون بالتصنيف ، وبعضهم يمضي نحو التعسف في الاختيار ، ولكن مهما قيل في أولئك وهؤلاء فهم أشد إخلاصاً للروح العلمية من فريق ثالث يختلط عليه الأمر ولا يلبث أن يعلن أن تحول الفرد المبدع من شكل أدبي لآخر في فترة تاريخية ، واجتماعية معينة ترجع إلى مسألة خاصة بالكاتب ، وكأن هذا الأخير لا يعيش داخل إطار اجتماعي معين ، وكأن الظاهرة لا ترتبط ــ من بعض الجوانب ــ بعدة ظواهر أخرى .

وقد حاولنا أن نتجنب هذا الخطأ المنهجي . وهذا يبدو واضحاً في الطريقة التي وضعنا بها أسئلة الاستخبار ، التي تضمنت أكثر من مجال واحد (النفسي ، الاجتماعي ، التاريخي) ، وهذا يعني أننا لا ننهج منهج التفسير الذي يعزل الظواهر عن بعضها ، وهذا الاتجاه لدينا واضح منذ بداية البحث .

لقد وضعنا الأسئلة على أساس خطة معينة إلى حد ما . مع أن هذه الخطة لم تكن واضحة في ذهننا وضوحاً تاماً . ولعل هذا كان من الأفضل ألا تكون واضحة حتى تتيح لنا أن نخضع لمقتضيات الواقع ، ونغير من موقفنا قليلاً أو كثيراً . إن كل ما تهدف إليه الأسئلة هو الكشف بأكبر قدر ممكن من الوضوح عن ديناميات الظاهرة .

من المعلوم أن آراء جولدمان لا تتفق من بعض النواحي مع مسارنا المنهجي تجاه الأديب ، إذ إنه يرى أن إدراك المؤلف لآثاره يجوز أن يرشد الباحث في أحيان معينة ، كما يجوز أيضاً أن يضلله ، وجولدمان يرى أنه من الواجب الاهتمام بالأثر الأدبي نفسه لا الكاتب . باعتبار أن الأثر يحمل دلالات حضارية وتاريخية ، وثقافية تغني الباحث أو الناقد عن البحث في هذا المجال .

نستطيع هنا القول بأننا لم نضع في خطتنا مكان خاص للأثر الأدبي . فالجزء الأول من الأسئلة كان يهدف إلى محاولة إلقاء بعض الضوء على الجانب النفسي عند الكاتب ، وعلاقته بالجانب التاريخي ، والاجتماعي ، أما الجزء

الثاني فكان يسعى لإيضاح الروابط بين الجوانب السابقة والشكل الجمالي .

على أية حال إن هذه القضية لا داعي لإثارتها لسبب بسيط، هو أننا بصدد عدة إجابات لقصاصين مختلفين ، حيث ينتمي كل منهم إلى جيل مختلف عن الآخر . هذا إلى جانب أننا لن نقف عند حدود الإجابات بل سنتخذ منها وسيلة للنفاذ إلى ديناميات الظاهرة . وبعبارة أخرى إن الأدباء قد قدموا إلينا صورة جزئية لموقفهم من ناحية ، ونظرتهم للعالم من ناحية أخرى ، ومهمتنا نحن أن نصل إلى الأسس الإجمالية للظاهرة محل الدراسة . أضف إلى هذا أننا سنتبع هذا التحليل بتحليل للأثر الأدبي نفسه .



★ جمال الغيطاني ★

★ يوسف القعيد ★

تحليل الإجابات

١ ـ من خلال إجابة الأديب على السؤال الخاص بالوضع الذي يجعله يكتب قصة قصيرة يكشف عن عامل نفسي هام في الظاهرة ، ألا وهو اختلال بالغ نسبياً ، يعتبر كأساس دينامي لكتابة هذا الشكل الأدبي ، بحيث يمكن أن نقول إن الأديب يتحرك في حدوده ، وفي الحالة التي ينتمي فيها هذا النوع من التوتر تكون نهاية هذه الحالة . وبالتالي يمكن أن تنشأ لديه نظرة أخرى للعالم تتطلب شكلاً جمالياً آخر .

ورغم اختلاف الإجابات فإنها جميعاً متفقة في الحقيقة الدينامية التي تعبر عنها ، نجيب محفوظ يقول : « كنت منفعلاً باستمرار وليس لدي موضوع محدد . . . همي الأول هو التعبير عن شعوري المضطرب » ، بينما إحسان عبد القدوس يقول : « أشعر أني في حاجة إلى كتابة قصة قصيرة . . عندما يطرأ على حياتي نوع من الاضطراب غير المألوف » ، أما صنع الله إبراهيم فقد جاء بوصف دقيق لأثر التغير الذي يطرأ على بعض عناصر الواقع الاجتماعي ، ودوره في تحديد نوع التوتر لدى الفرد المبدع ، فهو يعالج هذا الجنس الأدبي على حسب قوله : « حينما يكون هناك أحداث متلاحقة » ، في حين يقول يوسف القعيد : « الحاجة إلى كتابة قصة تنبع من إحساسي الحاد بعدم التوافق بيني وبين العالم » ، وصلاح حافظ يتفق في حديثه مع غالب هلسا ، في حين يتفق جمال الغيطاني مع مجيد طوبيا .

غير أننا إذا تأملنا هذه الإجابات على أساس دينامي وجدناها متفقة رغم هذا الاختلاف فعبارة محفوظ القائلة : « لعل همي الأول هو التعبير عن شعوري المضطرب » يمكن أن تساعدنا في كشف نوعية هذا التوتر المصاحب لكتابة هذا الشكل الجمالي ، وهذا النوع المعين من التوتر يبدو وكأنه قد فرض عليه فرضاً ، وهذا المعنى نفسه تشف عنه إجابة إدريس حين يقول : « أنا أعتقد أني لا أختارها دائماً بل هي التي تختارني » .

٢ ـ للأحداث الواقعية ، والمشاهدات التي تحدث في حياة الأديب صلة بما يكتبه لم ينكرها أحد من المجيبين ، لكن هذه الصلة تبدو لهم غامضة ، فهم يلمسون في قصصهم آثار واقعهم لكنهم لا يستطيعون أن يقرروا مصدر أو طبيعة هذه الصلة .

٣ ـ تتفق كل الإجابات على الشاهدة بأن التغير المفاجئ الذي طرأ على بعض عناصر المجال الاجتماعي بعد ١٩٦٧ م ، قد أحدث لديهم اختلالاً بالغاً نسبياً ، وإن كانوا يعبرون عن ذلك بكلمات وجمل مختلفة . محفوظ يقول : « حصل لي ذهول شديد ، وحزن أشبه بآلام السرطان » بينما إدريس يقول : « شعرت وكأني قد أصابني مرض نفسي » .

٤ ـ تتفق كل الإجابات على الشاهدة بأن الأديب يعاني من وجود أزمة في حرية التعبير ، وأن هذا المشكل قد جعله يستعمل الرمز في التعبير عن نظرته للعالم في هذه المرحلة عبد القدوس يقول : « كانت طبيعة النظام لا تسمح بحرية التعبير عن الرأي ، وكنت في مواجهة هذا أضطر إلى استخدام البناء الرمزي ، للإفلات من محاسبة السلطة » ، أما الغيطاني فيقول : « في مجتمع كمجتمعي تصادر فيه حرية الكلمة ، أضطر أن أتحايل على هذا الوضع وأقول كلمتي من خلال أشكال وطرق فنية متنوعة » ، في حين يقول هلسا : « إن طبيعة النظام قد أدت إلى عزلة الكاتب ، والبحث عن أساليب التداعي ، والعبث »

٥ ـ من خلال إجابة السؤال الخامس نستنتج أن جماعة الأدباء الذين أجرينا معهم الاستخبار لهم مهن مختلفة : موظف (نجيب محفوظ ، صنع الله إبراهيم) مدرس (مجيد طوبيا ، يوسف القعيد) طبيب (يوسف إدريس) صحفي إحسان عبد القدوس ، عبد الرحمن الشرقاوي ، صلاح حافظ ، عبد الله الطوخي ، غالب هلسا) إلخ . . . ، وهم بذلك ينتمون طبقياً إلى الفئة المثقفة البرجوازية الصغيرة . وهذا يجعلنا نقول إن النظرة المعينة للعالم التي اكتشفناها عند الأديب لا يمكن اعتبارها ظاهرة فردية ، لأن ما شاهده ، وما أحس به هذا الأخير ، هو نفس ما شاهدته وما أحسته الغالبية العظمى من الفئة المثقفة في المجتمع العربي في هذه المرحلة فالأزمة إذن هي في الواقع أزمة هذه الجماعة ككل ، لأن المواقف الجمالية ، والفكرية التي اتخذوها مرتبطة موضوعياً بهذه الظروف التاريخية والاجتماعية . نتيجة هذا يمكننا القول بصفة مؤقتة إن الشكل الجمالي الذي سيطر على وجدان الفرد المبدع في هذه المرحلة ، لا يعبر فقط عن أزمة هذه الفئة بل أيضاً عن أزمة الطبقة البرجوازية الصغيرة في تاريخها المعاصر .

هكذا قد توصلنا إلى بعض النقاط الهامة التي يمكن أن تلقي الضوء على بعض جوانب ظاهرة سيطرة شكل القصة القصيرة في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة . غير أننا لا نستطيع بأي الحالات أن نكون فكرة منظمة عن ديناميات الظاهرة إلا إذا قمنا بتحليل الأثر القصصي نفسه[٣٥] .

الهوامش

١ ـ نقصد هنا علم النفس وعلم الاجتماع بوجه خاص .

٢ ـ انظر مؤلفنا .

٣ ـ السيد ياسين ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ م . يعرض المؤلف في هذا العمل بعض الأسس النظرية الهامة التي جاء بها جولدمان . وما يؤخذ على هذه الدراسة أنها ينقصها الجانب التطبيق .

٤ ــ فتحي أبو العينين ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ــ كلية الآداب قسم اجتماع ــ جامعة عين شمس ، ويغلب على هذه الدراسة أنها اهتمت بأحد عناصر الأثر الأدبي (المضمون) وتركت العنصر الآخر ألا وهو بناء الأثر ، وهذا من شأنه أن يفتت التماسك الداخلي للأثر الأدبي .

٥ ــ د . شكري عياد ، النقد التفسيري ، مجلة المجلة ، القاهرة ، عدد مايو (أيار) ١٩٧٠ م ، ص ٤ ــ ٨ .

٦ ــ د . شكري عياد ، المؤسسة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

٧ ــ د . عبد الحميد إبراهيم ، رسالة دكتوراه منشورة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٣ م .

٨ ــ محمد جبريل ، المؤسسة العامة للتأليف ، القاهرة ، ١٩٧٢ م . الخطأ الذي وقعت فيه هذه الدراسة هو نفس الخطأ السابق الذي وقعت فيه الدراسة التي أجراها فتحي أبو العينين ، مع الفارق في مستوى التطبيق المنهجي لقواعد البحث العلمي والخروج بنتائج مناسبة ، حيث إن هذا الأخير قد استطاع أن ينظم الظاهرة التي حددها في بحثه ، وأن يكون لها عدة فروض اتسعت لتناقض الظاهرات .

٩ ــ د . غالي شكري مجلة دراسات عربية ، بيروت ، عدد فبراير (شباط) ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ١٢٦ ــ ١٤٤ .

١٠ ــ إن محفوظ لم يتوقف عن العطاء للرواية كما ذكرت الدراسة ، فهو قد عالج الرواية ولكن الرواية القصيرة ذات البناء الجديد ، وكذلك المسرحية ، والقصة القصيرة أيضاً كما نشير في دراستنا .

١١ ــ يبدو لنا أن هذه الظاهرة (ذكر المراجع الأجنبية في الأبحاث دون الاستفادة منها أو الاطلاع عليها) شائعة عند أغلب الباحثين الناشئين من العرب . فقد لاحظنا أنه من بين ٢٢ رسالة ماجستير يوجد من بينها ٣ فقط هم الذين استفادوا من المراجع التي ذكروها في أبحاثهم في الفترة بين ١٩٦٩ ــ ١٩٧٩ م في جامعة السربون (باريس الثالثة) قسم الأدب العربي . وجدير بالذكر أن رسالة الماجستير

(Renaissance et déclin de la pensée arabe moderne: étude critique comparée du régime de Mohamed Ali et celui de Nasser).

(دكتوراه من الدرجة الثالثة) التي حصل عليها د . غالي شكري عام ١٩٧٩ م ، في نفس الجامعة ، قد استعمل فيها نفس الطريقة السابقة : حيث ذكر في قائمة المراجع الفرنسية بعض المؤلفات الهامة في اللغة والأدب وسوسيولوجيا الأدب ، نذكر منها على سبيل المثال ، ما جاء في ص ٣ : حيث نراه يذكر المؤلفات الآتية :

-I. Goldman: «Marxisme et Sciences humaines»

-I. Goldman: «Le structuralisme génétique»

-Gurviteh: «Dialectique et Sociologie»

القارئ الذي يريد مزيداً من التفاصيل في هذا الموضوع يرجع إلى مؤلفنا :

-«L'avenir de la Littérature et de la Civilisation arabe» Paris-édition Harmattan- sous presse p.p. 80-120.

١٢ ــ -R. Escarpit, «Le Littéraire et Le Social» Paris, Flammarion, 1970, p. 59.

١٣ ــ -L. Goldman, «Les Création culturelles, dans la société moderne» Paris, Oenoël, 1971, p. 51.

١٤ ــ -«Recherches dialectiques», Paris, Gallimard, 1959 p.p. 45-107.

١٥ ــ -«Pour une Sociologie du roman», Paris, Gallimard, 1964.

١٦ ــ ناقش عدد من المثقفين العرب أزمة التخلف الحضاري العربي ، في مؤتمر عقد بدولة الكويت عام ١٩٧٤ م ، وقد نشرت الأبحاث التي قدمت فيه في مجلة الآداب عدد مايو (أيار) ١٩٧٤ م .

١٧ ــ انظر في هذا الموضوع البحث الذي قدمه السيد ياسين لمعهد الدراسات الاستراتيجية القاهرة ، ١٩٧١ م ، ص ٩ ــ ١٠ .

١٨ ــ د . جلال العظم ، النقد الذاتي بعد الهزيمة ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، ص ٥٣ .

١٩ ــ C. Vial in: L'Egypte d'aujourd'hui, Paris, C.N.R.S, 1977 p.326.

٢٠ ــ N. Tomich, N. Mahfouz et L'édatement du Roman arabe après 1967, dans: revue de L'accident musulman et de La méditerranée, no. 15-16, 1973 pp. 348-349.

٢١ ــ د . سلوى الملا ، الإبداع والتوتر النفسي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ م ، ص ٢١٨ .

٢٢ ــ اعتمدنا بصفة أساسية في هذا الجزء من الدراسة على منهج د . مصطفى سويف في تحليله للاستبار والاستخبار ، في مؤلفه : الأسس النفسية للإبداع الفني ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ٢١٥ ــ ٢٥٠ ، إلى جانب المؤلف :

Daval R.: Traité de psychologie sociale, Paris, P. U. F.. 1964.

ومما هو جدير بالذكر أن عدد الأدباء الذين أجابوا أقل بكثير من عدد الأدباء الذين وجهت إليهم الأسئلة ، فقد اتصلنا في الواقع بحوالي ٣٥ أديباً ، البعض منهم فضّل أن يحصل على نموذج من الأسئلة دون أن تتم جلسات مع الباحث ، والبعض الآخر فضّل هذه الأخيرة .

لقد كان لدينا القصد في البداية أن القواعد المنهجية التي تتبع بدقة في هذا الصدد أعني أن يمر الاستخبار بمرحلتين : الأولى وتتلخص في طرح أسئلة عامة على الموضوع والثانية يتم فيها طرح أسئلة خاصة محددة . والملاحظ أن الغالبية من الأدباء قد رفضوا بشكل غير مباشر النوع الثاني من الأسئلة مما اضطرنا أن نهمل المرحلة الثانية من الاستخبار .

٢٣ ــ عقدنا مع الكاتب ثلاث جلسات في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ م ، في مدينة الإسكندرية ، هذا إلى جانب المراسلات التي كان يوافينا بها الكاتب من مدينة القاهرة في الفترة بين نوفمبر وديسمبر (تشرين الثاني وكانون الأول) من نفس العام .

٢٤ ــ جلسة مع الكاتب في دار الأهرام بالقاهرة في ٢٧ أغسطس (آب) ١٩٧٥ م ، هذا إلى جانب وثائق أخرى نشرت في مجلة الهلال ، ومجلة المجلة على التوالي : عدد أغسطس (آب) ١٩٦٩ م ، عدد مارس (آذار) ١٩٧١ م .

٢٥ ــ جلسة في دار روز اليوسف ــ القاهرة ، اغسطس (آب) ١٩٧٥ م .

٢٦ ــ جلسة في دار الأهرام ــ القاهرة ، ٢٧ أغسطس (آب) ١٩٧٥ م .

٢٧ ــ جلسة في دار روز اليوسف ــ القاهرة ، ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ م .

٢٨ ــ جلسة في مدينة الإسكندر. في ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ م .

٢٩ ــ جلسة في دار روز اليوسف بالقاهرة في ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ م ، إلى جانب رسالة من الكاتب إلى الباحث يوضح فيها بعض الأمور خاصة بعملية إبداع القصة ، في أواخر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٥ م .

٣٠ ــ جلسة في دار روز اليوسف ــ القاهرة ، في اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٥ م .

٣١ ــ جلسة في دار الثقافة الجديدة في ١٥ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٥ م .

٣٢ ــ استخبار بالمراسلة ــ في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥ م .

٣٣ ــ جلسة في دار روز اليوسف ــ القاهرة ، في ١٩ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٥ م .

٣٤ ــ جلسة في دار روز اليوسف ــ القاهرة ، ٢٦ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٥ م .

٣٥ ــ يعد الباحث الجزء الباقي من الدراسة في عدد آخر .



بين شاعرين

لامارتين • إبراهيم عبد القادر المازني

الشاعر المحتضر

للشاعر **الفرنسي ألفونس ماري لوي دي لا مارتين**، الذي ولد عام ١٧٩٠م، وتوفي عام ١٨٦٩م، واشتغل بالسياسة، **وشغل مناصب سياسية كثيرة** في فرنسا، وأصاب نجاحاً كبيراً عندما نشر أول ديوان له بعنوان «**خواطر شعرية**» يتضمن أربعاً وعشرين قصيدة أشهرها قصيدة «**البحيرة**»، وتحتوي هذه الأشعار تعبيراً صادقاً عن المشاعر التي كانت تستولي على الشاعر في أثناء تأمله للطبيعة، وكان لا مارتين شاعراً شديد الإيمان كما يبدو من قصيدته الشهيرة «**سقوط ملاك**»، كما كان شديد النزعة الإنسانية، كما يبدو كذلك من قصيدته الشهيرة هي الأخرى المسماة «**الشاعر المحتضر**»، وهي القصيدة التي نظم على غرارها وفي ذات الموضوع **الشاعر إبراهيم عبد القادر المازني**، وقام بترجمتها شعراً **الشاعر المعاصر مصطفى عبد الرحمن**، الذي عرف بأنه «شاعر الأغنية المصرية» والذي تميز بنزعته الرومانسية، وانتسابه إلى جماعة أبوللو الشعرية وإصداره خمسة دواوين شعرية حتى الآن، هي **لحن الخلود** ١٩٣٣م، **وليالي الشاطئ** ١٩٣٦م، **ومن أغاني الحياة** ١٩٣٩م، **وربيع** ١٩٥٥م، **وأغنيات قلب** الذي حصل به على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر عن عام ١٩٨٠م.

الشاعر المحتضر

للشاعر إبراهيم عبد القادر المازني الذي ولد عام ١٨٨٩م، وتوفي عام ١٩٤٩م، وأقبل في مطلع حياته الأدبية على نظم الشعر، فأصدر جزءين من ديوانه (١٩١٤ ــ ١٩١٧م) وسلك مسلك معاصره وصديقه **الشاعر عبد الرحمن شكري** في التعبير عن وجدانه الشخصي تعبيراً يغلب عليه الحزن والشكوى، وإلى الفترة نفسها يرجع نقده للشاعر **حافظ إبراهيم**، ودعوته إلى «المذهب الجديد» في الشعر، وهو المذهب الذي التقى فيه بالشاعر **عباس محمود العقاد**، وأصدرا معاً **الديوان في الأدب والنقد**، ناموساً لمدرسة الديوان التي أسساها بالاشتراك مع الشاعر عبد الرحمن شكري. وأصدر الشاعر المازني الجزء الثالث من ديوانه، وهو الديوان الذي جمعه وحققه **الشاعر محمود عماد**، وفيه كل قصائد المازني حيث يبدو تأثره بالشاعر الفرنسي لا مارتين في هذه القصيدة «**الشاعر المحتضر**» التي عارضها المازني ونظم يقول في ذات المضمون.

قصيدة

قصيدة

الشاعر المحتضر

كأس عمري حطمت يا لهف نفسي
وتبدى شبح الموت لعيني
يقرع الناقوس إيذاناً بتعسي
ليت شعري .. أفأبكي ؟ أم أغني

★ ★ ★

فلأغن الآن ما دامت يداي
فوق قيثاري وما دامت متوني
تلهم النفس وينبوع هواي
قبلما أهدأ قدسي اللحون

★ ★ ★

يرسل القيثار أنغام الحياه
عندما تحطمه أيدي القضاء
وسنى المصباح أبهى ما تراه
حينما يخبو ويمضي للفناء
بيد أن المرء يرنو للوراء
بعيون زائغات دامعه
مطرقاً في وجهه معنى الشقاء
باكياً تلك الليالي الضائعه

★ ★ ★

إيه فليبك الذي اشتدت به
حين يلق أملاً في غربه
لهفة الحرص على دنيا الغرور
راح يبلى وذوى العود النضير

★ ★ ★

بيد أني سوف أمضي للبلى
تاركاً دنياي في غير عناء
إن جذري الرخو لا يبق على
حاله إن هب إعصار المساء

★ ★ ★

الشاعر المحتضر

فتى مزق الحب المبرح قلبه
كما مزق الظل الضياء أياديا
قضى نحبه كالمزن فضن مدامعاً
وخلفن آثاراً لهن بواديا
ولما دنا منه الحمام ورنقت
منيته نادى الصفي المصافيا
وكاشفه والعين ينهل ماؤها
بما كان يخفي من هوى ليس خافيا
وقال وضم الراجتين على يد
كساها شآبيب الدموع الجواريا
بقيت وبلغت الذي بت راجياً
وإن كنتُ ما أعطيت منك مراديا
سيسقي الردى قلبي عن الحسن سلوة
فلا بتُّ حران الجوانح صاديا
ولا عجبٌ أن يطفئْ الموت غلتي
ويصبح دار العالمين دوائيا
كتمتك حبي خشية الصد والقلى
وحصنته حتى رمى بي المراميا
بعدت كماضي الأمس عني غاية
وأقرب شيء أنت مثوى وثاويا
أضر بيَ الكتمان حتى عددتني
خليلاً من التبريح والوجد خاليا
كأني لم أحمل هواك ولم أبت
أخا شغل يغري بصدري القوافيا
كأن قريضي لم تكن أنت سره
وموحي معانيه العذاب البواقيا
مضى ما مضى لم أدر ما لذة الهوى
ولا ذقتها إلا بطرف خياليا
إذا لج بي شوقي قنيت حيائيا
وظلت تباريح النزاع كما هيا
نجي الصخورُ الصم أركب ظهرها
وأفرغ في أذن الظنون شكاتيا
وما بيَ حب الصخر والريح والدجى
ولكن حالات لهن كحاليا
أرى في أديم الطود عاث برأسه الـ
خراب ووراه الضبابُ مثاليا
وفي الظلمة الطخياء من ظلمة الأسى
مشابه تدريها القلوب حواليا
إذا الليل واراني اطرحت الأمانيا
وكاد جمود الموت يصبي فؤاديا

سابح كالطير تغريها الفتون
ذلك الشاعر من ظل لماء
أبداً مَا عششت فوق الغصون
هي تسبيك بترديد الغناء

★ ★ ★

سابحات في نعيم حيثما
طاب ورد بالأماني تزدحم
أنت لا تعرف عنها غير ما
تسمع الأكوان من عذب النغم

★ ★ ★

يا ثلاثاً كان حظي في الحياه
هن حب .. وغناء .. ودعاء
لست آسى ساعة الموت لجاه
غير ما أنشد في ظل العزاء

★ ★ ★

حين ألقى زفرتي تمضي إلى
ساحة الله وقيثاري طروبا
ولدى صمت لعيني بدا
عانق القلب به قلباً حبيبا

★ ★ ★

أرسل المزهر في موج الهواء
عندما شلت يد الموت الوتر
نغمة فيها شكاة .. وعزاء
ذكر القلب بها ما قد غبر

★ ★ ★

أحطم المزهر قوموا واحملوا
نفسي اليوم إلى دنيا البقاء
يا رفاقي فاهدءوا لا تعولوا
وادفنوني بين ترجيع الغناء

للشاعر الفرنسي لا مارتين صاغها صياغة شعرية الشاعر مصطفى عبد الرحمن



وما كنت آبى الموت سهلاً مذاقه
لو أني إذا استأويته كان آويا
أرى الموت ظل العيش يبسط تحته
فيغشى أدانيه ويحظى الأعاليا
ألم تر للأشجار تمتد تحتها الـ
ظلال وتكسو الشمس منها النواصيا
فإن تحتطب يوماً تول ظلالها
وما إن يزيل الموت إلا الدياجيا
كذاك حياة الأفضلين فلا تلح
إلى الظل وانظر نورها المتراميا
فيا مرحباً بالموت يثلج برده
فؤادي وينسيني طويل عنائيا
تموت مع المرء الهموم ولن ترى
ككأس الردى من علة العيش شافيا
ولست على شيء بآسٍ وإنني
لأهجر ظهر الأرض جذلان راضيا
وما طال عمري غير أن لواعجاً
أطلن عنائي فاجتويت مقاميا
أهاب بنا داعي الردى فترحموا
وقولوا سقى الله القلوب الظواميا



★ الخوارزمي ★



★ البيروني ★

لواء الإسلام وتحت لواء راية **لا إله إلا الله محمد رسول الله** ، وكذلك فهي إسلامية لأنها استمدت مقوماتها الأساسية وعنصريها الأساسيين من نبعين خالدين هما كتاب الله الكريم وسنّة خير المرسلين ، وهما حجرا الزاوية في هذه الحضارة .

ونقول إن فضل المسلمين والحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية لا ينكره أي منصف أو دارس للتاريخ ، ولكن الكثير من الغربيين وأتباعهم من المستشرقين والمبشرين ، حادوا عن جادة الصواب وعن نزاهة العلم والأمانة العلمية ، وطمسوا الحقيقة الواقعة **بأن العرب والمسلمين هم أصحاب الفضل الأول في ما تنعم به أوروبا من البحث العلمي اليوم** ، وإن كان قد اعترف بها بعض المنصفين منهم .

وقد يبدو للبعض في هذه الأيام ، وخصوصاً الأوروبيين ، أن الفضل في قيام النهضة العلمية والحركة الفكرية والمسيرة التكنولوجية وغزو الفضاء واختراع الأدوات الحديثة التي ينعم بها العالم اليوم ، ترجع إلى أوروبا وإلى العلماء الأوروبيين ، التي بدأت تباشيرها منذ القرن السادس عشر الميلادي أو قبل ذلك بقليل ، ثم سارت بخطى سريعة وواسعة منذ القرن الثامن عشر الميلادي أو عصر البخار .

النهضة العلمية ــ في واقع الأمر ــ ما كان لها أن تقوم وأن تزدهر وتتطور بهذه الصورة المذهلة ، لو لم تستند على أساس متين من التراث العلمي الذي نقله المسلمون إلى **أوروبا في الأندلس وسويسرا وجنوب إيطاليا وصقلية وجنوب فرنسا وجزر كورسيكا وسردانية ومالطة** في القرون الوسطى ، في وقت كانت الحضارة الإسلامية هي سيدة العالم ، بل سيدة الحضارات المعاصرة لها إن لم تكن هي الحضارة الوحيدة في ذلك الوقت الذي كان فيه العالم يرسف في أغلال الجهل والتأخر والخرافة باستثناء الشرق والعالم الإسلامي الذي استنار بظهور الإسلام وتبوأ العرب والمسلمين مكان الطليعة في الزحف الحضاري والإنساني التي حمل لواءها عباقرة المسلمين أمثال ، **جابر بن حيان ، الخوارزمي ، البيروني ، ابن سينا ، أبو بكر الرازي ، ابن خلدون ، وغيرهم من علماء المسلمين .**

دور المسلمين في الحضارة الإنسانية

إن القول بأن المسلمين لم يكن دورهم في الحضارة الإنسانية إلا دور النقل من الحضارات السابقة أو دور حفظة للتراث الإنساني ، هو قول يتنافى مع الحقيقة العلمية ، ذلك لأن المسلمين في العصور الوسطى ، قد انكبوا على تحصيل العلم والبحث العميق والتأليف في مختلف فروعه ، وكانوا قد بدأوا أولا **بترجمة المؤلفات اليونانية والسريانية والقبطية والفارسية والهندية وغيرها ، ثم عدلوها مع ما يتلاءم مع قيمهم الإسلامية ، وهذبوها من الشوائب ورتبوا علومها على أسس علمية وموضوعية** وأضافوا إليها الشيء الكثير الذي لم يكن معروفاً من قبل ، وذلك بما حصلوا عليه بتجاربهم الواسعة وملاحظاتهم العظيمة وخبراتهم العميقة ، كل ذلك بطابع عربي إسلامي بحت لم يعد فيه أي أثر من آثار الحضارات السابقة .

ثم قاموا بدورهم بنقل هذا التراث الإسلامي إلى أوروبا التي كانت تتخبط في ظلمات العصور الوسطى ، ثم أفاقت **أوروبا** من غفوتها وقامت تنفض نفسها تراب الحياة الميتة التي تعيش فيها ، وقامت تتلمس ما غرسه العرب والمسلمين في أجزاء **أوروبا الجنوبية** . فوجدوا علوماً عربية إسلامية صرفة ، والتي تعربت حين فرضت عناصرها العربية الإسلامية في أذهان الجميع .

ولقد انتشر علماء العرب في أطراف الأرض المعمورة وليس في **أوروبا** فقط ، وتسلموا مشعل الحضارة والمعرفة ، وأعطوه من بعدهم لأبناء العالم الحديث ، وذلك لأن الشعوب الإسلامية الناطقة جميعها باللغة العربية قد كانت فيما بين القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي ، السابع الهجري ، أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، هم حملة مشعل الحضارة والمدنية في ربوع العالم القديم أجمع ، وفوق هذا فهم الذين كشفوا ونقبوا عن الفلسفة والعلوم القديمة وأضافوا إليها بفكرهم وثقافتهم وذكائهم الذي وصل إلى حدود بعيدة **في وقت كان فيه الأوروبي يعيش عصور الجليد ولبس الجلود وسكن الكهوف وصيد الحيوانات .**



★ ابن سينا ★

ذلك لأن حضارة الإسلام تقوم على رسالة سماوية خالدة ، نظامها الاجتماعي يقوم على أسس متماسكة ، ونظامها الاقتصادي يعتبر رأس المال وسيلة لا غاية ، ويحترم الملكية الفردية غير المستغلة وثقافتها تستخدم العقل البشري في كسب المعرفة وتحصيل العلم .

والذي لا شك فيه أن لدى المسلمين أكبر ذخيرة من القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ، فلقد انتقلت المعارف والعلوم قديماً من بلادنا العربية والإسلامية إلى العالم الغربي ، فنهض الغرب بها وسار على هدي من نور الحضارة الإسلامية حتى وصل إلى مدى بعيد في مجال البحث العلمي والاختراع .

ولقد كان ملوك أوروبا وأمراؤها وحكامها حريصين كل الحرص ، بعد ما علموا ما عليه الإسلام والعرب من رقي وحضارة على أن ينهلوا من تلك الحضارة الإسلامية ، فتوالت على **الأندلس وصقلية** البعثات الأوروبية القادمة من بلاد كثيرة في **أوروبا** (**فرنسا** ، **ألمانيا** ، **إنجلترا** ، **إيطاليا**) لتلقي العلوم والفنون والصناعات المتطورة .

حتى إن ملوك **إنجلترا وفرنسا** ، أرسلوا البعثات العلمية لدراسة نظام الدولة الإسلامية ونظم الحكم وآداب الملوك وتسيير الأمور في الدولة ، ودراسة كل ما يؤدي إلى رقي دولهم .

ولقد كتب **جورج الثاني** ، ملك **إنجلترا** ، إلى **هشام الثالث** الخليفة الأموي في **الأندلس** ، يقول بالحرف الواحد : « **لقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع به معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل ، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم العظيم ، لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان** » .

ولقد أرسل الملك وفداً ــ يرأسه وزيره الأول ــ إلى **الأندلس** ، وكذلك أرسل ملك **بلغاريا** وفداً إلى **الأندلس** في عهد **هشام الأول** ، لدراسة نظم الحكم ومناهج التعليم وأساليب الإدارة ، وعند عودة البعثة أمر الخليفة الأموي بأن يرافق هذه البعثة مستشارون وخبراء من **الأندلس** يساعدوا الملك فيليب في كل ما يريد ، ثم أخذ ملوك **أوروبا** يسيرون على منوال الملك البلغاري في إرسال الوفود إلى **الأندلس وبغداد** .

مصدر الحضارة الإسلامية

إن حضارتنا الإسلامية تنبع من مصدر إلهي نقي **هو القرآن الكريم** ، وإن القرآن الكريم هو المنبع الصافي الذي نهلت منه حضارة الإسلام والعرب باعتباره كتاب دين ودنيا ودستور حياة ، ولأن حضارة الإسلام والعرب حضارة صالحة لتكون أساساً لحضارة زاهرة تفوق حضارة **أوروبا** المادية ، كما كانت من قبل حضارة رائدة وقائدة .

ولقد اعترف بذلك أحد كتاب الغرب (**جاستول كارمن**) حيث يقول : « **إن القرآن الكريم هو منبع الدين الفعلي ودستوره ، فقد احتوى على أسس تستند إليها حضارة العالم** » .

وفي إمكاننا أن نقول إن هذه الحضارة الإسلامية نشأت من امتزاج الأسس التي نشرها الإسلام ، وهذه هي حقيقة أصل الحضارة الإسلامية والعربية .

وإنه كلما تعمق الإنسان في دراسة النصوص الإسلامية والعربية التي ظهرت فيها مساهمة المسلمين في ازدهار الثقافة ونشرها والعمل على تقدم البشرية ، ازددنا علماً بما أداه المسلمون في ميدان العلم والمعرفة ، **ذلك لأن حضارة الإسلام تقوم على مبادئ خالدة لم يصل إليها العقل البشري من قبل ولا من بعد** ، ولم تستطع الهيئات الدولية فيما بعد أن تحقق شيئاً منها في خدمة الإنسانية .

إن الإسلام يحث على الحضارة وطلب العلم والرقي والتمدين والمعرفة ، وجعل العلم أساساً لكل سلوك قويم حتى في الانتفاع بالقرآن الكريم فإنه لم ينزل للحفظ فحسب ، بل جاءت آياته وسوره الكريمة في مواقف دنيوية لهدي الناس إلى الصراط المستقيم ، كما حضت تلك الآيات الكريمة على طلب العلم وتحصيله وفضل العالم من الجاهل . ذلك لأن الإسلام وهو التشريع الإلهي الفريد الذي لا يستطيع أحد أن ينكر عظمته ، قد جعل المسلمون يأخذون نصيباً كبيراً من تراث الإنسانية ، ويلعبون دورهم في الحضارة الإنسانية ، وذلك بما لهم من مكانة تاريخية ومعرفة في القرون الوسطى ، مما جعل **أوروبا** بأسرها تأخذ بنصيب كبير من هذه الحضارة التي أعطت فجادت في عطائها وأنعمت فأحسن انعامها على البشرية كلها .

لقد انتشرت الحضارة الإسلامية فيما بين **المحيط الأطلنطي** إلى **الصين** ، ومن جبال **القوقاز** وما **وراءها** إلى خط الاستواء ، ودخلت في حوزة الإسلام أمم كثيرة من السلالات المختلفة ، فصارت الدولة الإسلامية منذ القرون الثلاثة الأولى لنشأتها (٦٢٠م ــ ١٠٠٠م) أكثر أجزاء العالم حضارة ورقياً وتقدماً ومدنية ، وظلت كذلك حتى تفككت

وتصدت أمم الغرب لقيادة الحضارة العالمية ، ولكن **شجرة الحضارة الإسلامية لا تزال أصلها ثابت في أرض العروبة والإسلام وفروعها عالية في السماء ، تتطلع لفجر نهضة إسلامية جديدة محتفظة بدين الإسلام ، حافظة لقرآنه الكريم وسنّة خير المرسلين .**

حضارتنا وأوروبا

لقد كانت الحضارة الإسلامية هي أم الحضارات الإنسانية ، ذلك لأن الحضارة الأوروبية الحديثة قد استمدت من الحضارة الإسلامية أصولها الفكرية والعلمية ، وسارت على ضوئها في كل الميادين ، ثم نجحت في كشف أسرار الكون والاكتشافات الحديثة وغيرها من معجزات العقل البشري ، ورغم تفوق الحضارة الأوروبية في الماديات فقد تنكرت للمبادئ والأخلاق والدين والفضائل الإنسانية والمثل الرقيقة ، واعتزت بماديتها الطاغية حتى أصبح الغرب موطن الماديات والشرق الإسلامي منبع الروحانيات ومنبع الحضارة العالمية .

إن الحضارة الإسلامية مستمرة مزدهرة ومتماسكة زهاء عشرة قرون من الزمان ، ولا شك فهي ظاهرة فريدة تحتاج إلى تفسير ، وبخاصة لأن معظم الحضارات الأخرى ، التي هي أقدم منها والمعاصرة لها لم تكن تظهر حتى تزول ، فلا غرابة في القول إن الإسلام هو العامل الأساسي في انتشار تلك الحضارة .

ذلك لأن الناظر إلى الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها ليعجب من العمران الذي ساد كافة الأقاليم الإسلامية إلى درجة أن **أوروبا** كانت مبهورة ببراعة المسلمين في الفنون والصناعات ، وكانت تجارة المسلمين من المنسوجات والورق والمصنوعات الجلدية والأسلحة وغيرها رائجة رواجاً شديداً في **أوروبا** ، ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي بدأ الغرب يتعلم هذه الصناعات عن المسلمين ، ولم يقف الأمر عند حد الفنون والصنائع ،

بل إن العلوم نفسها كان الأوروبيون صفراً منها ، فقاموا وترجموا إلى اللغة اللاتينية ـ بعد أن سبقتها الترجمة إلى العربية ـ كثيراً من كتب الفلسفة والهندسة والكيمياء والطبيعة والطب والعلوم الأخرى ، حتى كان قانون **ابن سينا** في الطب يدرس في جامعات **أوروبا** في القرن السابع عشر الميلادي ، وهكذا نرى الحضارة أخذاً وعطاءً وبهذا سجلت هذه القرون العشرة بمداد من الفخار سجل التاريخ الحضاري الإسلامي .

إن الحضارة الأوروبية الحديثة هي ثمرة الحضارة الإسلامية وامتداد لها ، وإذا كان أساسها هو النزعة التجريبية فإن الاعتماد على التجربة والوصول إلى القوانين العامة جاء به علماء المسلمين ، فوسعوا في المعامل وابتكروا وسائل الاختبار وأدوات البحث وذلك في الوقت الذي كان فيه علماء **أوروبا** ـ إن وجد علماء ـ يخشون إجراء التجارب حتى لا يتهموا بالسحر والشعوذة ، ولا يستطيعون ابداء آرائهم العلمية في حرية حتى لا تحاكمهم الكنيسة .

ونكتفي بهذا القدر على أن يكون لنا لقاء في مقالات أخرى بإذن الله نلقي فيها الضوء على فضل المسلمين على العلوم الحديثة .

المراجع

١ ـ **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية ، **القاهرة ، ١٩٦٤م** .

٢ ـ **آدم متز** : الحضارة الإسلامية ، ترجمة **محمد عبد الهادي أبو ريدة** ، **القاهرة ، ١٩٥٧م** .

٣ ـ **بارنولد . ف** : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة **طاهر حمزة** ، **القاهرة ، ١٩٥٨م** .

٤ ـ **زكريا هاشم زكريا** : فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم . **القاهرة ، ١٩٧٠م** .

٥ ـ **زيغرد هونكه** : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة **كمال الدسوقي** ، **بيروت ، ١٩٦٤م** .

٦ ـ **سعيد عاشور** : فضل العرب على الحضارة الأوروبية ، **القاهرة** ، ١٩٧٠م .

٧ ـ **سهير القلماوي وآخرون** : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، **القاهرة ، ١٩٧٠م** .

٨ ـ **عباس محمود العقاد** : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، **القاهرة ، ١٩٥٨م** .

٩ ـ **عبد الرازق نوفل** : المسلمون والعلم الحديث ، **القاهرة** ، ١٩٦٠م .

١٠ ـ **عبد الفتاح مقلد الغنيمي** : الإسلام والثقافة العربية في **أوروبا ، القاهرة** ، تحت الطبع .

١١ ـ **غوستاف ليون** : حضارة العرب ، ترجمة **عادل زعيتر** ، **القاهرة ، ١٩٥٦م** .

١٢ ـ **محمد جمال الدين سرور** : تاريخ الحضارة الإسلامية . **القاهرة** ، ١٩٧٣م .

١٣ ـ **محمد كرد علي** : الإسلام والحضارة العربية . **القاهرة** ، ١٩٦٠م .

١٤ ـ **مصطفى الرافعي** : حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، **بيروت** ، ١٩٦٠م .

١٥ ـ **ناجي معروف** : أصالة الحضارة العربية ، **بغداد ، ١٩٥٩م** .

16 - Dencel, A. N : Islam, Europe and Empire. London, 1968.

17 - Eyre, E : European Civilization, its origins, development. oxford, 1935.

18 - Hughes, A : Dictionary of Islam. London, 1885.

19 - Lewis, B : The Arabes in the history. London, 1950.

20 - Montell, v : Le monde Musulman, Geneve, 1963.

21 - Scott, S. P : History of Moovish empire in Europe. London, 1904.

22 - Stewart, D : The Arab World. London, 1968.

صيحة.. في وداع القرن الرابع عشر

شعر: احمد سالم باعطب

وَدَّعَتْ أمتي من العمر عامًا
أنجبتْ فيهِ ذلّةً وانقساما

نالَ منها المخاضُ حتى تهاوتْ
قُبَّةُ النصر في يديها حطاما

أثقلتْها السنون وَهْناً فراحت
تنزفُ الجهدَ في الدروبِ انهزاما

وَدَّعَتْ عامَها المتوَّجَ قرناً
فيهِ كانتْ لغاصبيها طعاما

مَزَّقُوا جسمَها وعاثوا فساداً
بين أحشائها ودَكُّوا العظاما

ألجموها ولَمْ تكن قَطُّ يوماً
تعشقُ القيدَ أو تطيقُ اللجاما

وارتمتْ تلعقُ البطولةَ صبراً
والأسى يلفحُ الحنايا اضطراما

وأحاطتْ بها جحافلُ خُلْفٍ
جَرَّعَتْها الهوانَ عاماً فعاما

إيهِ يا أمتي تذكَّرْتُ يوماً
كان في جبهةِ الزمانِ ابتساما

كنتِ قلبَ الحياةِ ينبضُ طهراً
كنتِ للناس في ذُرى المجد هاما

كنتِ يا أمتي سراجاً منيراً
في سماءِ الخلودِ عزًّا تسامى

يومَ سارتْ قوافلُ النصر تترى
تطلبُ المجدَ عنوةً واقتحاما

ترتدي الحزمَ والشهامةَ درعاً
للمعالي وتستطيبُ الحماما

يا رسولَ السلام إنَّا بعصرٍ
يحجبُ الظلمُ فيه عنا السلاما

بينَ أحشائهِ أضعنا هُدانا
وفقدنا التقى فكنا اليتامى

لم نكُنْ قُصَّراً ولكن قصورٌ
في خطانا أذابَ فينا الوئاما

فالخصوماتُ عابثاتٌ سكارى
قد أقامتْ على الرؤوس خياما

والخُطى المشرقاتُ بالنصر أمستْ
عن ذُرى المجدِ والشموخ صياما

والأباطيلُ مرجفاتٌ تُدَوِّي
تسحقُ الحَقَّ تستبيحُ الحراما

غارةٌ تلوَ غارةٍ وضحايَا
ونفوسٌ عن الخطوبِ تَعَامى

والوَنَى باسطٌ علينا ذراعيـ
ـه يُغَنِّي لكيْ نَظَلَّ نياما

والقلى يشحذُ النفوسَ عقوقاً
وجحوداً وفُرقة وانتقاما

والصروحُ التي أضاءتْ زماناً
من لَظَى خُلْفِنا استحالتْ ركاما

فالشعاراتُ في الممالكِ داءٌ
فاتِكٌ يُثخِنُ الشعوبَ سهاما

نحنُ كالشاءِ إذْ تَعَهَّدَ يوماً
رعيَها الذئبُ فاجتباها طعاما

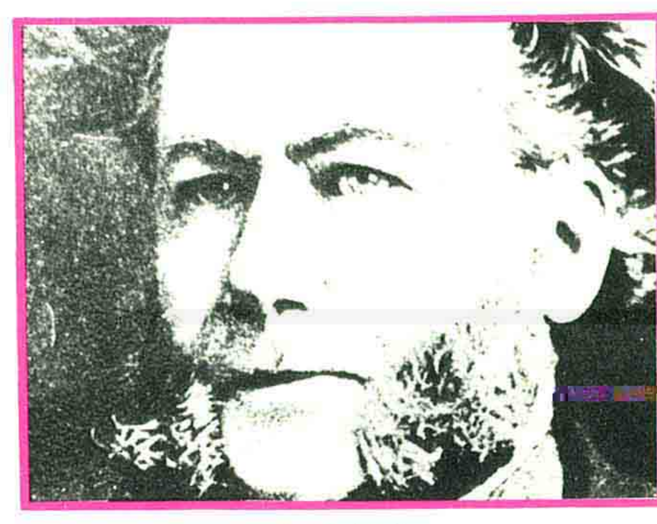
نحنُ في ساحةِ النضالِ عُراةٌ
قد كستْنَا القيودُ منها وساما

ونَما الرعبُ في النفوس فكانتْ
عُدَّةُ الحربِ للجهادِ الكلاما

نحنُ مهدُ الشموخ في الأرض لكن
ضَيَّعَ الوهنُ من يدينا الزماما

وارتضينا الخنوعَ عُشَّ هدوءٍ
وعشقنا من الحياة الرغاما

وزرعنا على الجمودِ خُطانَا
ونحرنَا على القشور الذماما



★ هنريك ابسن ★

بقلم : جلال العشري

كما قالوا على **سقراط** إنه أنزل الفلسفة ، لا لكي يمسح بها الأرض ، بل ليجعلها في متناول الجميع ، بدلا من أن تبحث فيما وراء الطبيعة ، تبحث في الطبيعة ذاتها ، وفي مقدمتها طبيعة الإنسان . الإنسان الذي لا يمكنه أن يعرف نفسه إلا بنفسه ، دونما حاجة إلى عرّاف .

كذلك يمكن أن يقال على **الكاتب المسرحي النرويجي .. هنريك إبسن** ، إنه قد أنزل الدراما من ردهات القصور إلى أرصفة الطريق ، بعدما أثبت أن الكاتب المسرحي ليس بحاجة إلى سير القواد ، ولا تراجم العظماء ، ولا قصص المشاهير ، ليجد فيها معاني البطولة والنذالة ، وإنما هذه المعاني موجودة في حياة البسطاء من الناس ، والعاديين من البشر ، حيث نجد من الأبطال بمقدار ما نجد من الأنذال ، وحيث تتوافر الحيوات المتصارعة ، والأقدار المتصادمة ، والمصائر المتعامدة ، مما يشكل أخصب مادة في يد الكاتب المسرحي .

وبهذا يكون إبسن قد هبط بالدراما من سماء التقاليد الرومانسية التي ورثها المسرح منذ عهد شكسبير ، ليرسي هو تقاليد الواقعية التي تجعل من فن المسرح ، تعبيراً عن حياة الإنسان العادي في الحياة العادية ، وعن مشكلات المجتمع الحديث في الزمن الحديث .

ولما كانت الطبقة العاملة لم يكتمل نموها بعد في عهد **إبسن** ، كان من الطبيعي .. والطبيعي جداً ، أن يلتمس أبطاله العاديين ، من بين أبناء الطبقة السائدة في أيامه ، وهي الطبقة المتوسطة ، وكان مما يتفق وطبائع الأشياء ، أن يتناول المحاور الرئيسية التي تدور حولها مشكلات هذه الطبقة ، الزواج والنجاح ، الفضيلة والاحترام ، الثقافة والتحرر ، وبخاصة تحرير النساء وحرية الشباب ، وأن يتناولها بدرجة كبيرة وبساطة أكبر ، **مما جعل دعاة الفضائل المزيفة في مجتمعه يشعرون بصوت الرعد ، ودوي الزلزال ، كما جعل أصحاب الفضائل الحقيقية ، يشعرون بأنه قد جاءهم الكاتب الذي يرد لهم اعتبارهم ، ويثأر لهم من هذا المجتمع .**

صراع مع المجتمع

لهذا كان من الطبيعي أن ينقسم في وجهه المجتمع الأوروبي الحديث ، فالبعض يقدره والبعض الآخر يحقره ، البعض يصفه بأنه مصلح ، ويصفه البعض الآخر بأنه أفاق ، يقول عنه البعض إنه كاتب إباحي لا خلاق له ، ويقول عنه البعض الآخر إنه مبتدع ومبتكر ومدافع عن قضايا الجماهير ، وحتى النقاد أنفسهم انقسموا حوله ، فصنفه البعض على أنه كاتب رمزي ، والبعض الآخر صنفه على أنه كاتب واقعي .

فها هو الناقد الصحفي **كليمنت سكوت** يقول معلقاً على مسرحية إبسن المسماة ــ **الأشباح** ــ ما نصه : « هذا الأثير المحدث لدى مدرسة حمقاء ، هذا السيد المزعوم .. الذي نصب نفسه لتعليم ما توصلنا إليه من ذوق مهذب نوعاً في المسرح الإنجليزي المعاصر ، تعليمه طريقة أكثر قتامة ، إنما يبدو في رأينا كغراب من غربان النرويج التي يضمنها مسرحياته ، يبرز من بين الصخور مدفوعاً بشهية لا ترتوي للجيفة النتنة » .



★ آرثر ميلر ★



★ يوجين أونيل ★



★ جون ستيوارت ★

ولم يكتف **كليمنت سكوت** بهذا ، وإنما راح يصف مسرحية « **الأشباح** » ببالوعة فاغرة فاها ، وبقرحة كريهة بلا ضمادات ، وبفعل فاضح في الطريق العام ، وبمصحة للمعتوهين مفتوحة النوافذ والأبواب .

وليس **كليمنت سكوت** وحده الذي يتخذ من إبسن مثل هذا الموقف النقدي الهجومي ، فها هو أيضاً الناقد المعروف **وليم آرتشر** يصف أساليب إبسن قائلاً : « طبيعية في العرض ، ومرونة في التطور ، وعلاج للتمثيلية ينقصه الفهم المسرحي بصفة عامة » .

هذا فضلاً عما يصف به أسلوب **إبسن** بوجه عام ، على أنه مزج غريب من التعبير المباشر ، والنزعة السطحية ، وعاطفية العصر الفيكتوري .

وغير **كليمنت سكوت** ، و **وليم آرتشر** ، يطالعنا الباحث الدرامي **ش . س . كوليس** ، وهو بصدد الدفاع عن أصالة تفكير **برنارد شو** بقوله : « إن الزعم بأن أفكار شو منقولة عن إبسن ، يضحضحه ما هو معروف من أن العقدة اللامعقولة ، قد نشرت قبل ظهور مسرحية « **بيت الدمية** » ، ولماذا بحق الله يستعير شو من إبسن شيئاً ، والأخير أقل منزلة من شو بكثير ؟! » .

وكان الكاتب الأيرلندي الكبير **جورج برنارد شو** ، قد اطلع على ادعاء كوليس الجريء هذا ، فما كان منه إلا أن علق عليه قائلاً : **« انزلقت ، أنا نفسي ، حتى أوشكت على الاعتقاد بما تقول ، إلى أن أعدت قراءة إبسن وأنا بسبيلي إلى إعداد النص النهائي لكتابي « جوهر الإبسنية » . فما كان مني إلا أن أخذت به بنفس القوة القديمة ، أن إبسن هو الذي أظهر لنا ضحالة شكسبير خلال السنوات العشر التي تلت مقدم مسرحياته إلى إنجلترا عام ١٨٨٩ م . إنه كان عملاقاً في الأدب الدرامي ، فاحذر أن تضع نفسك بين الأقزام الذين لم ترتفع أنظارهم قط عن مستوى حذائه ! »** .

ولقد أدى التأثير الناتج عن هذا التأكيد ، إلى تركيز الانتباه على عناصر لدى إبسن ، هي في الحقيقة ، وكما يقول الناقد **ريموند وليمز** « **عناصر عرضية** » كتحرير النساء ، وحرية الشباب ، والمرائين من السادة ، والمنافقين من أعيان المجتمع ، فضلاً عن انغلاق الباب الأمامي لمنزل نورا هيلمر الذي مرغ من خلفه في الرغام ، بهو العائلة الفيكتورية بأكمله .

هذه الأمور هي التي صنعت الفضيحة ، وفي طريق الفضائح صنعت النجاح ، صنعت إبسن نفسه !

يقول **الشاعر الكبير رينيه ريلكه : « الشهرة هي حصيلة سوء الفهم التي تتجمع حول اسم جديد »** .

وربما كانت شهرة إبسن الإنجليزية أو الأوروبية بوجه عام ، هي مما ينطبق عليه هذا الكلام ، ومهما يكن من اختلاف الجمهور والنقاد على السواء ، في أمر هذا الكاتب المسرحي العملاق ، فالحقيقة التي صرخ بها التاريخ في وجه الجميع ، هي أن **هنريك إبسن** ، كان كاتباً مبدعاً وفناناً مبتكراً ، يعرف أصول فنه من ناحية ، ويضع هذا الفن من ناحية أخرى فوق كل اعتبار ، أعطى الفن كل شيء ، فأعطاه الفن كل شيء !

في قمة الوعي من عصره !

إن موقف إبسن نفسه ، مما يسميه « **أكثر مشاكل عصرنا أهمية** » يوضح لنا قوة الأثر الذي تركه هذا الكاتب النرويجي في معاصريه ، كما يفسر لنا في ذات الوقت ، هذا الأثر !

والواقع أن أكثر هذه المشكلات حيوية ، وأعظمها تحدياً ، ربما كان هو « حركة النساء » لقد جعل إبسن هذه الحركة هي الموضوع الرئيسي في مسرحية « **بيت الدمية** » كما أن المشكلة ذاتها تطالعنا في مسرحيات أخرى مثل « **هيدا جابلر** » و « **أعمدة المجتمع** » و « **زورميزر هولم** » ، كما يؤكد بالفعل أن **هنريك إبسن** كان أحد أنصار حركة تحرير المرأة وهذا ما لاحظته الآنسة **براد بروك** في كتابها عن « **إبسن النرويجي** » الذي ذهبت فيه إلى القول بأن حديث « **نورا** » ، الصريح في ختام مسرحية « **بيت الدمية** » عن « **تصفية الحساب** » لم يكن هو السبب في أن مسرحية إبسن بدت لمعاصريه كبيرة الأصالة بل كان مرجع هذه الأصالة إلى الطريقة التي انتهى بها إبسن إلى تصريح نورا .

« ولقد كان إبسن ، شأن الفنانين الكبار ، يتربع في الجزء المثالي والمتطور من جيله ، ليس نظرياً وإنما من ناحية الوعي ، ونحن إذا نظرنا إلى إعلان نورا للجهاد منفصلاً عن بقية المسرحية لوجدناه شيئاً مبتذلا ، غير أن المبدأ الذي يتضمنه هذا الجهاد مجسداً في موقف درامي إنساني ، والنظرية التي تكمن من وراء هذا المبدأ سرعان ما أصبحت واقعاً حقيقياً ملموساً » .

أي أن إبسن ، كان على حد تعبير الكاتب البريطاني الشهير **ماثيو أرنولد « في قمة الوعي من عصره »** وهو بهذا الوصف لم يكن يستطيع أن يفصل ذاته عن قضايا عصره ، ولا عن المشكلات الحارة التي كان يحياها أبناء ذلك العصر ، غير أن مشاركته في تفهم هذه القضايا وتلك المشكلات ، كانت مشاركة درامية ، على العكس من مشاركة الفيلسوف **جون ستيوارت مل** ، التي كانت في أساسها مشاركة نظرية ، لقد كسا إبسن هذه القضايا لحماً ، وألبس هذه المشكلات رداءً إنسانياً ، وقدمها لمعاصريه على هيئة أفراد من البشر ، يجدون أنفسهم في مواقف إنسانية .

وفيما يتعلق بقضية تحرر المرأة ، لم يقتصر إعراض نورا عن بيت الدمية ، على كونه موقفاً درامياً قوي الأثر ، فهذا الموقف سرعان ما أصبح راية تجمع حولها أنصار المرأة الجديدة ، ومن بينهم **برنارد شو** باعتباره واحداً من أبرز المدافعين عن قضية تحرير المرأة .

والواقع كما يقول الباحث الدرامي الأمريكي **فرنسيس فيرجسون** ، أن من يحاول أن يضع **هنريك إبسن** في تيار عصره ، عليه أن يرجع إلى الفيلسوف الوجودي **كيركيجارد** صاحب التأثير الكبير على إبسن في بداية حياته الأدبية ، فقد كان لكيركيجارد رأي يقوله في روح العصر المتمردة غير الراضية وذلك في كتابه **« في سبيل امتحان الذات »** فهو يقول :

« إذ يندر أن تجد أحداً لا يوقن ، بما ندعوه مثلاً روح العصر ، فحتى من تخلى عن عظائم الأمور ، واستراح إلى صغائرها ، بل حتى من يجتهد في عبودية من أجل غايات حقيرة تافهة ، أو من هو في رق فردي للمكاسب الدنيئة ، حتى هذا يوقن إيقاناً قوياً كاملاً بروح العصر ، نعم .. وهذا طبيعي جداً ، فما هو موقن بشيء عال نبيل ، لأن روح العصر على كل حال ليست أسمى من العصر » .

وهذا الوصف فيما يراه المستر **فرنسيس فيرجسون** يلقي ضوءً كاشفاً على بطلات إبسن وعلى المشهد الواقعي الحديث عنده ، وعلى المسرح الذي يمكن لمشاهديه أن يتقبلوه ، فهو الوجه الآخر من النزعة الوضعية في القرن التاسع عشر ، وهو الطموح الرومانسي ، ومسرح إبسن الواقعي ، يعرض كلاً من هذين الوجهين للحالة الإنسانية ، يعرض الردهة بدقة فوتوغرافية في أمامية الصورة ، وبذلك يرضي مطالب الوضعية بينما يهيئ المشهد من خلال النافذة ، مشهد أوروبا من حيث هي خواء أخلاقي ، وإن يكن خواءً مثيراً ، وتيهاً غير مأهول ، يهيئه كما لو كان كابحاً للروح التي لا تشبع .

ولقد كان إبسن على الدوام ، يشعر بهذا التيه المبهم من وراء الداخل المزدحم ، فإننا نراه في بيت الدمية في صورة جو الشتاء والماء الأسود ، وهو في **« السيدة من البحر »** المحيط البارد بما فيه من نوارس وحيتان ، وهو في **« البطة البرية »** مزالق الطين الشمالية بطيورها البرية وخلوها من السكان ، ثم هو المشهد الأخير من **« الأشباح »** حيث قمم الثلوج اللامعة ، التي تعني بحث مسز آلفنج في أشد حالاته بعداً عن التجسد والتحديد ، الشيء الذي يشبه إلى حد كبير ، الفراغ الحسي الأخلاقي الذي بسط فيه **فاجنر** فعل العاطفة الوحيد ، بعد أن رفض رفضاً باتاً ، أمامية الصورة الإنسانية الصغيرة التي يخوض فيها إبسن معاركه . إنها « مسرح أوروبا » قبل أن يرتادها الإنسان ، وكما بدت لأول مرة في أعين الرواد .

لهذا كله ، ولكثير غيره كان **هنريك إبسن** حداً فاصلاً في تاريخ المسرح بين عهدين ، ونقطة تحول في فن كتابة المسرحية ، **فهو أبو الدراما الواقعية** وهو في ذات الوقت رائد المسرح الحديث ، فقد تتلمذ عليه **برنارد شو** ، كما تأثر به **يوجين أونيل** ، وترك بصماته على جبين كل من **آرثر ميللر ، وتنيسي وليامز** ، فضلاً عن **رشاد رشدي ونعمان عاشور** في واقعنا المسرحي العربي الحديث ، وعلى الجملة ، ما من كاتب مسرحي في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، إلا وكانت لإبسن بصمات على فنه المسرحي ولو كان من غير أنصاره في فن الكتابة للمسرح .

من النرويجي إلى العالمي

هذا هو الكاتب النرويجي .. هنريك إبسن ، الذي احتفلت الأوساط الأوروبية في كافة أرجاء العالم المتحضر ، حتى نهاية عام ١٩٨٠ م ، بذكرى مرور مائة وخمسين عاماً على ميلاده ١٨٢٨ ــ ١٩٠٦ م ، فإلى جانب البرنامج الثقافي الضخم الذي أعدته النرويج ليقام في مختلف المدن النرويجية وبخاصة تلك التي قضى فيها الكاتب سنوات من عمره ، فقد أعدت مراكز **اليونسكو** ، ونوادي القلم في مختلف عواصم العالم ، برامج إبسنية للعروض المسرحية والأفلام السينمائية والندوات الأدبية والمحاضرات العامة ، فضلاً عن فيلم تسجيلي كامل عن حياة إبْسن وأعماله وإعادة طبع جميع مؤلفاته وطوابع بريد تذكارية بمناسبة هذا اليوبيل الضخم .

وكأنما تحاول النرويج أن ترد لكاتبها العملاق اعتباره ، بعد أن تخطته جائزة نوبل للآداب ، ومنحتها أكاديمية السويد لمعاصر إبسن ، الكاتب **بجورنسون** ، بحجة أن السويد كان من مساعيها في ذلك الحين أن تحسم الخلاف بينها وبين جارتها النرويج في قضية الوحدة الوطنية فاتجهت الجائزة بشكل تلقائي إلى أديب النرويج الذي اشتهر اسمه في تلك القضية وهو الشاعر الوطني **« بجورنستجير بجورنسون »** .

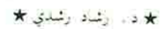
وكائناً ما كان تعليقنا التقليدي على هذا الموقف بأن جائزة نوبل هي التي كانت تشرف بإبسن بأكثر مما يشرف هو بهذه الجائزة ، فالتاريخ نفسه هو الذي قال رأيه في هذا الكاتب ، وهو الذي توجه علماً وعلامة على فن المسرح بخاصة وفن الأدب بوجه عام .

على أن هذا الموقف وغيره من المواقف الكثيرة التي شكلت حياة إبسن والتي كان يختزنها في خلاياه ، ويشقى بها في أحلامه ، ولا يملك إلا أن يعتصرها مادة لفنه الدرامي هي التي جعلته يقول : **« الشيء الذي نفقده ، هو وحده الشيء الذي نملكه »** ، وهي أيضاً التي جعلته



★ نعمان عاشور ★





★ د. رشاد رشدي ★

يقول : **«ما هو كائن لا وجود له ، وما ليس كائناً هو الوجود الوحيد»** .

ومعنى هذين القولين أن الإنسان إذ فقد الشيء العميق الأثر في نفسه ، يتبلور حزنه عليه إلى الحد الذي يتجسد فيه داخل نفسه فيستوي شخصاً موجوداً بالفعل في حياته ، وتتجه أفكاره إليه حتى يصبح هو والماضي أهم ما في حياته من وجود ، أهم من الحاضر الذي يكاد يتلاشى في اللاوجود أو حتى في العدم .

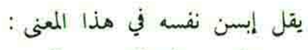
من هنا أصبحت ذكريات إبسن حقائق مجسدة موجودة في داخله أبداً ، أصبحت شخوصاً درامية تعيش داخل قلبه وفكره ، أصبحت مادة يقتات عليها في حياته ، ويعتصرها في صميم فنه ، هذه المادة في الفن والحياة هي التي حددت فلسفته في الوجود كله ، وهي التي لخصها في هذه الأبيات :

«ما الحياة إلا قتال الجن .. في القلب والفكر .
«وما الشاعر إلا من حكم على النفس حكماً لا رجعة فيه .
«وهو قتال يهز كيان الفنان كما البركان أو الزلزال .
«متحدياً كل أشباح الحياة .. أن تقتله أو يقتلها ...»

نعم .. كان إبسن يصارع في حياته الحياة ، كان يعاني في داخله صراع العادي والمثالي .. صراع البشري وغير البشري . العادي يجذبه إلى أسفل ، فيتلقفه المثالي ليصعد به إلى أعلى ، البشري يوقعه في الخطيئة ، ويدفعه غير البشري إلى الندم ، ودائرة لا تنتهي من الخطيئة والندم ، فلا الندم يكفر عن الخطيئة ولا الجريمة يمحوها العقاب .

وهكذا غدت ذكرياته هي حياته الحقيقية ، وأصبحت حياته الواقعية ظلاً أو خيالاً **«كانت الذكريات تسكنه كما تسكن الأرواح بيتاً مهجوراً»** ومن هذا التناقض الحاد بين الحقيقة والشبح ، بين الذكرى والواقع الحي ، خرجت دراماته ، بعد أن كانت قد صنعته الدراما نفسها .

لهذا لم يكن غريباً ولا مستغرباً أن ابتعد إبسن عن العالم البشري إلى العالم الحشري ، وأن وجد تماثلاً غريباً بين البشرية والحشرية ، فقد اختار أن يضع فوق مكتبه عقرباً ساماً ، وأن يتخذ من هذا العقرب رفيقاً له وصديقاً ، فثمة تماثل غريب بينه وبين العقرب ، كلاهما يحتشد للرد على أي هجوم ، وكلاهما يفرغ سمه إذا ما اختزن الكثير من هذا السم ، ألم



يقل إبسن نفسه في هذا المعنى :

«كنت وأنا أكتب ، أضع على مكتبي عقرباً في كوب فارغ ، وبين الحين والآخر ، كان العقرب يشكو ويتألم ، فكنت أضع في الكوب قطعة من الفاكهة الطازجة ، فلا يلبث العقرب أن ينقض عليها في سورة غضب ، ويفرغ فيها سمه ، ثم تبدو عليه علامات الراحة من جديد ، أليس هذا حالنا أيضاً ، نحن الشعراء ...» .

وكان هذا بالفعل هو حال إبسن في كتابة مسرحياته ، وكان السم الذي تراكم في قلبه كثيراً حقاً ، فلم يكن أمامه إلا أن يفرغه في هذه المسرحيات الساخرة «**ملهاة الحب**» ١٨٦٢ م ، ثم تلاها بمسرحيته التاريخية «**الأدعياء**» ١٨٦٤ م ، ثم القصيدتين المسرحيتين «**براند**» ١٨٦٦ م ، و«**بيرجنت**» ١٨٦٧ م ، إلى أن كتب مسرحية «**الإمبراطور والجليلي**» ١٨٧٣ م ، فثار عليه مجتمعه النرويجي ، فاضطر إلى الإقامة في ألمانيا حيث كتب مسرحياته الواقعية الاجتماعية الشهيرة التي كان من أشهرها مسرحية «**أعمدة المجتمع**» ١٨٧٧ م ، «**بيت الدمية**» ١٨٧٩ م ، «**الأشباح**» ١٨٨١ م ، و«**عدو الشعب**» ١٨٨٢ م ، «**البطة البرية**» ١٨٨٤ م ، «**بيت روزميرز**» ١٨٨٦ م ، «**السيدة من البحر**» ١٨٨٨ م ، «**هيدا جابلر**» ١٨٩٠ م ، «**البناء العظيم**» ١٨٩٢ م ، «**ايلوف الصغير**» ١٨٩٤ م ، «**جون جابريل بوركمان**» ١٨٩٦ م ، «**عندما نستيقظ نحن الموتى**» ١٨٩٩ م .

ويا لها من مسرحيات ، بل يا لها من فورات .

مسرحيات هي أم فورات؟

على أننا قبل أن نلقي القبض على مضمون الفورة في هذه المسرحيات لا بد لنا أن نعلم أن هذه الفورة الإبسنية مرت بعدة مراحل ، في كل مرحلة كانت تتبلور معالم هذه الفورة ، فالتقييم المذهبي لمسرحيات إبسن ، يمرحلها في أربع مراحل رئيسية : المرحلة الأولى هي مرحلة التتلمذ ، التي تنتهي بمسرحية «**المطالبون**» ، والمرحلة الثانية هي مرحلة «**اللامسرح**» والتي تحتوي المسرحيات غير الصالحة للأداء المسرحي مثل «**براند**» ، «**بيرجنت**» «**الإمبراطور والجليلي**» ، والمرحلة الثالثة هي مرحلة المسرحيات التي يطلق عليها اسم المسرحيات الاجتماعية وهي التي تبدأ بمسرحية «**رابطة الشباب**» وتغطي المرحلة التي تتمثل في مسرحيتي «**بيت الدمية**» ، «**الأشباح**» إلى أن تصل إلى مسرحية «**هيدا جابلر**» ، أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي المرحلة التي تعرف بالمرحلة الخيالية وهي الواقعة بين مسرحية «**البناء العظيم**» ومسرحية «**عندما نستيقظ نحن الموتى**» .

وإذا كان لهذا العرض المرحلي فوائده ، فمن ناحية التذكير بمراحل الفورة الإبسنية على اعتبار أن الإبسنية في حقيقتها روح وجوهر أكثر منها منهج ومذهب ، فالوحدة الجوهرية لمسرحيات إبسن ، هي ما أصر عليه إبسن نفسه ، فالحقيقة

الهامة هي أنه كان يكتب في فترة زاخرة بالتجربة الخصبة في مجال المسرحية ، وهو ما أضفى على مسرحياته نوعاً من الوحدة العضوية ، هذه الوحدة لا يصح التخلي عنها أبداً في سبيل ما يبدو أنه علم الحياة . وهذا ما عبَّر عنه ت . س . إليوت بقوله : « **يمكننا أن نقول باطمئنان إن المعنى الكامل لأي من مسرحياته ، ليس كامناً فيها بمفردها ، ولكن في تلك المسرحية التي كتبت هذه في ظل منهجها ، في العلاقة بينها وبين كل مسرحياته الأخرى المبكرة منها والأخيرة . إن علينا أن نعرف أعماله كلها حتى نستطيع أن نعرف أياً منها** » .

والواقع أن إبسن يؤكد في هذه المسرحيات جميعاً ، أنه هو ذلك المتحمس الغيور ، إلا أنه سرعان ما يفرق بين فورته وبين أية فورة أخرى سجلها التاريخ . . فهو يعلن أن جميع الفورات السابقة باءت بالفشل ، لأنها لم تحدث فورات شاملة . حتى « **الطوفان** » الذي هو أشد الفورات تطرفاً في جميع العصور ، ترك بعض الأحياء على فلك « **نوح** » أما هو فلا ترضيه سوى الفورة الشاملة : « إن تغيير بيادق الشطرنج خطة عقيمة ، اكتسح رقعة الشطرنج ، أكن معك » .

وقد كان ولع إبسن الشديد بصورة بلوغ الحرية والصفاء المطلقين عن طريق تطهير الحياة القائمة تطهيراً تاماً ، هو الذي جعله يعلن ما يرى أنه دوره في هذه الفورة : « **بكل سرور ، سأنسف الفلك** » .

والواقع أن جميع مسرحيات إبسن هي نتاج هذه الفورة ، الفورة نحو المثل الأعلى ، أو من أجل تحقيق المثل الأعلى وأن آخر كلمات قالها وهو يحتضر عن الفورة والمثل الأعلى ، لجديرة بأن تكون شعار أعماله المسرحية كلها .

جوهر الإبسنية

وإذا نحن بعد هذا كله ، حاولنا أن نعرف جوهر الإبسنية ، وأن نتعرف عليه ، علينا أن نعود إلى تلك القصيدة التي نظمها إبسن في عام ١٨٧٧ م ، والتي يقول فيها ، بعد أن يعرف الحياة بأنها معركة مع الجهد ، معركة في القلب والفكر : « **إن قرض الشعر معناه أن يعرض الإنسان نفسه ليوم الحساب** » .

وفي هذه العبارة اعتراف صريح بأن عملية الإبداع نفسها ، هي في نظر إبسن شكل من أشكال امتحان الذات ، نابع من صراع باطني مع الضمير ، وقد أكد هو ذلك فيما بعد في عبارات مختلفة بعض الشيء ، في أحد خطاباته ، عندما قال : « **إن كل شيء كتبته ، يمت بأوثق صلة ممكنة إلى ما عشت فيه ، حتى ولو لم يكن من تجربتي الشخصية أو الواقعية** » . ثم يضيف في فقرة أخرى قوله : « **إن الفنان يجب أن يلتزم أقصى الحذر في التفرقة بين ما يلاحظه الإنسان وما يجربه ، لأن ذلك الأخير هو الذي يمكنه أن يصبح موضوعاً للعمل الإبداعي** » .

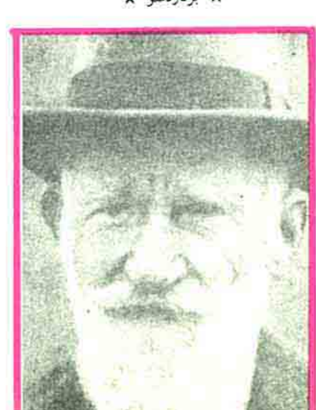
وهذا معناه أن التجربة الحية والخبرة الوجودية ، هي النبع الذي يستقي منه إبسن موضوعاته وشخصياته . إنه على النقيض من **ستراندبرج** ، يرفض تلك التجربة الشخصية أو الواقعية ، ذات الصلة الخارجية البعيدة عن أحداث حياته هو ، وكان يستلهم بدلا منها تجربة حياته الباطنة ، والقوى التي كانت تصوغ تطوره الذهني والعاطفي والروحي .

فمن طريق تحليل هذه الحياة الباطنة بالتعمق في خبيئة نفسه ـ بحثاً عن النقائض والفضائل ، وتعريض شخصيته هو لنقد وامتحان عسيرين ـ كان إبسن يستمد جميع أبعاد شخصياته المسرحية الكبرى . وإن أكثر شخصيات إبسن ، المصوغة ظاهرياً على منوال شخصيات معاصرة أو أنماط اجتماعية عامة ، هي في الحقيقة أقرب إلى فكرة إبسن عن نفسه مما يبدو لنا لأول وهلة .

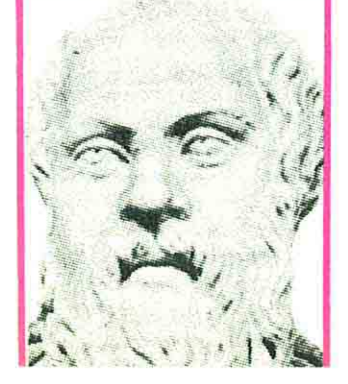
والواقع أن جميع مسرحيات إبسن ـ كما يقول الناقد الدرامي **روبرت بروستاين** ـ هي نتاج هذا التأرجح بين الذاتي والموضوعي ، بين الأخلاقي والجمالي ، بين المبدع والمرتدع ، هذا التأرجح هو الذي يزود كل واحدة من مسرحياته بمستوى مزدوج ، تتعايش فيه مسرحية الأفكار مع مسرحية الفعل ، بحيث تكون شخصيات إبسن التي تعمل بالفكر والفعل معاً ، ذات حياة فكرية خصبة إلى جانب وجودها الدرامي .

ومسرحية الأفكار هي على وجه العموم ، تعبير عن تمرد إبسن الشخصي ، بينما مسرحية الفعل تضع ذلك التمرد في نوع من البعد الموضوعي ، ففي حين يستخدم إبسن مسرحية الأفكار ، نراه يستخدم مسرحية الفعل ، وهو يستخدم كلا النوعين باعتبارهما تطورين متلازمين يمس كل منهما الآخر ، ويغنيه طوال المسرحية ، فهو يستمد طاقته واندفاعه وحماسه من الأولى في الوقت الذي يستمد فيه استقلاله وتعقده ودسامته من الأخرى . ففي مسرحية « بيت الدمية » مثلاً ، نرى تحول « نورا » المقتضب من عالة تكاد تكون طفولية ، وفي حاجة إلى الحماية ، إلى امرأة واعية مدركة وقادرة . وقد يكون هذا التحول مناسباً في مسرحية الأفكار ، ولكنه أبعد ما يكون عن الاقناع في مسرحية الفعل ،

★ برناردشو ★



★ سقراط ★



ولكن إبسن عندما يتقن هذه الطريقة ، تصبح واحدة من أهم الإضافات الأصلية التي أضافها إبسن إلى المسرح الحديث ، كما تسبغ على مسرحياته بعداً مزدوج المستوى ، لا يمكن أن يبلغه أي كاتب آخر في المسرح الحديث .

ولعل هذا هو ما عبَّر عنه الكاتب الكبير **برنارد شو** في كتابه «**جوهر الإبسنية**» تعبيراً رائعاً قال فيه :

«لقد وضعنا شكسبير فوق خشبة المسرح ، ولكنه لم يضع مواقفنا .. إن إبسن يسد النقص الذي تركه شكسبير . إنه يمنحنا ليس فقط ذواتنا ، ولكنه يعطينا أيضاً مواقفنا ، وإحدى نتائج هذا العمل ، هي أن مسرحياته تصبح بالنسبة لنا أكثر أهمية من مسرحيات شكسبير . أما النتيجة الثانية ، فهي أنها قادرة على إيلامنا في قسوة ، بالإضافة إلى إفعامنا بآمال مستثارة للهروب من الطغيان المثالي وذلك برؤى متشوقة إلى حياة أكثر عمقاً في المستقبل» .

أليس هذا هو ما قاله إبسن على لسان أبطاله ؟ ألم يقل على لسان أحدهم :

«أن تتحقق الذات بشكل كامل
«إنما هو حق الإنسان الشرعي
«ولن أفعل شيئاً أكثر من هذا ..»

ألم يقل كذلك على لسان بطل مسرحي آخر :

«عندما تنتصر الإرادة في ذلك الصراع
«عندئذ تحل أخيراً ساعة الحب
«إنها تهبط كيمامة بيضاء
«ممسكة بغصن الحياة الأخضر ..»

إن إبسن الذي كان متفانياً في الحق ، غالباً على حساب الجمال ، لم تكن تساوره أية أوهام عن خلود الحق ، فإن جميع الأمور الذهنية مهما تكن مقنعة تهبط بمرور الزمن ، إلى ما هو دون مستوى الإقناع ، وهكذا يكون الجوهر الحقيقي للإبسنية هو المقاومة الشاملة لكل ما هو مستقر ، وذلك لأن نزعته التحررية إلى تحطيم الأصنام لا تمتد فحسب إلى التقاليد السائدة في عصره ، بل حتى إلى تقاليده هو ، وإلى اقتناعاته هو .

عالم بغير عالمين

إننا إذا تذكرنا حالة **إبسن** ربما تذكرنا حالة **أوليس** الشاعر عند **دانتي** ، فقد كان هو أيضاً متدثراً بهليب وعيه الخاص ولكنه رغم ذلك ، ظل مقيماً على خيلاء العقل ، وابتهاج العالم الخالي من «**السكان**» .. عالم بغير عالمين ، على حد تعبير **فرنسيس فيرجسون** .

ولكن ، حتى هذا التماثل لا ينبغي لنا أن نتمادى فيه ، فإن **أوليس** في الجحيم كما رآه **دانتي** ، وحينما نرتاد الجبل الذي تحطم عليه ، نستطيع أن نضع حالته وضعاً نهائياً في علاقتها بكثير من أنماط الفعل والوعي الإنسانية الأخرى . ولكن جبال **هنريك إبسن** كما جسدها في أحلام **مسز ألفنج** ، لا تضعها في أي مكان ، ذلك لأن واقعية الواقعية الحديثة تنتهي عند التصوير الحرفي ، وما وراء ذلك ليس هو العالم التقليدي المتسق ، بل هو العالم اللامتناهي ، والحرية المغايرة للمطامح المجهولة .

أما شخصية **براند** فإننا نرى فيها شخصية إبسن نفسه ، مصداقاً لقول **إبسن** نفسه : «**إن براند هو أنا في أحسن أحوالي**» .

إن «**براند**» ملحمة ثلج وجليد ، تدور في حياة الشمال الجليدي ، ومع أنها كانت في الأصل قصيدة سردية ، إلا أن إبسن سرعان ما عدلها لتصبح مسرحية شعرية ذات خمسة فصول ، ومسرحية مستفيضة لا تصلح للمسرح ، ذلك لأن إبسن الذي اغتبط بمتعة التعبير عن الذات ، كتب هذه المسرحية دون أن يضع في اعتباره ، لا المشاهدين ولا قيود المسرح .

لقد حرر إبسن مخيلته مما كان فيها من أقبية الترويج المتجمدة ، فاكتشف أخيراً كيف يجعل مسرحياته جزءً لا يتجزأ من حياته الروحية .

وهكذا وجدنا كاتبنا المسرحي مثل بطله المسرحي ، عاش حياته يشق طريقه إلى الأعالي ، نحو الحرية والصفاء ولكن عبر الجبال والأجراف ، وكان مثل بطله يصارع في الأعالي حتى وصل في النهاية إلى كنيسة الثلج «**حيث الشلالات ، ومساقط الجليد**» ، وكأنما إبسن يقول على لسان بطله براند .. في ختام الرحلة .. رحلة الحياة والموت :

«حتى اليوم كنت أسعى لأكون لوحة
«واليوم وقد انقشع الضباب .
«ستمضي حياتي خصبة .. دافئة .
«أستطيع أن أنتحب ..
«أستطيع أن أسجد ..
«أستطيع أن أصلي ...»

وفي اللحظة الأخيرة ، عندما يتوجه «**براند**» إلى الله ، بهذا السؤال المليء بالعذاب : «**إذا لم يكن بالإرادة ، فكيف السبيل إلى افتداء الإنسان ؟**» فإنما تأتيه الإجابة مدوية من عنان السماء : «**إنه بالإحسان والرحمة والحب**» .

لقد انقضت ثلاثون عاماً على الصيحة الشاعرية التي أطلقها «**براند**» : «**لا بد أن يكافح الإنسان إلى أن يموت**» وقد قضى إبسن هذه السنوات الثلاثين جميعاً في كفاح مع الجهد في قلبه وفكره ، متمرداً على كل القوى البشرية والطبيعية التي تقيد الحرية الفردية ، وهو الكفاح الذي جعله يزرع أوروبا ، بحثاً عن وطن ، منفياً بروحه عن العالم الحديث . كان يجول بين خلجان الجليد والبراري ، وبين السهل المتحضر ، يستبد به الشوق إلى الأعالي ، ويثور به الغضب من الأعماق ، وفي النهاية ، وجد أنه لا سلام هناك إلا مع الموت . وجد وطنه في المنفى الروحي ، في مسرحيته «**عندما نستيقظ نحن الموتى**» حيث تصدق الرؤيا ويتحقق السلام .



للشاعر: محمد بن علي السنوسي

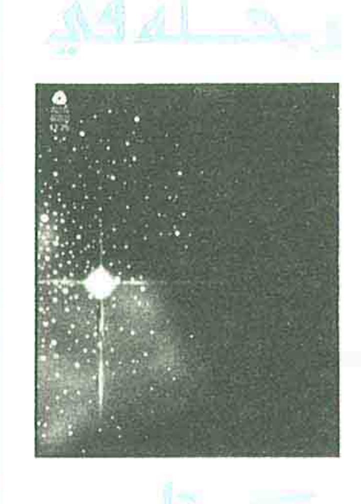
بين مَسْرَى الشذى ومجرى العبير   خَفَقَ القلبُ مستهام الشعور
يَتَلَقَّ أشعةَ الشعر من إيحاءِ أفقٍ مشعشع بالزهور
هذه الجنة التي وعد الله بها الناس أم أنا (في عسير)؟
رَسَمَتْها على الجلاميد والصخر   فنوناً يدا (جهاز) قدير
ما تصورتُ أنَّ في الأرض فردوساً وحوراً كاللؤلؤ المنثور
بَلَدٌ شامخٌ يطل على الأرض بلحظٍ يسمو سمو الصقور
كان بالأمس قريةً من بيوت الطين واللَّبن رثَّةً كالجحور
فإذا تلكمو القُرى مثل (عَالَيه) (بلبنانَ) شامخاتِ القصور
وإذا تلكمو الفجاج خطوطاً   وارفات الظلال بالتشجير
وإذا حاكم البلاد رعاها   بَلَغَتْ ما تشاءُ من تطوير
سنةُ الله في البلاد وكم عاشت وماتت من همة أو قصور

★ ★ ★

يا ظباءَ (السراة) رفقاً بإحساسي   فما زال ناعماً كالحرير
وأنا الشاعرُ الذي هَامَ بالحُسن وَغَنَّى له غِنَاءَ الطيور
في الذُرى في السفوح في الزهر في النهر لدى المنحنى وعند الغدير
في الشَّذى عاطراً وفي النور لمَّاحاً وفي الروض في الضُّحى في البُكور
في احورار اللحاظ في اللجج الزرق تهادين واهتزاز الخصور
في أغاني الرعاة والرعدِ والبرقِ ضحوكاً وفي السَّحابِ المطير
في رؤى تأسر الخيالَ وتسري بهواه في كلِّ أفقٍ منير
ذاك دأبي وما أزال وما الشعر لعمري إلا حياة الشعور

مجلة الفيصل العدد (٥٣) ص ٨٢

رحلة في



كتاب

ثقوب سوداء

تأليف :

جون ج . تيلور

عرض :

محمد الحديدي

يتعرض هذا الكتاب لموضوع يصل بالعلم إلى حدوده البعيدة ، ويقف به على عتبة الفلسفة الميتافيزيقية . يذكرنا هذا بقول برتراند راسل في إجابة عن معنى الفلسفة : إنها التفكير في أمور ليست مقطوعاً بها حتى الآن ، وهكذا فإن الأمور تظل تنتقل من دائرة الفلسفة إلى دائرة العلم ، عندما تعرف عن ثقة .

اسمح لنفسي ألا أكون واثقاً تماماً من صحة هذا التعريف ، فقد جاءت نظريات **نيوتن** بما خيل للناس أنه هو القطع في أمور تتعلق بطبيعة الحركة مثلاً ، وعلاقة السرعة بالمسافة والزمن ، وتأثير جاذبية الأرض على التعجيل الحركي . . . إلخ ، ثم جاءت النسبية لتنفي كل هذا **(برغم صلاحيته للتطبيق العملي ، فهذه مسألة أخرى)** وأغلب الظن أنه سيأتي يوم تنتفي فيه النسبية بدورها وهكذا ، نفس الشيء يمكن أن يقال عن « **حقائق** » علمية كثيرة .

ولم يعد موضوع الثقوب السوداء جديداً ، وفي العدد « ٤٣ » من « **الفيصل** » مقالة في هذا الموضوع ، ولكن مزيداً من الخوض فيه قد يشوق للقارئ ، كما أن هذا الكتاب لا يقتصر على شرح المسألة ، ففيه إضافات كثيرة ، وخيالات متنوعة يأتي بها المؤلف في سياق الحديث ، وبصفة خاصة في الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب وهي « **النهاية المحتومة** » و « **الخالدون** » و « **ما ينتظر للإنسان** » ولعل هذه الاستطرادات هي التي جعلت الكتاب يروج وينتشر إلى الدرجة التي حدث بها ذلك .

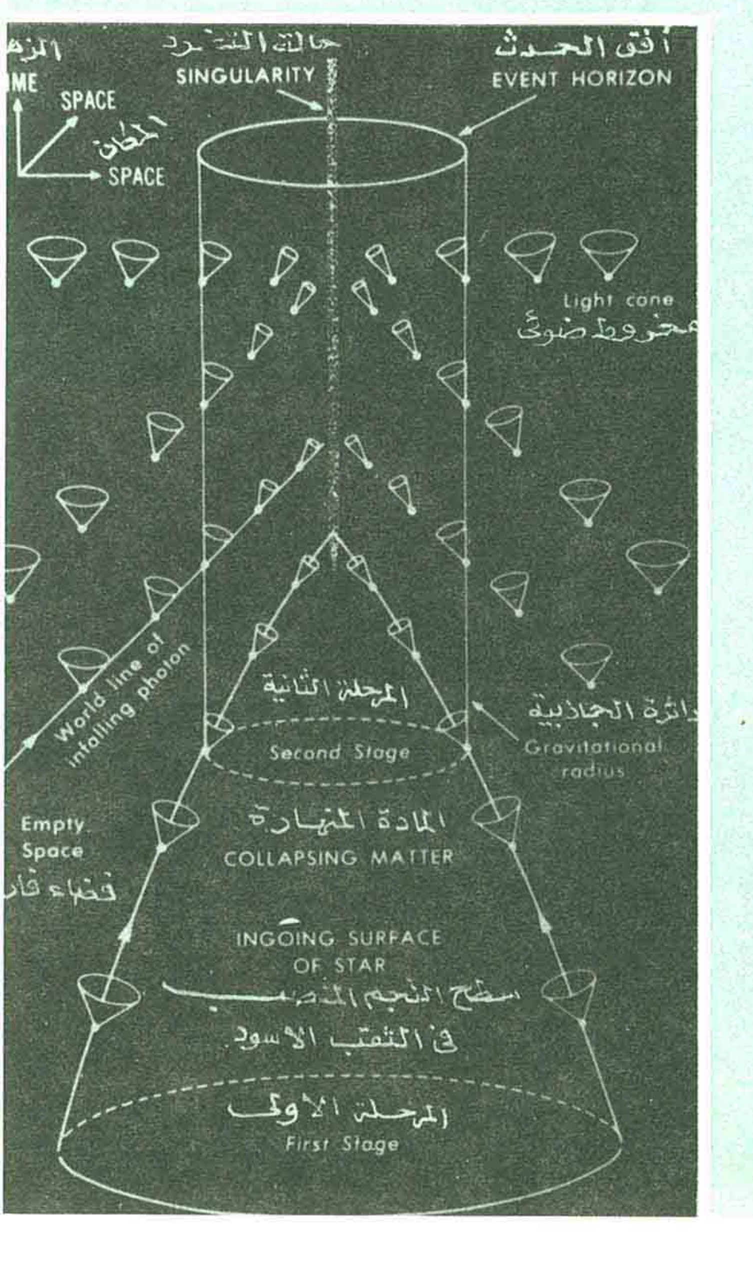
خلاصة الموضوع

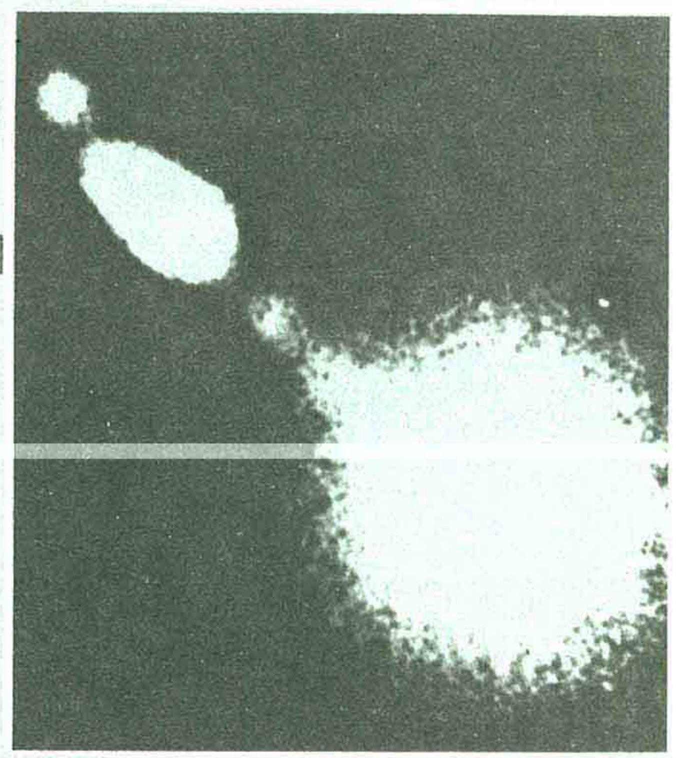
وقد يحسن قبل أن نبدأ في عرض هذا الكتاب الشيق ونقل ما نراه هاماً من فقراته ، أن نجمل المسألة في سطور قليلة .

حار العلماء منذ آلاف السنين في طبيعة هذه الأشياء الثلاثة التي يتكون منها العالم المادي أو الفيزيائي : **المادة ، والمكان ، والزمن** ، وبينما تنبني قوانين نيوتن على مطلقية الفضاء والزمن ، واضطرادهما في خطوط مستقيمة منتظمة ، وعلى أن الكتلة هي كمية المادة ، وهي أيضاً ثابتة ، فإن أصحاب النسبية يرون أن الكتلة ليست ثابتة ، وأن كمية المادة تتغير عندما تتحرك الأجسام ، وأن الحركة تؤثر على مضي الزمن ، فمن يتحرك بسرعة يعيش زمناً يمضي ببطء ، وأن الفضاء ليس مطلقاً وليس مستقيماً ، فهو متحد مع الزمن ولا يوجد هذا بغير ذاك ، وأن وجود المادة يحدث « **التواء** » في المكان والزمن بحيث يستحيل التحرك في خطوط مستقيمة .

ولكي نتصور التواء الفضاء ، وهو — فيما نحس به نحن البشر — فراغ ثلاثي الأبعاد ، لكي نتصور هذا ، فإننا نأخذ حالة مستوى ذي بعدين فقط ، وليكن لوحاً كبيراً رقيقاً من المطاط ، تعيش عليه كائنات رقيقة كالبكتريا مثلاً ، هذه الكائنات يمكنها أن تتحرك في خطوط مستقيمة ، أما إذا وجدت على السطح كرة ثقيلة ، كرة بلياردو مثلاً ، فإن لوح المطاط سيهبط بتأثير ثقلها ، وتتكون حولها منطقة مقوسة إلى أسفل يجعل البكتريا التي تقترب منها تتحرك على خطوط ملتوية ، ولا يمكنها أبداً أن تسير على خط مستقيم .

★ لقد رسم في الشكل مخروطات عديدة يفترض العالم الذي وضعها أنها مخروطات ضوئية ، أي مكونة من فوتونات . ولكننا في الواقع يمكن أن نتصور أي مادة أخرى . فالجاذبية تنطبق عليها كلها . وقد قسمت عملية الانهيار إلى ثلاث مراحل . في المرحلة الأولى نجد أن المخروط عادي في حجمه . لكنه ما يدخل المرحلة الثانية حتى نجد أن حجمه قد صغر . ويتدرج في الصغر حتى يصل إلى الخط في الوسط الذي هو حالة التفرد ، وهناك يختفي نهائياً من الوجود ★





★ مجرة مسيبة ٨٧ وهي أضخم مجرة معروفة ، تبلغ ثلاثة أضعاف مجرتنا ، وتحتوي على ثلاثة آلاف مليون نجم ، في مجموعة العذراء . تبعد عنا ٦٥ مليون سنة ضوئية . إلى أحد جوانبها نفثة كبيرة . هل هي انفجار خرج من داخل المجرة ؟ على أية حال ، فالمجرة كلها مصدر اشعاع قوي ، راديوي وسيني ايضاً ، يرجح أن يكون في داخلها ثقب أسود ضخم ★

لنتصور الآن أن مارداً عاتياً أمسك بكرة البلياردو وضغطها بقوة هائلة في قبضته الحديدية بحيث انكمشت مادتها إلى أن أصبحت في حجم حبة قمح !! ستظل حبة القمح محتفظة بوزن كرة البلياردو ، وسوف تجذب لوح المطاط إلى أسفل بنفس القدر ، ومع صغر حجمها فإنها سوف تكون فوقها فراغاً يحيط به جزء من لوح المطاط ، مستطيلاً إلى أسفل هذه المرة ،

بسبب صغر حجم الكتلة الجاذبة له ، له فوهة ضيقة من أعلى ، إذا اقتربت البكتريا فإنها سوف تنزلق إلى هذه الفوهة الضيقة ثم إلى العمق البعيد ، وإذا حاولت أن تخرج من هذه الهوة السحيقة فإنها ستجاهد لتصعد إلى أعلى بينما جاذبية هذا الثقل الكبير تشدها إلى أسفل .

الذي يحدث بعيداً في الفضاء (**وندعو الله أن يظل بعيداً**) هو أن نجماً ينتهي أجله ، وتخمد حرارته ، فتندفع مادته إلى قلبه متدافعة بسرعة الضوء (وهي أعلى سرعة نعرفها ، ولا يمكن التحرك **بسرعة تفوقها فيما نعرف للآن**) يؤدي التضاغط الفظيع إلى انتزاع الإلكترونات من ذرات المادة وإلى « **سحق نووي** » يجعل نجماً في حجم الكرة الأرضية (**وهذا يكون نجماً خيالياً في ضآلته**) يتخذ حجم كرة

البليارد ، ولكنه يظل محتفظاً بوزنه (**إن صح التعبير**) وقدرته على الجذب تبعاً لذلك ، وهو لا يتكون من المادة كما نعرفها ، فالمادة يعني النواة والبروتونات والإلكترونات والكل في حركة دائبة ، أما المادة من نواءات الذرات فقط وفي حالة خمود ، وانكماش يؤدي إلى كثافة وجاذبية

تفوق التصور فشيء « **عفريتي** » لا ينتمي إلى عالمنا هذا ، التواء الفضاء هنا يشبه ما حدث للوح المطاط ، جزء كبير من الفضاء يحيط بهذا العفريت الصغير ، عفريت النجم المتوفى ، أي شيء يقترب من هذه المنطقة ينزلق على خطوط الفضاء الملتوية ويصبح بالضبط وبمعنى هذه العبارة القديمة « **أثراً بعد عين !** » ، حتى شعاع الضوء سينحدر إلى الهوة السحيقة بتأثير التواء الفضاء ، فهو لا يستطيع أن يمضي مستقيماً في فضاء أصبح منحنياً ، وعندما ينفذ إلى الهوة فإنه لا يستطيع أن يرجع ،

لأن الخروج من الهوة ــ بفعل الجاذبية الهائلة ــ يقتضي سرعة تفوق سرعة الضوء ، وليست هناك سرعة تفوق سرعة الضوء ، وهكذا فإن الضوء يسقط ولا يرتد ، كل شيء يستقبل أشعة الضوء ولا يعكس شيئاً منها فهو أسود ، من هنا جاءت التسمية : **الثقب الأسود** ، هو ثقب لأن الأشياء تنفذ منه ، وأسود لأنه يمتص أشعة الضوء ولا يعكسها ، وإذا اقترب نجم آخر فإن مادة هذا النجم « **تمتص** » إلى هذا القرار المكين ،

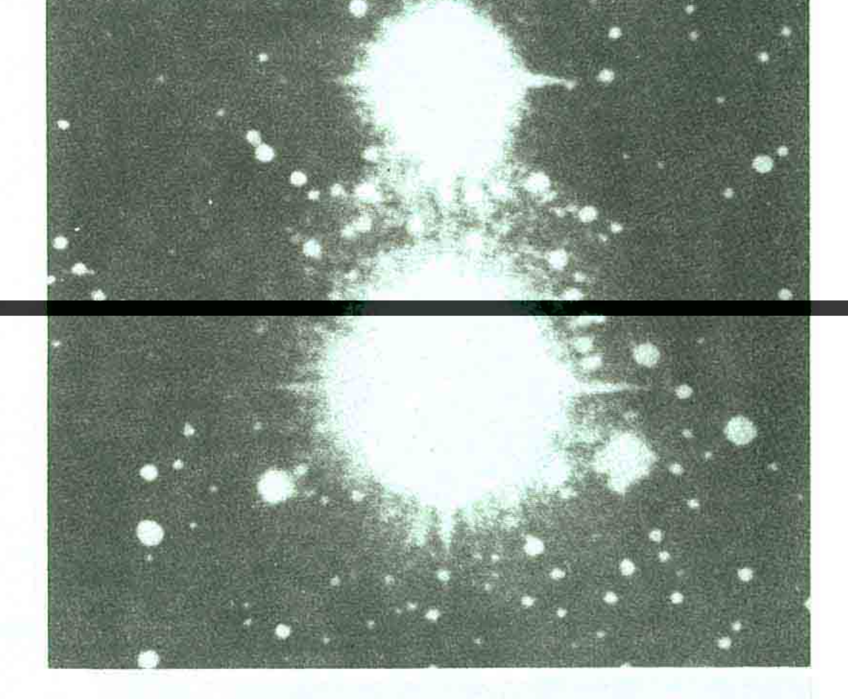
وتظل تنسحب شيئاً فشيئاً إلى أن تنعدم ، أين تذهب هذه المادة ؟ إلى عالم آخر . . . هكذا يظنون ، يعني إلى « **فضاء زمن** » غير فضائنا وغير زماننا ، وهكذا فإن « **عدم** » المادة ، وهي عضو أساسي في ثلاثية الحياة الفيزيائية كما نعرفها ، يؤدي إلى « عدم » العنصرين الآخرين ، المكان والزمن ، بعبارة أخرى ، هذه الثقوب السوداء المنتشرة في الفضاء بأحجام مختلفة ، هي النوافذ التي تؤدي إلى ملكوت آخر ، لرب السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير .

المجهول

لنبدأ الآن رحلتنا في هذا الكتاب .

● **الفصل الأول** بعنوان « **عبادة المجهول** » ، يتعرض فيه المؤلف لطبائع البشر ويضرب مثلاً بالغرام المتزايد بالتنجيم في هذا العصر المادي ،

ويقول : إن الرجل العادي والمرأة العادية في هذا الزمن يريدان أن يعرفا من النجوم ما يخبئه لهما القدر ، وما زال الناس يلجأون إلى النجوم أملاً في الحصول على تأثير خرافي على مجريات الأمور ! والسبب في ذلك هو أن التفسير العلمي للأشياء لا يفسر كل شيء مما نراه . وعلينا أن نعرف أن وجه المجهول سيكون أكثر غرابة مما نتوقع ، وأن كل رحلة لاستكشاف الكون سوف تكشف لنا عن عالم يختلف اختلافاً عظيماً عن العالم البسيط

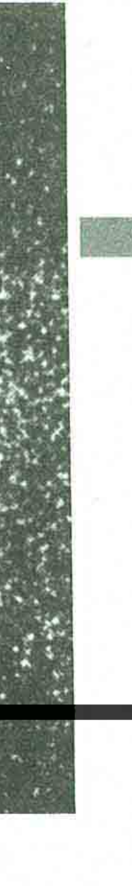


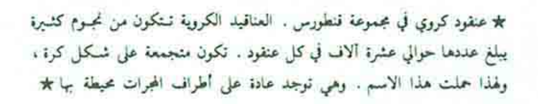
★ النجم الضخم أكس ١ الدجاجة ، في مجموعة الدجاجة ★

المحيط بنا . . .

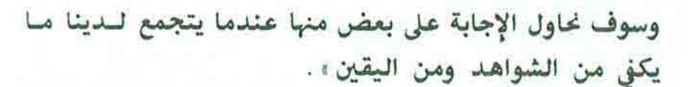
● ثم ينتقل المؤلف إلى **الفصل الثاني** وعنوانه « **ما لا يتسنى تفسيره** » ، ويقول : « **نحن في تساؤل دائم عن الزمن ، ونحلم بالآلة التي تخيلها هـ . ج . ويلز ، للسفر على أبعاد الزمن ، ولكن هيهات ! كل هذا العلم الحديث لا يبتدع واحدة !** » ثم يحكي عن توقعات غريبة تحققت ، منتقلاً من ذلك إلى الأحاديث القديمة والجديدة عن زيارات لكوكب الأرض من الفضاء الخارجي ، زيارات إلى **التيبت** وإلى **سومر** ، قصص سمعناها كثيراً وليس هناك ما يدفعنا إلى تصديقها لسبب في غاية البساطة وهو : **لماذا توقفت هذه الزيارات ؟ وكم من الوقت كان يلزم لكل رحلة تأتي من بعيد ؟ آلاف السنين إلى أقرب مكان في الفضاء ، للأسف !**

والواقع أن المؤلف نفسه ينتقل من هذه الحكايات إلى هذه التساؤلات ، قائلاً : « **كل هذه الأسئلة تدور بفكر الإنسان ،**





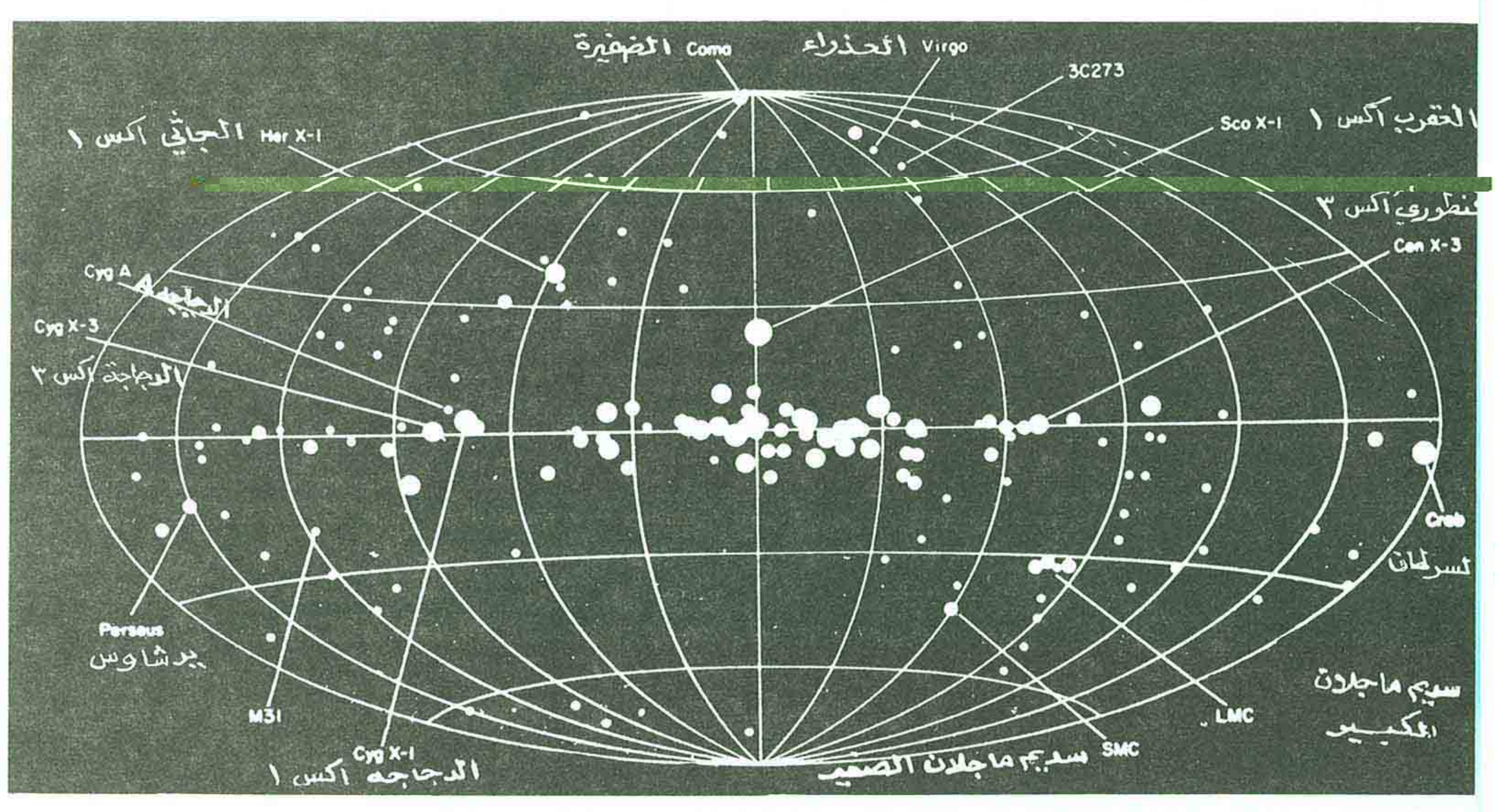
★ عنقود كروي في مجموعة قنطورس . العناقيد الكروية تتكون من نجوم كثيرة يبلغ عددها حوالي عشرة آلاف في كل عنقود . تكون متجمعة على شكل كرة ، ولهذا حملت هذا الاسم . وهي توجد عادة على أطراف المجرات محيطة بها ★



وسوف نحاول الإجابة على بعض منها عندما يتجمع لدينا ما يكفي من الشواهد ومن اليقين » .

حسناً ، نحن نتمنى أن يتم ذلك ، ولكن المؤلف يمضي بنا إلى فصل تال عنوانه « **المتفائلون** » ، يبدؤه بحديث عن **كهنة المصريين القدماء** ، وكيف أن من كان في قدرته أن يكتشف العلاقة بين موعد صعود الشعرى اليمانية فوق الأفق ، وفيضان النيل ، كان يعد واحداً من الذين يملكون القدرة على التوقع بالمستقبل . يستطرد من ذلك إلى إمكان ــ أو عدم إمكان ــ الحصول على علم كامل بحقائق الكون الفيزيائي .

المتفائلون هم الذين يرون هذا ممكناً ، ويقول : « **لقد أصبح الإنسان الآن قادراً على تفسير أحوال المادة في نطاق فراغي ضيق لم يكن ممكناً تصوره منذ عشرين سنة فقط !** ولقد وضح كيف أن عالم الأشياء المتناهية الصغر لا بد من فهمه لكي يتسنى لنا فهم عالم الأشياء المتناهية الضخامة . إننا نعرف الآن الخواص الأساسية للمادة معبراً عنها بلغة القوى الأربع الرئيسية : **قوة الجذب** بين جسمين لهما كتلة كبيرة ، **والقوة الكهرمغناطيسية** بين جسمين مشحونين كهربياً ، **والقوة الذرية** التي تمسك النيوترونات والبروتونات داخل النواة ، وأخيراً **القوة التي تسبب التحلل الإشعاعي للذرات الثقيلة** كاليورانيوم ، وهذه أصغرها جميعاً » .



★ خارطة للسماء ظهرت فيها مواضع الأشعة السينية، كما رسمت بحسب ارصاد القمر الصناعي أوهورو. حجم النقطة البيضاء يدل على قوة الأشعة الصادرة. خط الاستواء في الخارطة هو خط استواء مجرتنا. يلاحظ ازدياد عدد مصادر وقوتها عند خط الاستواء المجري، وخاصة في مركز المجرة ★

ثم يزداد تعمقاً فيقول: «ليس من الضروري أن نتصور أن هذه نهاية المطاف: المادة، الجزيء، الذرة، الإلكترون، البروتون، النيوترون، يمكننا أن نبدأ البحث في مكونات الإلكترون والبروتون والنيوترون... هذا هو ما يجري منذ عشرين سنة ولكن شيئاً لم يتبلور بعد.

إلا أنه سوف يتبلور... إلى أصغر فأصغر، ولكن إلى متى؟ إلى أن يعجز العلماء عن البحث عن مزيد من أسرار المادة، ويقنعون بأن المجهول حقيقة أبدية من حقائق حياة الإنسان، عندئذ سوف يرضى المتفائلون — القائلون بإمكان معرفة كل أسرار المادة — سوف يرضون بالتفاؤل جزئياً.

علينا إذن — هكذا يمضي قائلاً — أن نقلب أنظارنا حول الأرض وفي السماء بحثاً عما هو غير متوقع، عن الظاهرة التي لا تكفي لها قدرتنا على الإدراك. هنا يظهر الثقب الأسود، هذا هو حيث يبدأ الزمن مكان، أو حيث ينتهي، علينا أن نغوص في أعماقه لنرى ماذا في داخلها».

لب المسألة

بعد هذه المقدمات الرومانتيكية — وهي حوالي ربع الكتاب — يدخل المؤلف في الموضوع، موضوع الثقوب السوداء. ويمكن للقارئ أن يدرك مدى حماس المؤلف، ويلتمس له العذر في أسلوبه الذي يوحي بأنه يكاد يظن أن الثقوب السوداء هي كل ما في هذا الكون من غموض، وكل ما فيه من تفسير، حسناً... قد يكون الأمر كذلك، يقول المؤلف:

«في الزمن القديم كان الناس يصفون النجوم بالخلود، هذه الأشياء اللامعة التي تدل على القدر، ولكن العلم الحديث قد كشف عن سذاجة هذا الظن، يتضح ذلك بصفة خاصة من حقيقة أن بعض النجوم تتوهج فجأة ويصبح ضياؤها ملايين المرات ألمع مما كان، ثم بسرعة... تحترق وتخبو ولا يراها أحد بعد ذلك. ونحن أيضاً نعرف أن النجوم لا يمكن أن تكون دائمة فهي تبث الطاقة طيلة الوقت، وتخسر مادتها شيئاً فشيئاً، وعندما تنفد فلا بد أن نتوقع أن يموت النجم.

إذا كانت النجوم تهرم وتموت، فلا بد أنها أيضاً تولد، وفي هذه اللحظة، هناك نجوم تتكون في المجرى اللبني وفي غيره من المجرات المنتشرة في الكون».

وبعد أن يصف لنا ظاهرة تكون النجوم من جديد، واكتسابها للطاقة المحيطة بها:

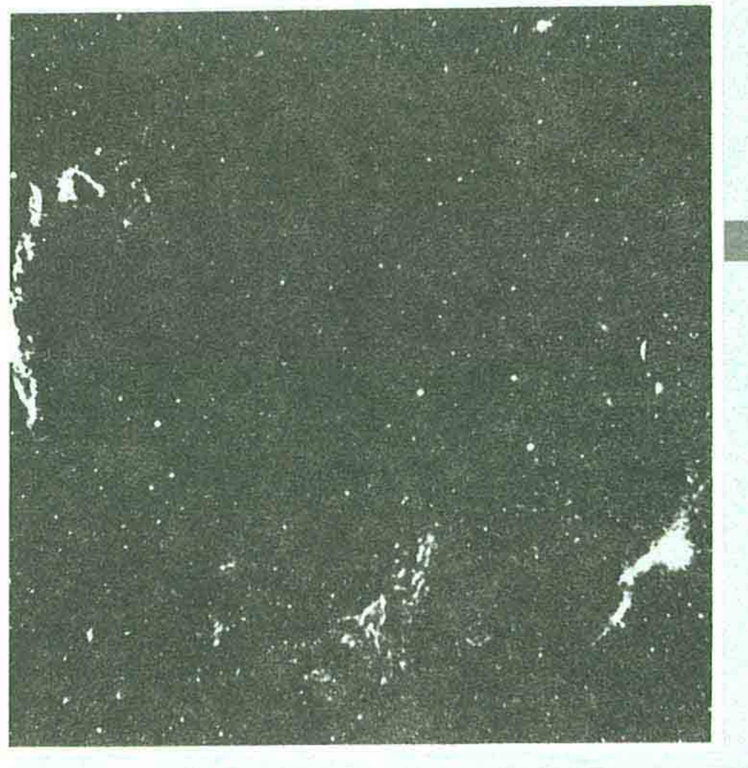
« باندماج نواءات العناصر الخفيفة تتكون نواءات أثقل وتمتص الطاقة عن طريق فقد شيء من الكتلة ، وتؤدي النسبة العالية من الأيدروجين إلى بناء الهيليوم ، ثم الكربون والأكسجين والنتروجين ، وهكذا إلى أثقل فأثقل ، ويمتص مزيداً من الطاقة من حوله ، إلى أن يتحول جزء كبير إلى حديد ، وعندئذ يتوقف اكتساب الطاقة لأن تكوين عناصر أثقل من الحديد يستهلك الطاقة » .

ننتقل بعد ذلك إلى هذه الفقرة التي لا نرى مفراً من نقلها كاملة لأهميتها واحتوائها على لب المسألة :

« مما يجدر ذكره هنا أن الفضاء الكثيف المحيط بنجم جديد سوف يستمر في التكثف ، والأجسام المتكثفة ستكون صغيرة جداً إلى درجة لا تمكنها من أن تكون نجوماً ، ولذا فإنها ستكون كواكب . هذا يعني أن أغلب النجوم تحيط بها كواكب ، والذي يصلح منها للحياة في المجرة التي نعيش نحن فيها وحدها لن يقل عن مليون ، والمقصود بالحياة هنا الحياة الذكية . وكلما أحسنا فهم تفاصيل تكوين الكواكب سهل علينا أن نعرف أين يجب علينا أن نبحث عن الحياة الذكية في النجوم القريبة منا ، ومن المؤكد أن البعض الآن يبحثون عنا كما نبحث عنهم .

من الأمور التي حيرت القدماء : **من أين تأتي النجوم بكل هذه الطاقة** ؟ شمسنا مثلاً ، يفيض منها كل ثانية ما قدره أربعة ملايين طن من مادتها ، أي ما يعادل عشرة آلاف مرة قدر الماء الذي يتدفق في نهر [illegible] إلا في العشرين سنة الأخيرة فقط أمكن إدراك ما يحدث وهو أن قدراً صغيراً من المادة يفقد أثناء التحام نواءات العناصر الأخف ، لتكوين عناصر أثقل . وعندما يستهلك النجم عناصره الخفيفة لا يصبح له مورد داخلي للطاقة يمنع التداعي بفعل الجاذبية . إذا كان النجم لا يزيد إلا قليلاً عن الشمس فإنه يخبو تدريجياً بينما يتوقف التداعي ، ويتحول إلى قزم أسود في حجم الأرض ووزن الشمس ، أما إذا كان أثقل فإنه يتداعى إلى حجم أصغر ولكنه منضغط بدرجة أكبر ، ويتخذ قطراً حوالي عشرين كيلومتراً . وقد تأكدت رؤية الأقزام البيضاء ، أما النجوم النيوترونية فتتخذ شكل مصادر تنبض بموجات الراديو ، ظن أول الأمر أنها رسائل من مدنيات أخرى ثم نبذ هذا الاعتقاد .

والنجم النيوتروني شيء عجيب حقاً ، إنه كرة متجانسة من النيوترونات كثافتها تفوق التصور ، ملء علبة ثقاب من مادتها يزن مليون طن ! ليس على سطحها جبال ، أعلى نتوء لا يزيد على عشرين



★ سديم القناع في مجموعة الدجاجة وهو سديم على شكل دائرة تقريباً ، حدث من انفجار سوبرنوفا قبل حوالي خمسين ألف سنة . السديم لا يزال يبتعد عن المركز من أثر الانفجار بسرعة ٣٠٠,٠٠٠ ميل في الساعة ★

سنتيمتراً !! باطنها يشبه باطن الأرض ، ولتجانسها فإننا نستطيع أن نصفها بأحسن مما نصف الأرض . يا لها من دنيا عجيبة تلك التي نعرف فيها عما يبعد عنا بلايين الأميال أكثر مما نعرف عن الأرض التي تحت أقدامنا » .

منذ هذه اللحظة يبدأ المؤلف خيالاته . وهي رائعة ولكنها على أحسن الفروض ليست محققة . أنا على استعداد لموافقته على أننا لا نعرف الكثير عن الأرض التي تحت أقدامنا ولكن النصف الآخر ، وهو معرفة الكثير عما هو على هذا البعد السحيق فلا يؤخذ بهذه الثقة .

وبعد ذلك مباشرة تبدأ رحلة خيالية بديعة عن الاقتراب من الثقب الأسود ، يليها فصل عن هيام الثقوب السوداء في الفضاء والتهامها لكل ما يقترب منها من أجرام .

الخيـــال

ينساب المؤلف وراء خيالاته الرائعة بعد ذلك في فصل بعنوان « **ترويض الثقوب السوداء** » ، ويتصور إمكان استغلال هذه الظاهرة في أشياء مثل الحصول على الطاقة ، والسفر بين الكواكب ، بل والتحكم في سرعة مرور الزمن !

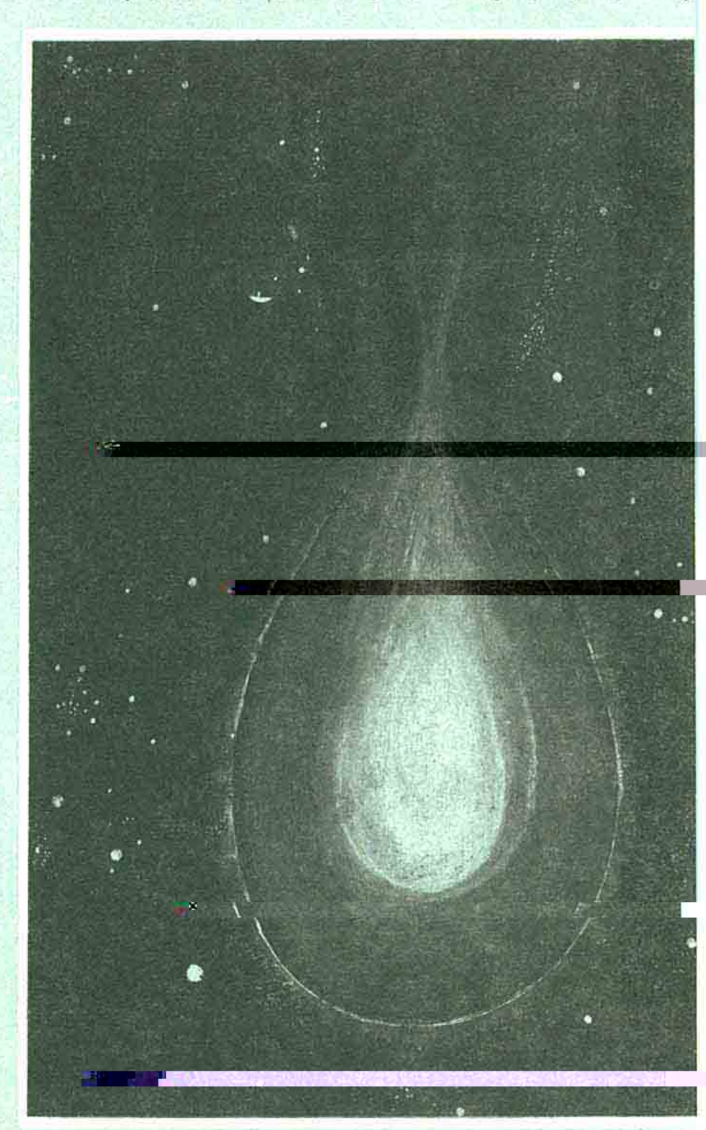
وينتقل من ذلك إلى عنوان « **الخـالدون** » حيث تشتد نزعته القصصية :

« في مجموعتنا الشمسية ، يبدو أن الأرض والمريخ هما الكوكبان

الوحيدان اللذان يصلحان لنشوء الحياة ، وإن كان لا يستبعد أن تنشأ على سطح المشتري حياة قوامها النوشادر بدلا من الماء . ولكن المعتقد الآن أن الطريقة التي تتكون بها النجوم من المحتم أن تنتج عنها كواكب دوارة

حولها ، ونحن نعرف الآن أنه من بين سبعة عشر نجماً تقع في دائرة قطرها لا يزيد على اثنتي عشرة سنة ضوئية حولنا ، ثلاثة من هذه النجوم تدور حولها الكواكب ، والحساب التقريبي يؤدي لأن نتوقع وجود مليون

الثقب الأسود ونجم كبير بدوران حول بعضهما البعض ، مادة النجم تنصب في الثقب على شكل روط. الصورة تكبر الثقب تكبيراً شديداً نسبياً ، والحقيقة أن النجم أكبر منه بملايين المرات ★



حضارة ذكية في المجرى اللبني وحده ، واحدة أو اثنتان منها على الأقل داخل دائرة لا يزيد قطرها على مائة سنة ضوئية تحيط بنا .

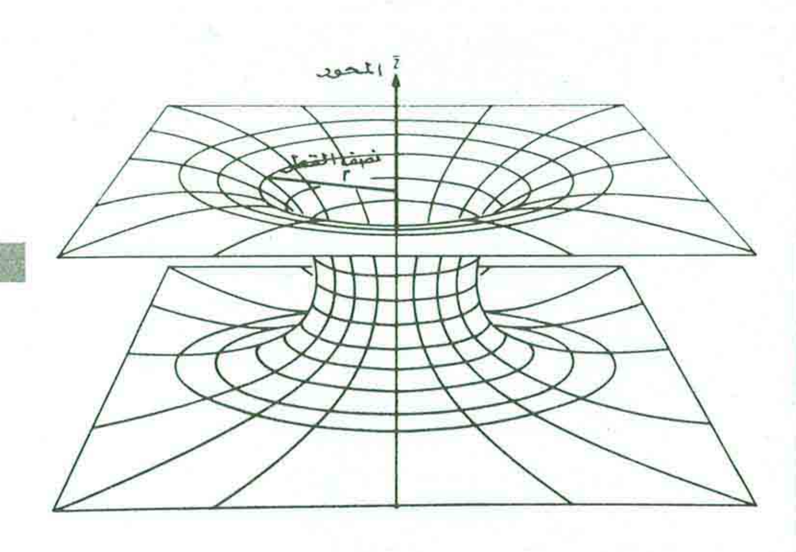
لا شك أن بعض هؤلاء الأحياء الأذكياء يفكرون في اتخاذ الثقوب السوداء مصدراً للطاقة ، بل لعلهم حاولوا أن يصنعوا بعضاً منها ، ويتخذوه وسيلة للتنقل في الفضاء . مثل هذه الكائنات يمكنها أن تتحكم في المكان والزمن بما لديها من وسائل كهذه » !

حسناً ، **ماذا عن خطورة العبث بهذه العفاريت الفظيعة التي تهون إلى جانبها الأسلحة النووية** ؟ سرعان ما تأتي الإجابة :

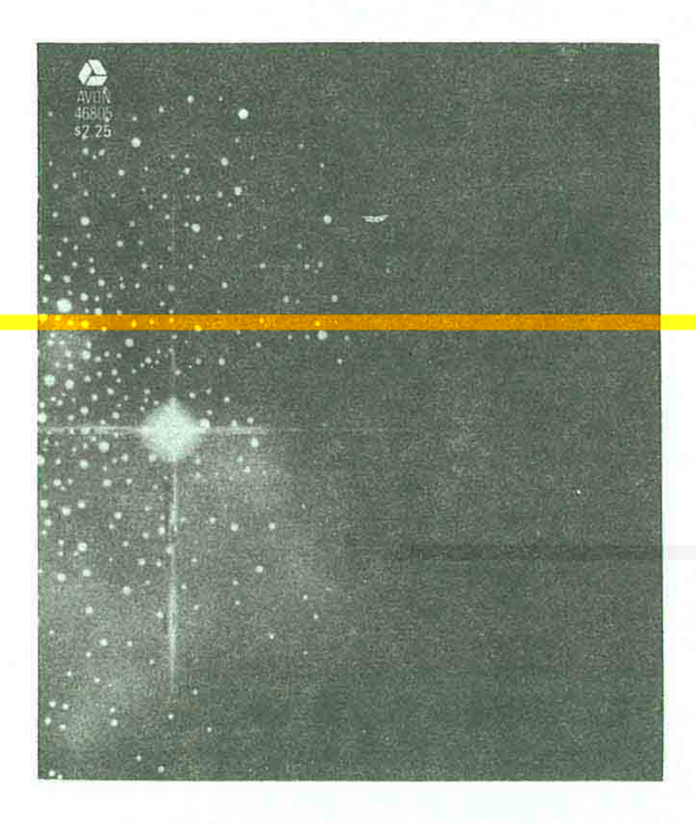
« على أية حال ، فإن خطر الانزلاق إلى جوف الثقب الأسود سيكون كافياً لتعبئة الحضارة كلها ، ودفعها إلى الهرب ، المشاكل التي ينطوي عليها ذلك عظيمة جداً ويصعب تصورها ، حتى الآن لم يجر بحث هذه المشاكل إلا بأقلام كتّاب قصص العلم ! عادة في أعقاب انفجار « **سوبرنوفا** » يقع في شمسنا القريبة . من الطبيعي أن نتخيل إمكان حدوث ذلك ، إذ إن كوكباً ثقيلاً (كالأرض أو أكبر منها) لا بد أن يكون قريباً من الشمس التي يدور حولها لكي يمكن نشوء الحياة على مثل هذا الكوكب ، هذا إذا كانت شمسه هي أيضاً كبيرة إلى حد يمكنها من الاحتفاظ به في مدار حولها . مثل هذه الشمس يمكنها أن تتم دورتها الحيوية على مدى مئات الملايين من السنين قبل أن تنفجر وتخلف حولها **سوبرنوفا** أو ثقباً أسود ، وهكذا فإذا لم تصبهم الحرارة ، سوف يلحقهم الثقب . أعظم مشكلة ستواجه هؤلاء القوم هي الطاقة ، لا بد من قدر هائل من الطاقة لكي يمكنهم أن ينتزعوا أنفسهم ويبحثوا عن كوكب مناسب يهبطون عليه » !

يمضي المؤلف بعد ذلك في وصف هذه **الهجرة الفضائية** ، جميل جداً أن نتخيل هؤلاء النازحين وهم يتخذون من الثقوب السوداء وسيلة مواصلات فضائية .

ولكن فقرة في نهاية هذا الفصل تعيد القارئ (وربما المؤلف) إلى دنيا الواقع ، ولو مؤقتاً : « إن الافتقار إلى الدليل المحسوس ــ كبقايا سفينة فضاء مثلاً ــ قد يؤدي بنا إلى استبعاد حدوث زيارات من الفضاء الخارجي فيما مضى . إلا أنه لا يحق لنا أن نتصور أن بضعة رحلات تمتد فوق مائة ألف سنة مثلاً لا بد أن تؤدي بنا إلى العثور على تل من الخردة المتخلفة عن المركبات التي استخدمت فيها . كل ما يمكننا عمله على أية



★ شكل هندسي لما يتخيله بعض العلماء عن الثقب الأسود ★



حال هو أن ننتظر أن يأتوا إلينا مرة أخرى قبل أن ندمر أنفسنا بالعبث بالأسلحة النووية أو الكيمائية ، أو ربما بمداعبة الثقوب السوداء دون دراية بطبائعها ، لعلهم يأتون ليعلمونا كيف نتحكم فيها » !

مصير الإنسان

في **الفصل الأخير** يتعرض المؤلف لأثر هذا كله على الإنسان ، إنسان الأرض على الأقل ، وبنفس الأسلوب الذي تعرض به الكتاب من قبل في موضوع الأسلحة النووية ، يحكي كيف أن التجارب تجري فعلاً في بعض بلدان القوى العظمى لـ « **كبس** » المادة أو « **فعصها** » بنفس الطريقة :

« **نادراً ما يكون العلماء مجانين ، أو ربما لا يوجد علماء مجانين ، فقط إذا أصبحت طريقة تكوين ثقب أسود معلومات شائعة ، كيف يمكننا أن نمنع مخبولا من صنع واحد منها ؟ لو أن واحداً منها أسقط على الأرض إهمالا ــ أو عمداً ــ فإنه سيشق طريقه إلى مركز الكرة الأرضية بسرعة عظيمة حيث يبدأ في ابتلاع مادتها بعنف فظيع ولن يتسنى أبداً ايقافه** » !

وقرب النهاية يقول :

« **ومن الأقدار الأخرى المحتملة : انعدام جميع المادة داخل الثقوب السوداء حيث لا يظهر لها أثر بعد ذلك ، أو ربما تغرق داخل ثقب كبير دوار حيث تظهر في عالم آخر ، أو تكون بداية لعالم آخر . . .** » إلخ .

تعليق

مستر **جون ج . تايلور أستاذ للرياضيات بجامعة لندن** ، وله كتابات عديدة تحت عناوين مثل : « **مرثية للكون** » ، و « **ذرات أسرع من الضوء** » و « **شكل العقول التي ستأتي** » (تنويعاً على كتاب **هـ . ج . ويلز** : شكل الأشياء التي ستأتي) . هو حجة فيما يكتب عنه ، لا أحد ينكر ذلك ، حتى ما وصفناه بالإغراق في الخيال ما يزال شيئاً ممتعاً جداً ، ولا مفر من أن يمر بخيال العلماء والمفكرين . ولكن الذي يبقى أن نلتفت إليه ونخرج به من كل هذا هو أن العالم الفيزيائي كما نعرفه يتكون من هذه الأشياء الثلاثة : **المادة ، والفضاء ، والزمن** ، هذه الأشياء الثلاثة أكثر ارتباطاً ببعضها البعض مما درجنا على تصوره .

ويمكنها أن تحل أحدها محل الأخرى ، فالمادة تتحول إلى طاقة ، والطاقة عبارة عن حركة قوامها المسافة والزمن ، . . . إلخ ، والأدهى من ذلك أنه لا شيء منها يتميز بأدنى درجة من المطلقية ، فلا هي ثابتة ولا مطردة ولا مستقيمة . إن دل هذا كله على شيء فهو إلى نهاية لهذا كله . . . المسألة عويصة جداً وعميقة جداً وبعد آلاف السنين من الآن ستكون ما تزال عويصة وعميقة ، ستظل عقولنا تتعامل مع الكون وتتفاعل معه ، هذا هو ما هو المراد منها ، لكنه **تعامل المحدود ، مع اللانهائي** .

هذا الكتاب ــ على الأقل ــ يعطينا هذا الانطباع .





★ كوكب زحل والحلقات التي تحيط به كما تراه المركبة الفضائية من مسافة ٣٤ مليون كم ★

أسرار الكوكب.. ذو الحلقات

بقلم : د. محمود خيري محمد علي

وصلت **سفينة الفضاء فوياجير** (١) (Voyager 1) التي لا يتجاوز وزنها طناً واحداً في يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٨٠م، إلى مسافة (١٢٩٠٠٠ كم) من كوكب عملاق في المجموعة الشمسية هو في الواقع ثاني أكبر الكواكب فيها إذ يبلغ قطره (١٢١٠٠٠ كم). وتبلغ كتلته كتلة الأرض (٩٥) ضعفاً. وصلت إليه السفينة بعد أن قطعت رحلة من الأرض يزيد طولها عن (١٣٠٠) مليون كيلومتر في مدة زادت عن الثلاثة أعوام. والكوكب العملاق الذي مرت به السفينة هذه المرة هو **زحل ذو الحلقات الفارغة** المحيطة به بعد أن مرت خلال رحلتها من الأرض بكوكب **المريخ**، ثم تجولت حول **المشتري**، وهو أكبر العمالقة في المجموعة الشمسية بأسرها.



كانت هناك ظنون ومخاوف كثيرة من احتمال تحطم السفينة عند اقترابها من المشتري لشدة قوة جذبه ، أو احتمال اصطدامها بالأطراف الخارجية للحلقات البعيدة غير اللامعة لزحل ، ولكن الأمور سارت دون أن ترتطم السفينة بشيء أو يصيبها عطب من جراء ذلك ، وحققت كل ما كان مقدراً أن تقوم به من برامج ، وغمرتنا بفيض من المعلومات المذهلة التي فاقت كل توقعاتنا .

أطلقت فوياجير (١) من **قاعدة كيب كانيفيرال** (Cape Caneveral) بعد أن تم فحصها واختبار معداتها في **معمل جيت بروبالشن** (Jet Propulsion Laboratory) **بكاليفورنيا** . وهي مزودة بالعديد من الأجهزة العلمية ، وأجهزة التوجيه ، وآلات التصوير الإلكترونية ، وتحمل هوائيات على شكل طبق راديوي لترسل النبضات الكهربية والمعلومات إلينا بمعدل (٤٥٠٠٠) معلومة في الثانية الواحدة . وكان قد تم برمجة إرسال النبضات بحيث تُبثّ من جميع الأجهزة العاملة في نفس الوقت دون مزج أو خلط بينها ، وفي ذلك اقتصاد للزمن ، واستخدام طيب لكل ثانية ثمينة من ثواني الرحلة . فلم تكن عمليات تشغيل المعدات والأجهزة فوق المختبر الفضائي هذا تسير طبقاً لأوامر ترسل كل مرة من المحطات الأرضية ، لأن هذه يستغرق وصولها مدة تصل إلى الساعة ونصف الساعة في كل مرة ، وتنقل الإشارات التي يرسلها المختبر الفضائي هذه على هيئة نبضات كهربية إلى **المحطات الأرضية الموجودة بأستراليا وإسبانيا** ، ثم تنقل فور وصولها عبر **الأقمار الصناعية** إلى **معمل الفضاء المخصص لذلك في باسادينا بكاليفورنيا** ، لتغذي بها الحاسبات الإلكترونية ، وتترجم إلى صور للكوكب وحلقاته ومكوناتها في الضوء المرئي غير الملون ، وفي ضوء الاشعاعات فوق البنفسجية ، وتحت الحمراء ، وفي الاشعاعات الراديوية المنخفضة التردد .

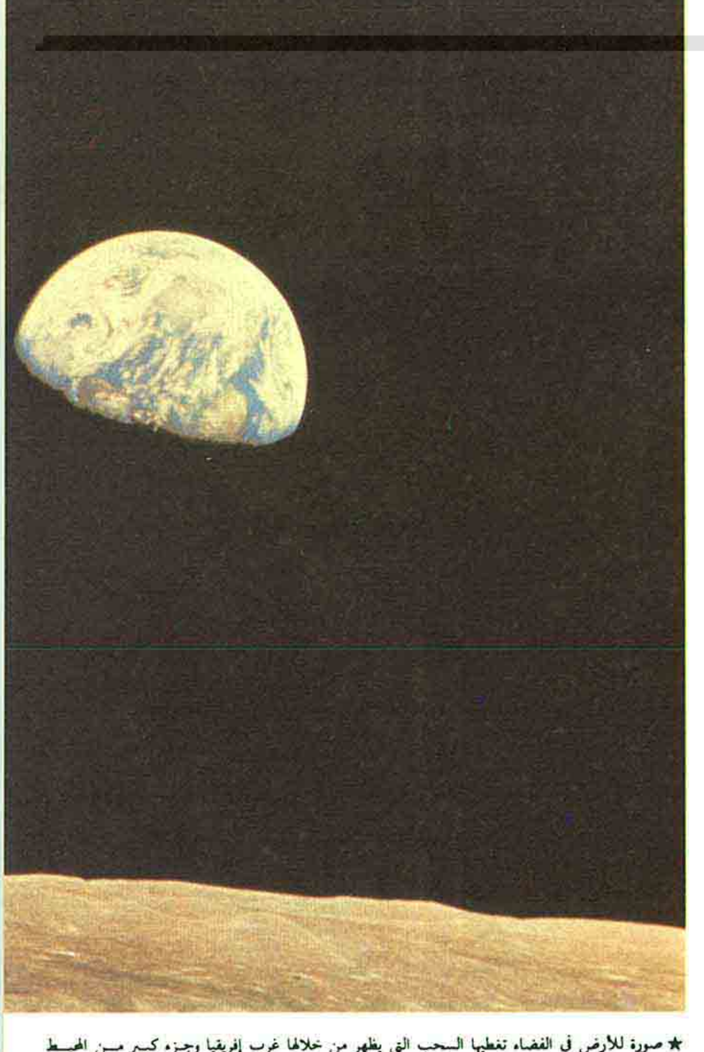
ونظراً للبعد السحيق عن **الشمس** فإن السفينة لا تستخدم الطاقة اللازمة لتشغيلها منها ، وإنما تعتمد في ذلك على الطاقة الكهربية التي تنتجها **المولدات النووية** التي تستخدم **البلوتونيام** (Plutonium) حيث تتحول الطاقة الحرارية الناتجة من تحلل المواد المشعة فيه إلى طاقة كهربية مباشرة .

وجدير بالإشارة إلى أن السفينة كانت تستعين في عملية توجيهها الملاحي بمراقبة الشمس أو بمراقبة **النجم سهيل** (Canopus) وهو ألمع النجوم في نصف الكرة الجنوبي للسماء .

وقبل أن نسترسل في تفاصيل المعلومات الجديدة والاكتشافات التي حققتها فوياجير (١) في هذه الرحلة المثيرة فلا بد لنا من أن نتعرف أولا على بعض ما توصلنا إليه من نتائج إرصادنا بالمناظير المركبة في المراصد الأرضية لهذين الكوكبين العملاقين المشتري وزحل .

مجموعات الكواكب السيارة

قسم علماء الفلك الكواكب السيارة التي تدور حول الشمس إلى مجموعتين رئيسيتين : سميت **الأولى** وتشمل الكواكب



★ صورة للأرض في الفضاء تغطيها السحب التي يظهر من خلالها غرب إفريقيا وجزء كبير من المحيط الهادي ★

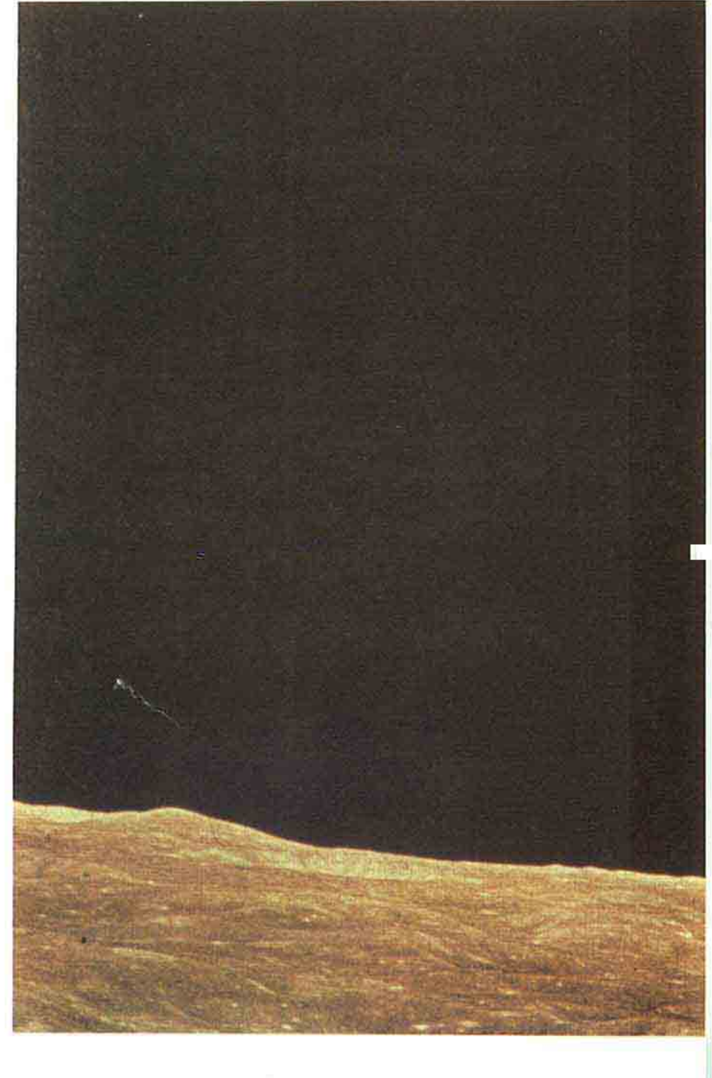
الصغيرة الأقرب إلى الشمس (عطارد والزهرة والأرض والمريخ) **بالكواكب الأرضية** ، وسميت **الثانية بالكواكب العملاقة** (وهي المشتري وزحل وأورانوس ونبتون) . ولا جدال في أن كلا من المشتري وزحل يعتبر بحق عملاقاً ضخماً بين جميع الكواكب السيارة على الإطلاق .

تتميز الكواكب العملاقة عن الكواكب الأرضية بعدد من الصفات والخصائص . فكلها مغلفة بغلاف جوي كثيف غني بالهيدروجين والهليوم ومركباتها مثل الأمونيا والميثان ، كما أن **درجة الحرارة** على أسطحها جميعاً منخفضة بدرجة كبيرة (إذ تبلغ ١٥٠ درجة للمشتري ، ٢٥٠ درجة لزحل) ، بعد أن كان الاعتقاد القديم السائد أن حرارة هذه الكواكب العملاقة مرتفعة . وأغلب الظن أن حسم الكوكب كله أو معظمه يوجد في الحالة الغازية أو السائلة أو المتجمدة ، اللهم إلا ما قد تكون عليه النواة الداخلية من التصاق [illegible] شدة الضغوط الهائلة من المادة المكونة للكوكب على الأجزاء الداخلية فيه ، وتشترك كواكب هذه المجموعة في أن كلا منها له عدد من الأقمار التي تدور حوله ، فللمشتري ١٢ قمراً ، ولزحل ١٣ قمراً ، أكبرها وأهمها هو **القمر تيتان** وهو أكبر من الأقمار الأربعة

المعروفة للمشتري (آيو ويوروبا وجانيميد وجاليستو) ، والتي رآها **جاليليو** بمنظاره البدائي منذ ٣٥٠ سنة . أما الكوكب العملاق الثالث **أورانوس** فله خمسة أقمار صغيرة **ولنبتون** قمران .

وقد أفادت هذه الأقمار كثيراً في دراسات الميكانيكا السماوية ، وحساب مدارات الكواكب حول الشمس ، ومدة دورة كل منها حول نفسها ، كما أفادت في تعيين كتلها وأحجامها وكثافاتها ، ووضح أنها جميعاً ذات كثافة تقل كثيراً عن كثافة الأرض . إذ تبلغ **كثافة المشتري** ١,٣٠ ، **وكثافة زحل** ٠,٦٨ ، **وكثافة أورانوس** ١,٥٨ ، **وكثافة نبتون** ٢,٢٢ ، وكلها قريبة من **كثافة الشمس** (١,٤٢) بينما نجد **كثافة الكواكب الأرضية** (عطارد والزهرة والأرض والمريخ) تتراوح بين ٣,٣ إلى ٥,٥ من كثافة الماء ، أثقلها جميعاً هي الأرض . ويمثل هذا التفاوت الكبير بين كثافة العمالقة وكثافة الكواكب الأرضية ظاهرة غريبة في المجموعة الشمسية .

ولو أننا قارنا حجم المشتري بحجم الأرض لوجدنا أنه يمكنه أن يحتوي جرماً حجمه قدر حجمها ١٣٠٠ مرة ، كما أن قوة جذبه كبيرة بدرجة أنها تؤثر على مسار بعض الكواكب والتوابع الشمسية الأخرى ، ولكنه رغم ضخامته هذه يدور حول محوره بسرعة فائقة تزيد عن سرعة دوران أي كوكب آخر . فهو يتم دورته حول نفسه في ٩ ساعات و ٥٠ دقيقة ، وهي سرعة كبيرة جداً إذا ما قورنت بمدة دوران الأرض حول



★ صورة كوكب المشتري وتظهر فيه البقعة الحمراء . أخذت هذه الصورة من مركبة الفضاء « بايونير ١٠ » ★

محورها في ٢٤ ساعة . ولكونه يدور حول الشمس في مدة ١٢ سنة ويميل مداره الاستوائي عن مداره حول الشمس بحوالي ٣ درجات فقط (بالمقارنة بميل المدار الاستوائي للأرض عن مدارها حول الشمس وهو ٢/١ ٢٣ درجة) ، فإنه لذلك لا يمر بدورات الفصول التي نعرفها على الأرض ، ولضخامة هذا الكوكب كما ذكرنا وكبر قوى الجذب على سطحه ، فهو قادر على أن يحتفظ حوله بالغازات الخفيفة ، شأنه في ذلك شأن زميله العملاق الثاني زحل . وهذا على العكس تماماً من الكواكب الأرضية الصغيرة كالأرض والزهرة والمريخ وعطارد ، التي لا يمكنها الاحتفاظ في جوها بالغازات الخفيفة .

ومن الخصائص التي ينفرد بها المشتري عن الكواكب الأخرى بما في ذلك زحل أنه يبث اشعاعات راديوية قوية في الموجات ذات أطوال الملليمتر ، التي تتولد من مصادر حرارية ، وذات أطوال الديسيمتر المستقطبة وغير المستقطبة ، والتي تصدر من الإلكترونات النشطة المحتواة في المجالات المغناطيسية حوله ، والشبيهة التكوين **بأحزمة فان ألن** (Van Allen Belts) المعروفة في المجال المغناطيسي للأرض ، والتي تشتد قوتها بصفة خاصة في المستوى الاستوائي . فبقدر ما يستقبل المشتري من الشمس من طاقة في الاشعاع الحراري وفي الاشعاعات الأخرى ، فهو يبث في الفضاء طاقة معادلة لها أو تزيد عنها على شكل اشعاعات راديوية طويلة الموجة .

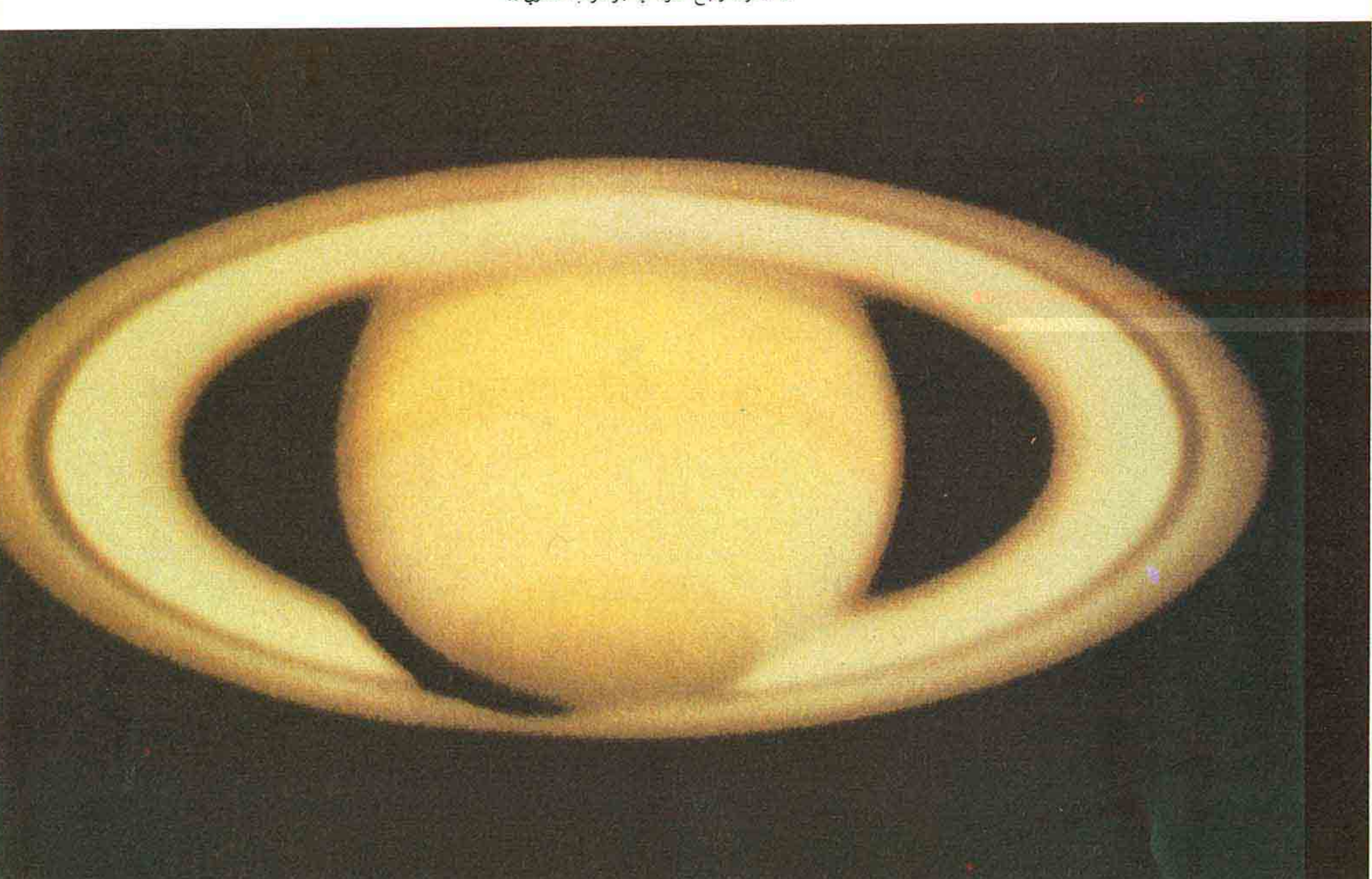
يأتي زحل بعد المشتري من حيث ترتيب بعده عن الشمس ومن حيث الضخامة ورغم أنهما يتفقان معاً في بعض الخصائص كالضخامة والكثافة والحرارة ، إلا أننا نجد أن **زحل ينفرد عنه وعن جميع الكواكب بوجود حلقات تجعله بحق أجمل كواكب المجموعة الشمسية** . فإذا أمعنا النظر إليه بمنظار يقربه إلينا في ضوء الشفق بعد الغروب ، نراه يبدو لنا على شكل كرة ذهبية اللون ، تطوقها حلقات عريضة مائلة تزهو في اللون الأزرق الباهت .

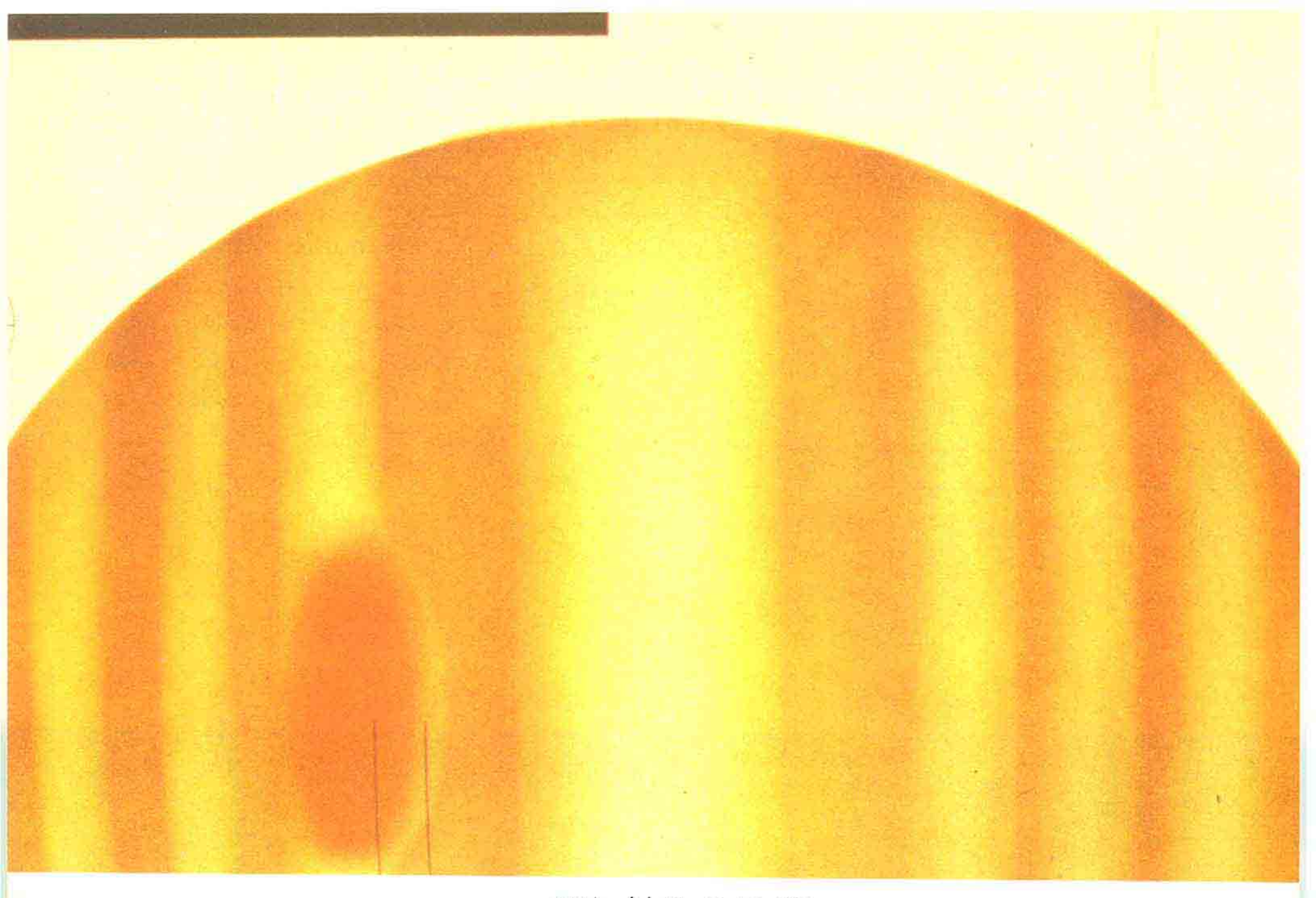
وقبل أن نسترسل في الحديث عن دقائق هذه الحلقات الفريدة من نوعها في الكون التي لم نتفهم بعد إلا على القليل عن ماهيتها وتركيبها ، فإنه يجدر بنا أن نتعرف على جسم الكوكب نفسه ، وأوجه الشبه والمفارقة بينه وبين غيره .

كوكب زحل

يدور زحل حول محوره بسرعة كبيرة فهو يتم دورته في عشر ساعات ونصف ، وقد تسببت هذه السرعة الكبيرة ، وصغر كثافته البالغة ٠,٧ من كثافة الماء في تفلطحه عند المستوى الاستوائي . إذ تصل النسبة بين

★ الأحزمة والبقع الملونة في جو كوكب المشتري ★





★ كوكب زحل وتبدو حلقاته في أقصى لمعانها ★

قطره ٩ : ١٠ وهي نسبة عالية في الكواكب السيارة بصفة عامة

وقد عبّر البعض عن صغر كثافة هذا الكوكب بأنه من الخفة بحيث يطفو فوق ماء بحيرة كبيرة إذا ما تخيلنا وجود مثل هذه البحيرة أو المحيط الذي يتسع له ، دون أن يغوص في مياهه . وهذا التشبيه يتفق في مدلولاته على ما أثبتته الدراسات وحسابات النماذج النظرية التي قدرت له . فنسبة غاز الهيدروجين المرتفعة في جوه (٦٣ بالمائة من الجو) لا تقل إلا اليسير عن نسبة الهيدروجين في جو المشتري ، رغم أن هذا الأخير أكثر كثافة . وهذا يتفق أيضاً مع ما أثبتته الإرصادات الطيفية ، التي أكدت احتواء جوه على كميات من غاز الميثان أوفر من غاز الأمونيا ، الذي يعتقد أنه تجمد في جو زحل بسبب الانخفاض الشديد في درجة حرارته السطحية . ولذلك فإن أشعة الشمس الساقطة على الكوكب يزداد اختراقها في أعماق غاز الميثان قبل أن تصل إلى الأمونيا المتجمدة ، وهذا يفسر عدم إمكاننا رؤية الخطوط الطيفية الدالة على وجود الأمونيا في وضوح وقوة .

ولقد عكف **جيدو مونش** (Geuido Munch) أحد العلماء الفلكيين **بمرصد ماونت بالومار** على دراسة أجواء الكواكب ، وتمكن من إثبات وجود الهيدروجين الجزيئي في جو زحل ، وأبان أنه يحتوي في معظمه على غاز الهيدروجين والهليوم ومركباتهما .

وقد تبين من الدراسات الفضائية السابقة التي أجريت باستخدام **مارينر (٩)** أن هذا الكوكب غير خامل ، بل يموج جوه بالأعاصير الشديدة ، القريبة الشبه بالأعاصير الأرضية وما تحويه من الرمال والسليكا .

وقد تمكن الفلكيون منذ زمن بعيد من رؤية علامات مميزة على سطوح بعض الكواكب السيارة وتوابعها ، وليست قاصرة على سطح الشمس وحدها وعرفوا بوجود تحركات لهذه البقع في بعض الحالات مما دلل على أن هذه الكواكب أجسام نشطة ليست خاملة تماماً .

ويتفاوت هذا النشاط من جرم لآخر . فالشمس وهي ذات وضع فريد بها ، باعتبارها واحدة من النجوم الأخرى ، جسم غازي ملتهب تحدث فيه التفاعلات المختلفة في الداخل وفي جوها الخارجي ، وتنبعث منها الاشعاعات القوية المتنوعة في جميع الاتجاهات ، لتؤثر بدرجات متفاوتة على توابعها التي تدور حولها وبدرجات تتوقف في كل حالة على مدى بعد كل منها عن الشمس . فيزيد تأثير الاشعاعات كلما قرب الكوكب . ومن جهة أخرى فإن هذه الكواكب والتوابع ــ كما هو المعتقد حالياً ــ هي بدورها أجرام قدر لها أن تنفصل عن مركز التجمع المادي

في الشمس في حقب زمنية متلاحقة وبأحجام وكتـلات مختلفـة في كل حالة . وطبيعي أنه كلما كبر الجسم المنفصل عن الكتلة الرئيسية الأم ، كلما كان قادراً على الاحتفاظ بطاقاته الأصلية مدة أطول .

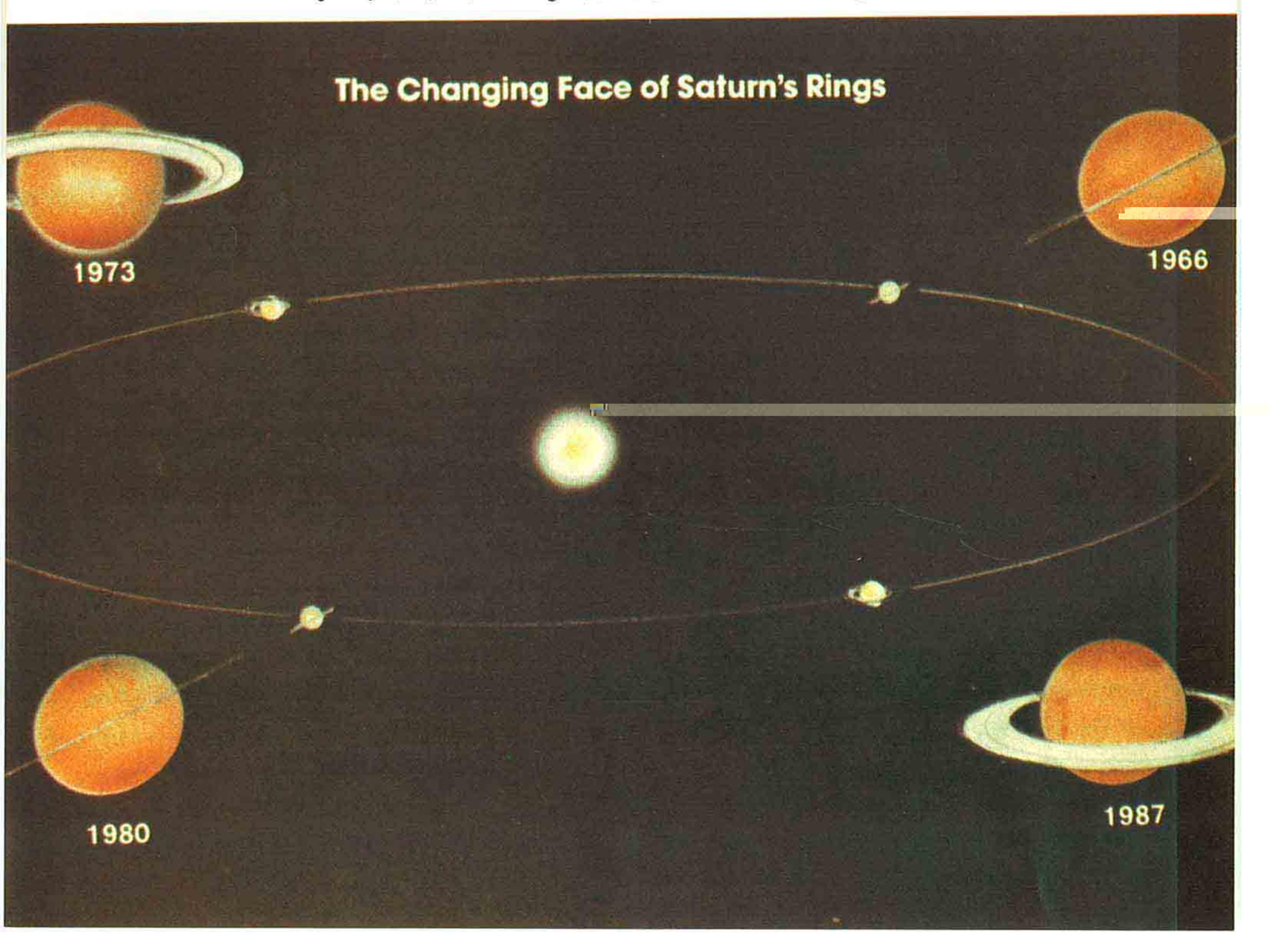
استمرت الأرصاد والدراسات بجميع الوسائل الممكنة للتعرف منها على التفاصيل الدقيقة للظواهر والعلامات السطحية على هـذه الأجرام ، ومتابعة تطورها ونشأتها لما في ذلك من أهمية تعيننا على تفهم أسرار نشأة المجموعة الشمسية . فالبقع والظواهر الشمسية على سطحها وفي جوها دائبة التغير ، والحركة تنبعث منها طاقات عنيفة واشعاعات قوية . أما العلامات والبقع التي ترى بوضوح على سطوح الكواكب فهي أقل نشاطاً وأقل حركة وفاعلية ، ولا تنبعث منها طاقات بنفس العنف والقوة كما ينبعث من الشمس . فقد عرفت علامات خاملة على سطح القمر لم يظهر منها ما يفيد بوجود أي تغيير أو تبديل في شكلها أو منظرها .

وهناك علامات على سطح المريخ ظلت الشغل الشاغل للفلكيين لفترة طويلة من الزمن ، في محاولات للتعرف على دقائق تفاصيلها وتفهمها ، وربط ذلك بالتكهنات العديدة عن وجود نوع من الكائنات الحية فوقه . وصاحب وجود هذه العلامات الخاملة على سطح المريخ وجود تحركات في أجوائه شبهت بمثيلاتها من تحركات الرياح ووجود العواصف على سطح الأرض . ولا غرابة في ذلك فهناك أوجه تقارب كثيرة بين الأرض والمريخ ، من حيث حرارته وحجمه ودورته وجوّه وغير ذلك من الصفات .

الكواكب العملاقة

وبالنسبة للكواكب العملاقة التي تغلفها أجواء كثيفة تصل إلى أعماق كبيرة ، فقد شوهدت على سطح كوكب المشتري أحزمة معتمة اللون في محاذاة خط الاستواء فيه وبالقرب منه ، تتخللها بعض البقع الملونة المختلفة الأحجام لفترات زمنية متفاوتة ، إلا أن هناك **بقعة كبيرة مميزة داكنة الاحمرار** تشغل مساحة بيضاوية كبيرة يبلغ طولها حوالي (٤٨٠٠٠) كم قريبة من منتصفه . وهذه بقعة يتميز بها هذا العملاق ، فقد رصدت تحركاتها منذ زمن بعيد وشوهدت وهي تتجه ببطء حول

★ توضح الصورة كيف تبدو حلقات الكوكب زحل من الأرض في أوضاع مختلفة تبعاً لموضعه في مداره حول الشمس ★



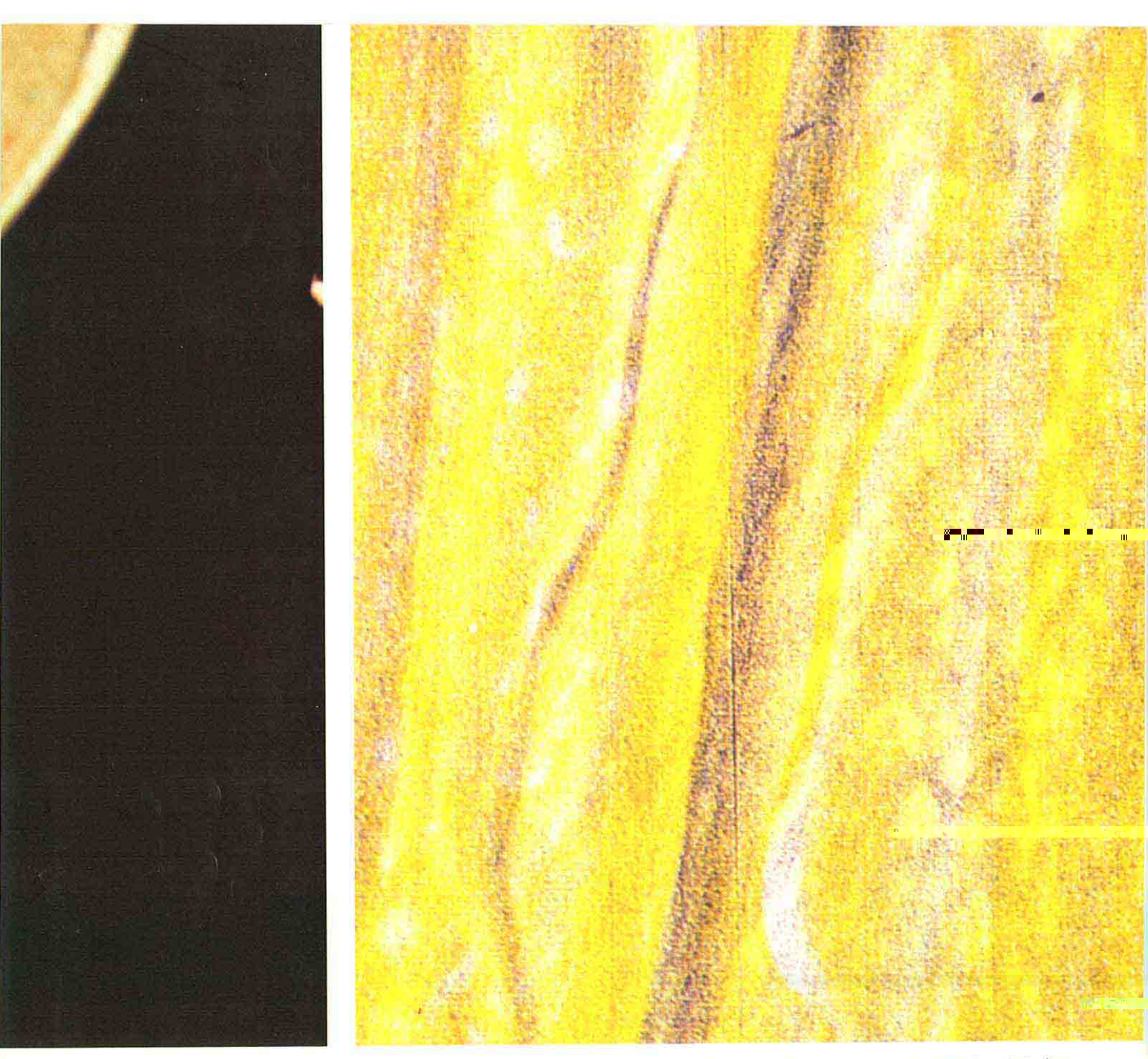


★ جانب من الوجه الأسفل لحلقات زحل ★

الكوكب على مدى الثلاثين عاماً السابقة لعام ١٨٩٠ م، ثم توقفت حركتها كلية، ثم انعكست في الاتجاه المضاد. وهذه ظاهرة غريبة إذا تذكرنا أن هذا الكوكب سريع الحركة حول محوره يتم دورته في أقل من عشر ساعات. وقد فسر الفلكيون هذه البقعة الحمراء الكبيرة بأنها قد تكون جزيرة من الهيدروجين المتجمد تطفو فوق سطحه ولها تحركات بطيئة.

كذلك فإننا نشاهد بعض **البقع الكبيرة البيضاء** التي يميل لونها قليلاً إلى الاصفرار فوق سطح زحل تأخذ في الضمور التدريجي بعد فترة، وليس ببعيد أن نتذكر أنه في عام ١٩٣٣ م، تواجدت بقعة على سطحه، أخذت في الاتساع والانتشار تدريجياً لتشمل مساحة تعادل ثلاثة أخماس مساحة الكوكب، ثم أخذت بعد ذلك في التضاؤل تدريجياً إلى أن اختفت.

ولعلنا في مشاهداتنا هذه للتغيرات التي تحدث فوق سطوح الكواكب البعيدة أو في أجوائها من المراصد الأرضية لا نتمكن من رؤية التفاصيل الدقيقة. فالمسافة شاسعة بين زحل والأرض، تعادل بعد الأرض عن الشمس بمقدار ٩٥ ضعفاً، فإذا تخيلنا وجود إنسان على سطح زحل يتجه بنظره نحو الشمس، فإنه يراها وقد تضاءل قرصها عشر مرات، كما أنه يرى الأرض بجوارها لا يفصلهما عن بعضهما مسافة تزيد عن بضع



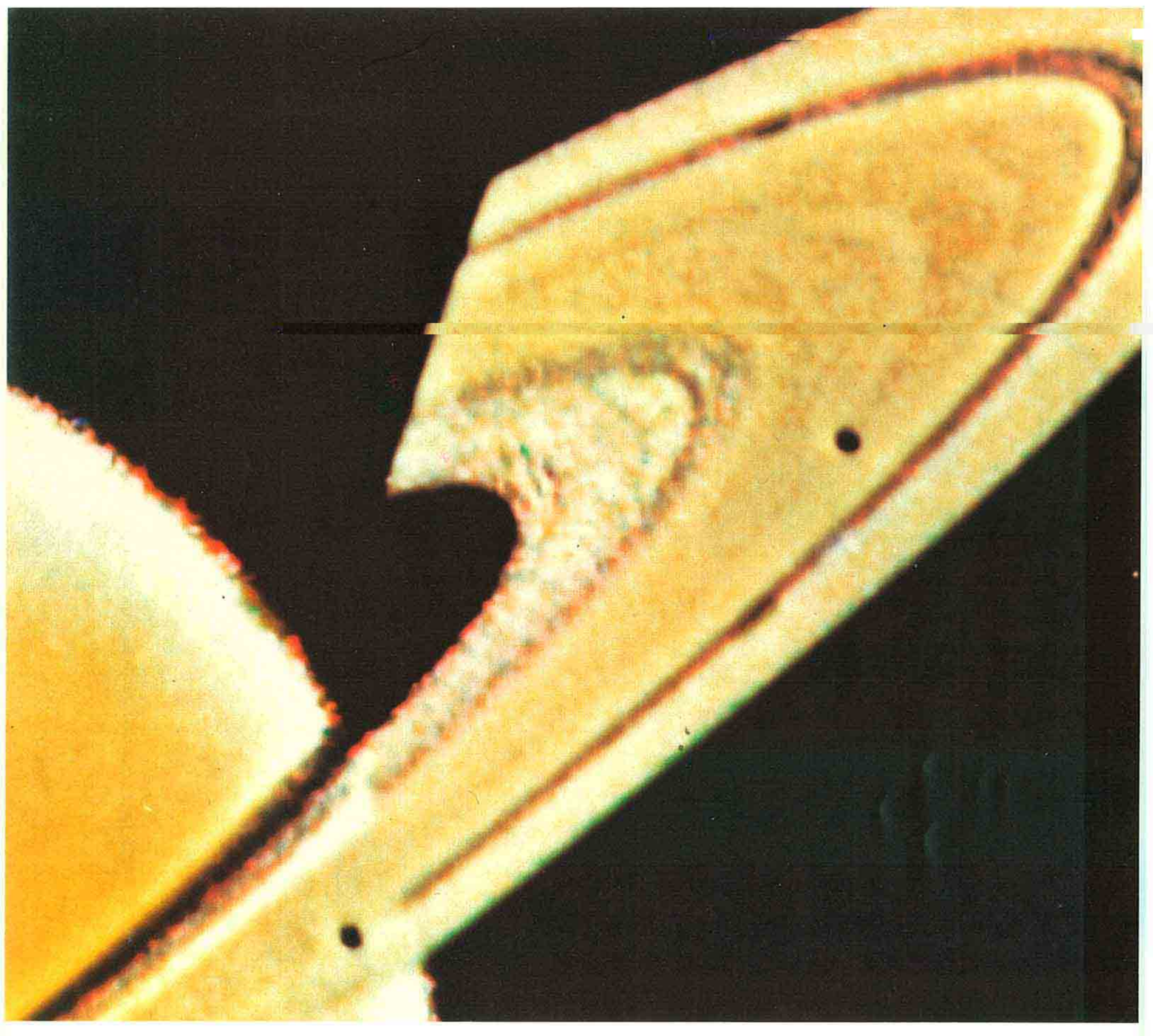
★ في هذه الصورة التي التقطتها (فوياجير ١) وهي على بعد ثلاثة ملايين كم تظهر فيها تيارات السحب وحركتها في محيط الكوكب ★

درجات ، ولما كانت حركته في مداره حول الشمس (التي يتم دورته فيها كل ٢٩,٥ سنة) يسير بحيث يميل مستوى دائرته الاستوائية عن مستوى مداره حول الشمس بمقدار ٤/٣ ٢٦ درجة ، فإن هذا الميل الكبير يسمح له بأن يمر في دورة فصول أربعة شبيهة بالفصول الأرضية مما قد يساعد على ظهور علامات مميزة فوق سطحه . وقد ذكرنا أن المشتري لا يتمتع بتواجد مثل هذه الفصول .

الحلقات المحيطة بزحل

ولنتحدث الآن عن **الحلقات التي تحيط بهذا الكوكب** . إن المتطلع إليها لأول مرة يشعر بالتعجيب والرهبة وتدركه الحيرة في فهم كنهها . فهي أشكال لم تألفها أعيننا ، ولا نرى مثيلاً لها في رحاب الكون الفسيح . كلما أمعن الإنسان التطلع إليها بمنظار كبير تمكن من رؤية حلقات عديدة مميزة ومنفصل بعضها عن الآخر ، كلها تتفاوت في اللمعان ، تتشابه في الشكل ، قدر سمكها نظرياً ، بما لا يزيد عن بضعة أمتار . وقد تمكنت المناظير الأرضية من مشاهدة ست حلقات أو سبع ، يفصل بينها مناطق معتمة مختلفة الاتساع كما قدر سمكها المرئي بحوالي ١٦ كم .

وترى الحلقات في بعض الأحيان مائلة إلى أعلى أو إلى أسفل بحوالي



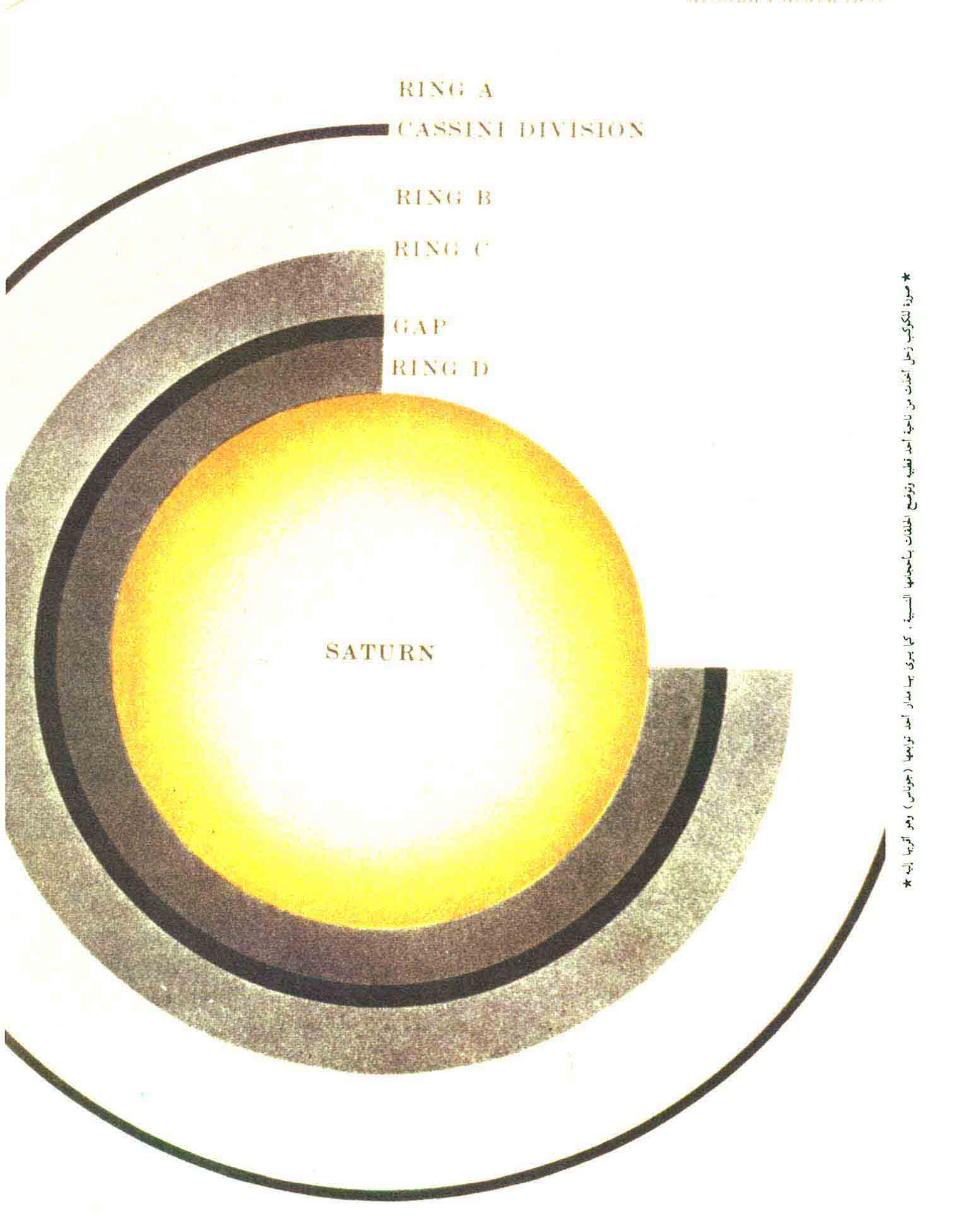
★ حلقات زحل تظهر بوضوح من مسافة ٤٠ مليون كم ★

٢٨ درجة متوقفاً ذلك على درجة ميلها ، وعندما ينعدم ميلها تماماً ويحدث ذلك مرتين كل دورة ترى على شكل خيط رفيع إلى جانبي الكوكب ممتداً إلى مسافة تزيد عن نصف قطره ، وهذا يتوقف على موقع الكوكب في مداره وموقعه بالنسبة للأرض . وفي هذه الحالة يمكن للإنسان أن يدرك مدى صغر سمك الحلقات .

وإذا ما أخذنا **قوانين كبلر** في اعتبارنا فإنه يبدو غريباً أن نتصور كوكباً عملاقاً يدور بسرعة هائلة حول نفسه ، يمكنه أن يحتفظ بمجموعة من الحلقات المتماسكة تدور حوله كالأطواق في شكلها وتكوينها ، دون أن تتفتت أو تنفصم إلى جسيمات صغيرة أو أقمار فردية تدور حوله .

فالمعروف أن الاتزان الديناميكي الضروري للجسيمات التي تدور حول أجسام كبيرة ، يحتم أن تزداد سرعات الجسيمات كلما اقتربت حتى تتعادل قوى الطرد والجذب في كل حالة . ونحن هنا أمام جسم عملاق له قوة جذب هائلة **تطوقه** حلقات على مسافات متباينة من سطحه تبعد بداية الحلقة الأولى عن سطحه (١٢٩٠٠٠) كم ، بينما تبعد نهاية الحلقة الأخيرة عنه (٢١٧٠٠٠) كم .

وقد تمكنت الدراسات الطيفية من قياس سرعات هذه الحلقات مستخدمة **ظاهرة دوبلر** المعروفة ووضح لنا أن الحلقات الداخلية (القريبة من جسم الكوكب) تدور بسرعة كبيرة بينما تقل سرعة الدوران



★ صورة للكوكب زحل أخذت من ناحية أحد قطبيه وتوضح الحلقات بأحجامها النسبية . كما يرى بها مدار أحد توابعها (جوناس) وهو أقربها إليه ★

كلما ابتعدت الحلقات . ويعني ذلك أنها غير مرتبطة ببعضها ، وإنما تتركب من عدد لا حصر له من الحلقات التي تتكون من جسيمات صلبة صغيرة مختلفة الأحجام مغطاة بالثلوج ، ويتفق هذا الزعم مع نظريات كبلر .

وقد تأيدت هذه النتائج عندما تبين من إرصاد النجوم التي تقترب من الكوكب أنها عند استتارها خلف الحلقات تبدو كأنها خلف خمار شفاف لا يحجب ضوءها تماماً ، ولكنها مع ذلك من الكثافة بحيث ترسل ظلالها على سطح الكوكب ، كما يرى ظل الكوكب نفسه واضحاً على الحلقات حسبما تكون اتجاهات الأشعة الشمسية .

وعلى أي حال فإنه من المستبعد أن تظل مكونات الحلقات على حالها وتكوينها دون تغيير ، فالمعتقد أن مادتها تتبدل وتتغير بفعل تسامي التكوينات الثلجية ، واستمرار تعرض الجسيمات لما تجتذبه من مادة سابحة في الفضاء ، وما قد تفقده من مادتها بتأثير الاحتكاك والاصطدام وتغيرات الحرارة والضغط العنيفة فيها .

أقمار زحل

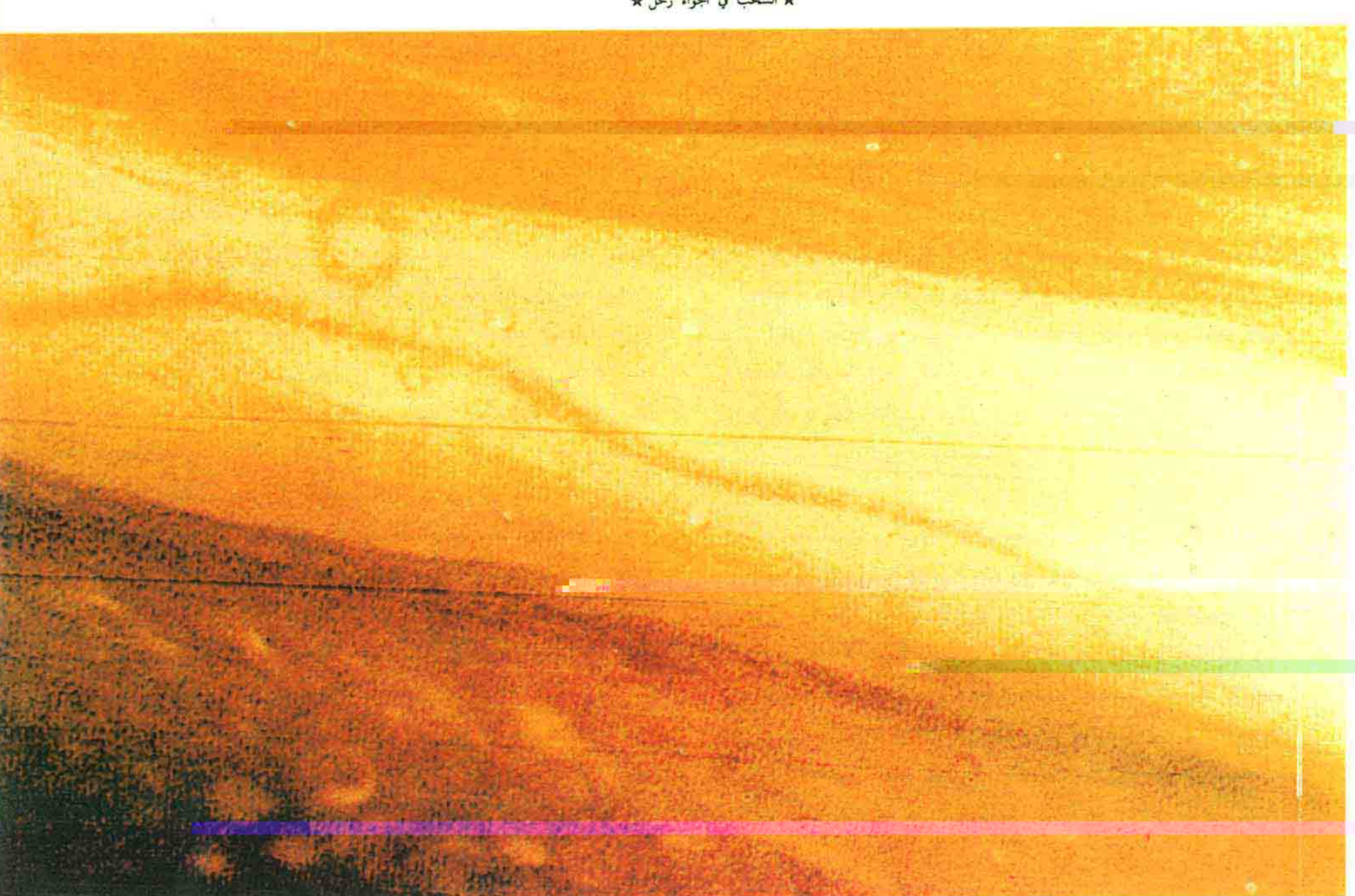
وبالإضافة إلى هذه الحلقات التي تطوق زحل ، فهناك عدد من الأقمار التي تدور حوله اكتشف أولها منذ زمن بعيد (١٦٥٥ م) ، واكتشف عاشرها عام (١٩٦٧ م) ، وزاد عدد ما اكتشف له من الأقمار بالمناظير الأرضية إلى ١٣ قمراً . ولوحظ أن أحد أقماره البعيدة (ويبعد عن زحل ١٢٩٠٠٠ كم) يدور حول الكوكب في اتجاه مضاد لحركة الأقمار الأخرى ، كما عرف أن أكبر أقمار زحل على الإطلاق هو **تيتان** (Titan) وترتيبه السابع في البعد . وهو أكبر من القمر التابع للأرض ، ويعتبر القمر الوحيد الذي عرف أن له جو يحيط به لا يختلف كثيراً عن جو الأرض من حيث احتوائه على الميثان .

وبعد ما قدمنا من المعلومات والتفاصيل الأساسية التي توصلنا إليها عن طريق المناظير المركبة في المراصد الفلكية الأرضية لكوكبي المشتري وزحل ، وما عرفناه من الخصائص التي ينفرد بها الكوكب الأخير عن غيره من الكواكب السيارة ، دعنا نتأمل بعض النتائج التي توصلت إليها سفينة الفضاء فوياجير (١) في رحلتها الأخيرة لدراسة هذا الكوكب عن كثب .

نتائج سفينة الفضاء فوياجير (١)

اقتربت **السفينة الفضائية فوياجير (١)** من الكوكب العملاق زحل إلى بعد لم تسبقها إليه سفينة أخرى من قبل ، ولن تكون هي الأخيرة في أسطورة المحاولات للبحث عن المجهول في الفضاء ، والوقوف على بعض أسراره . اقتربت إلى البعد الذي حدد لها تماماً وهو (١٢٨٠٦٤)كم من جسم الكوكب ، بعد انتهائها من تجوالها حول

★ السحب في أجواء زحل ★



المشتري منذ أكثر من عامين ، ولكنها في وضعها هذا كانت على قرابة (٤١٥٠) كم فقط من سطح أكبر الأقمار التابعة له المسمى تيتان .

ظلت تحوم حول تيتان ، وحول سبعة أقمار أخرى من رفاقه توابع زحل ، واكتشفت أثناء تجوالها قمرين جديدين ليصبح عدد الأقمار التابعة لهذا العملاق (١٥) قمراً . ولعل الحقيقة التي عرفت عن تحركات السفينة في تجوالها حول الكوكب وتوابعه كانت أروع من الوصف وأغرب من الخيال . فقد كانت تجوب تحت الحلقات قرب **القطب الجنوبي** للكوكب ، ثم تتصاعد لتخترق الفاصل بين الحلقتين الخارجيتين لتصل إلى **القطب الشمالي** في حركات سريعة بهلوانية .

وقد مهد الطريق لهذه المرحلة وشجع على تنفيذها على هذا النحو ، ما قامت به **السفينة بايونير (١١)** (Pioneer 11) التي أطلقت عام ١٩٧٣ م ، فقد مرت هذه السفينة بالقرب من زحل ، وتعرفت على مدى إمكان الاقتراب منه ، والمرور عبر المستوى الاستوائي ، الذي هو امتداد للحلقات ، دون أن تتعرض لأخطار الاصطدام بأطرافها ، ودون أن تتعرض لأخطار الاشعاعات الكونية .

تعرفت **فوياجير (١)** على الحلقات المحيطة بزحل عن كثب ، وكان المعتقد في الماضي أنه الوحيد بين الكواكب السيارة الذي ينفرد بوجود حلقات تحيط به ، إلا أنه تبين من بعض الرحلات الفضائية أن كلاً من المشتري وأورانوس يحيط به مادة شفافة على شكل حلقة أو حلقات ، ولكنها أضعف بكثير ، ولا تحتوي على مادة غزيرة كتلك التي تحتوي عليها حلقات زحل ، ولا ينعكس منها ضوء يذكر حتى نتمكن من رؤيتها .

وبينما كنا لا نحصي أكثر من ست أو سبع حلقات مميزة ومنفصلة عن بعضها تحيط بزحل ، فإذا بنا الآن بعد أن وصلت آلات التصوير بالقرب منه ، نتبين تركيبها بتفصيل ووضوح فقد صورت الحلقات من جميع الجهات الممكنة ، من الشمال حيث كانت الشمس تملؤها ضياء ، ومن الجنوب المظلم في ذلك الحين . ولم يقتصر الأمر على أخذ الصور التلفزيونية المختلفة ، بل تعداها إلى استخدام الإشارات الراديوية الموجهة إلى أجزاء كثيرة من الحلقات للتعرف على مدى انعكاسها وخصائصها ، ومن ثم التعرف على أحجام الكتل الصخرية والجليدية المكونة لها ، والوقوف على مدى صلابتها ومحتوياتها . وبلغت دقة التقدير في ذلك بحيث كان من الممكن قياس أحجام مكوناتها التي لا تزيد أطوالها عن المتر الواحد .

وقد أوضحت دراسة الحلقات بصفة عامة أنها تتكون من المئات العديدة من الحلقات الدقيقة التي ربما كانت مدارات منفصلة لأجسام فردية تدور بسرعة بالغة حول الكوكب ، كما أظهرت الصور وجود تكوينات معقدة غير منتظمة الشكل في الأجسام التي تدور في هذه الأفلاك . وكذلك شوهدت بعض **الخطوط القطرية المعتمة** التي تمتد من الكوكب إلى الاتجاه الخارجي عبر الحلقات ، قريبة الشبه بالأسلاك القطرية التي تشد إطار الدراجة العادية . ووجود أي من هذه الخطوط القطرية المنتظمة أو التكوينات الصخرية المعقدة الشكل يدعو إلى التأمل والدهشة ، لأنها ظواهر لا تتمشى مع قوانين الحركة التي تقول بأن تكون سرعة الجسيمات حول الكوكب تقل كلما ابتعدت عن الجسم المركزي . وهذا يحتم أن تكون الخطوط القطرية المعتمة التي ظهرت خطوطاً متعرجة غير مستقيمة ، أو منحنية غير مستقيمة ، طبقاً لسرعات الجسيمات ، على النحو الذي نراه في الأذرع الخارجية للسدم اللامجرية اللولبية .

ومن الغريب كذلك تواجد أحد الأقمار المكتشفة في هذه الرحلة (وهو القمر الرابع عشر) ، على مقربة من الحافة الخارجية للحلقات وفي محاذاتها ، وكذلك وجود قمرين يدوران في مدارين متشابهين تماماً مما يثير التساؤل عن احتمال وقوع اصطدام بينهما ، **فكيف نفسر وجود الحلقات المتراصة المتماثلة والتي تدور بسرعات رهيبة في شبه تماسك وارتباط ، وكيف نفسر معها تحركات بعض هذه الأقمار** ؟

كذلك أظهرت الصور التليفزيونية للقمر **ميماس** وقد تواجدت على سطحه فوهة كبيرة تكاد تغطي ربع مساحة سطحه ، وقد يفسر ذلك نتيجة لاصطدام عنيف تعرض له .

وبمقارنة أوجه الشبه وأوجه التباين بين الكواكب والأقمار العديدة في المجموعة الشمسية فإننا نتعرف في الحقيقة من خلال دراساتنا للموجودات في أرجاء هذا الكون المترامي الأطراف على أجرام في أعمار متباينة وفي فترات مختلفة تعيننا على أن نعرف، شيئاً عن ماضيها ومستقبلها ونصل من ذلك إلى التعرف عن بعض أسرار كوكبنا ونشأته . فلقد تعرفنا على القمر الرئيسي في المجموعة الشمسية كلها وهو تيتان ، وتبين أنه الأكبر والوحيد بين أقمارها الذي يحيط به غلاف جوي يتكون أساساً من الميثان والغازات العادية ، قريبة الشبه بالموجودة في جو الأرض . ورغم ما عرف عن حرارة سطحه المنخفضة (- ٢٠٠°) إلا أن هذا لا يمنع من احتمال تواجد أنواع معينة من الحياة البدائية فوق سطحه . وقد لا نكون مغالين في تشبيه الحالة الموجود عليها الآن بما كانت عليه الحال في جو الأرض قبل (١٠٠٠) مليون سنة عندما بدأت الحياة عليها .

ولم تقتصر السفينة في أعمالها على عمليات التصوير الإلكتروني المستمر وحدها ، ولكنها قامت عن طريق أجهزتها العديدة بقياس الأشعة الكونية في أوضاع مختلفة بين الكواكب ، وتعرفت على شدة **المجال المغناطيسي المحيط بالعملاقين** ، ومكونات الجو المحيط بهما ، كما قامت بتقدير كميات الاشعاعات التي بينها زحل في الأطوال الموجية القصيرة والطويلة وفي الاشعاع الراديوي ، وما يتعرض له هو من تأثير الرياح الشمسية واشعاعاتها .

وبعد أن أنهت فوياجير (١) مهمتها هذه بنجاح منقطع النظير ، وأمدتنا ببيانات ومعلومات جديدة وغزيرة لا ننتهي من دراستها قبل زمن طويل ، انطلقت بسرعة (٨٠,٠٠٠ كم) في الساعة إلى الطرف الآخر من مجموعتنا الشمسية ، وستظل في نشاطها ترسل نبضاتها إلينا لسنين طويلة مقبلة حتى تضعف وتصبح في عداد الأجسام الخاملة السابحة في الفضاء . وإذا قدر لها أن تظل بعيدة عن مؤثرات الجذب الشديد من الأجرام الأخرى ، فقد تبقى على حالها تجمع كل ما يصل إلى مداها من معلومات حولها ، وتبثها بنفس قوتها ، إلى عوالم أخرى غيرنا في الفضاء .

جاكوار ذات القوة الخارقة

مهما بحثت ، لن تجد سيارة أخرى تماثل جاكوار في أدائها.
فجاكوار اكس جي الجديدة من المجموعة ٣ تحقق سرعة ١٠٠كم/ساعة في
أقل من ١٢ ثانية بينما تتجاوز سرعتها القصوى حدود
٢٠٠ كيلومتر بالساعة.

وهي الى جانب ذلك تستجيب استجابة تامة لتحكمك بها في كافة
أحوال القيادة.
بينما يحافظ نظام التعليق المقاوم للهبوط في المقدمة على التوازن المنتظم حتى
اثناء الكبح بالسرعات العالية. ولتأمين المزيد من السلامة والامان
بالسرعات العالية، فان منصة قاعدة الهيكل الصلبة توفّر مركز ثقل
منخفض، وهذا يعني بالحقيقة قدراً اكبر من الثبات
والاستقرار على الطريق.

ان سيارة جاكوار اكس جي الجديدة من المجموعة ٣ تعكس دون شك،
التقاليد العريقة لسيارات جاكوار الاصيلة.

اكتشف القوة الكامنة في سيارة جاكوار لدى وكيل جاكوار
المعتمد في منطقتك.



أبو ظبي: الشركة المتحدة للسيارات والتجارة
البحرين: محمّد جلال وأولاده

الكويت: شركة السيارات الكويتية للتجارة ذ. م. م
المملكة العربية السعودية: شركة العليان للمقاولات العامة
دبي: عبد الرحمن الزياني وأولاده

سلطنة عمان: محسن حيدر درويش
قطر : شركة الدوحة للسيارات والتجارة

لوحة • فنان

جلسة وقت الضحى

• يصور الفنان شخصاً جالساً يرتدي الزي المميز لبيئته، وهو في وقت الضحى، بأسلوب ينتمي إلى **المدرسة التكعيبية**، مستخدماً هذا الأسلوب لأنه يرفض أساساً محاكاة الطبيعة، أو تمثيل الواقع المرئي، فهو يحلل الطبيعة والواقع، ويضيف إليها.

• اعتمد في أسلوبه المستخدم في تصوير اللوحة على **الأسس الأكاديمية للتكوين**، فالتكوين عنده يقوم على أساس **التصميم الهرمي**، لذا خرج التكوين راسخاً من الناحية البنائية، ونستطيع أن نرى تلك الهرمية من خلال الشخص الجالس، والخطوط القوية في الخلفية.

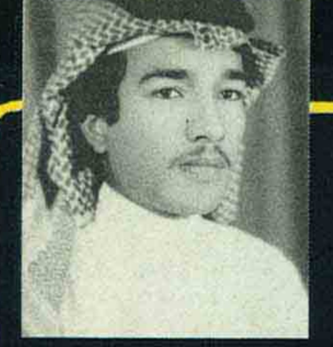
• تنتمي اللوحة إلى **التكعيبية التحليلية**، فهو يحلل الأشكال إلى عناصرها الهندسية الأولى، مع المحافظة على الخطوط الخارجية للأشكال ليبرز الموضوع الأساسي في اللوحة.

• يحيل الخلفية إلى مساحات، وخطوط، تتقابل وتتداخل مع خطوط ومساحات الشخص الجالس ليحقق النسيج العضوي في اللوحة، ولإيجاد توازن خطي بين الشكل الرئيسي في اللوحة «الشخص» والخلفية، وأيضاً اتزان لوني، بالإضافة إلى تحقيق الهارمونية في اللوحة والخط.

• اللوحة نسيج مترابط من الخطوط والمساحات، أي أن الفنان أحال اللوحة من مجال الثلاثة أبعاد إلى مجال البعدين.

• يغلب على اللوحة **الألوان الباردة** الهادئة، وكأن بينها حواراً.. واستخدم الفنان تلك الألوان ليعطينا الإحساس بالزمن المحدد في اللوحة، فهو يصور الجلسة وقت الضحى.

• لم يهتم الفنان برسم التفاصيل، وبذلك نجح في تخليص أشكاله من الانفعالات، ونزعها من الجانب الروائي، لكي تقتصر على العملية التشكيلية، وهو الخط الأساسي في المدرسة التكعيبية.



• عبدالرحمن ابراهيم السليمان •

• من مواليد الأحساء عام ١٣٧٤هـ، بالمملكة العربية السعودية.

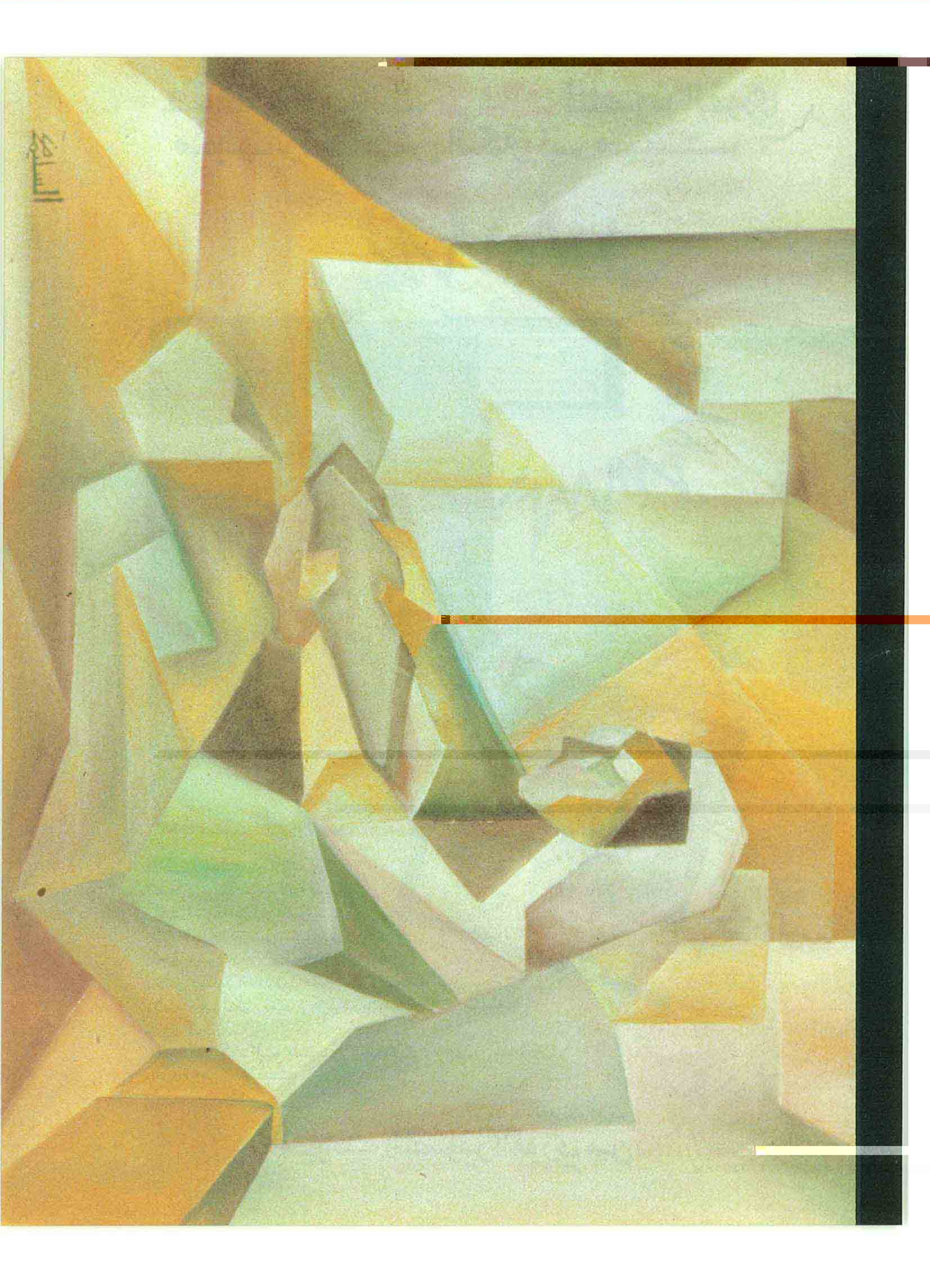
• يعمل بوظيفة مدرس للتربية الفنية بالدمام.

• مقرر لجنة الفنون التشكيلية بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (فرع الدمام).

• شارك في جميع المعارض والمسابقات الفنية التي أقامها مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالمنطقة الشرقية، وبعض المعارض التي أقيمت بالرياض.

• كما أنه شارك في جميع معارض ومسابقات الفنون التشكيلية لجمعية الثقافة والفنون بالدمام والرياض.

• حصل على العديد من الجوائز، والشهادات التقديرية في المعارض التي اشترك بها في المنطقة الشرقية، والمعارض المركزية بالرياض.



فقط ، كاميرات كوداك للتصوير الفوري مجهزة بفلاش الكتروني مُبيّت .

ELECTRONIC FLASH

LIGHTEN

DARKEN

COLORBURST 250

A KODAK INSTANT CAMERA

MADE IN USA

الآن أصبح بإمكانك أن تضفي جواً مرحاً بكاميرا **كوداك** للتصوير الفوري.

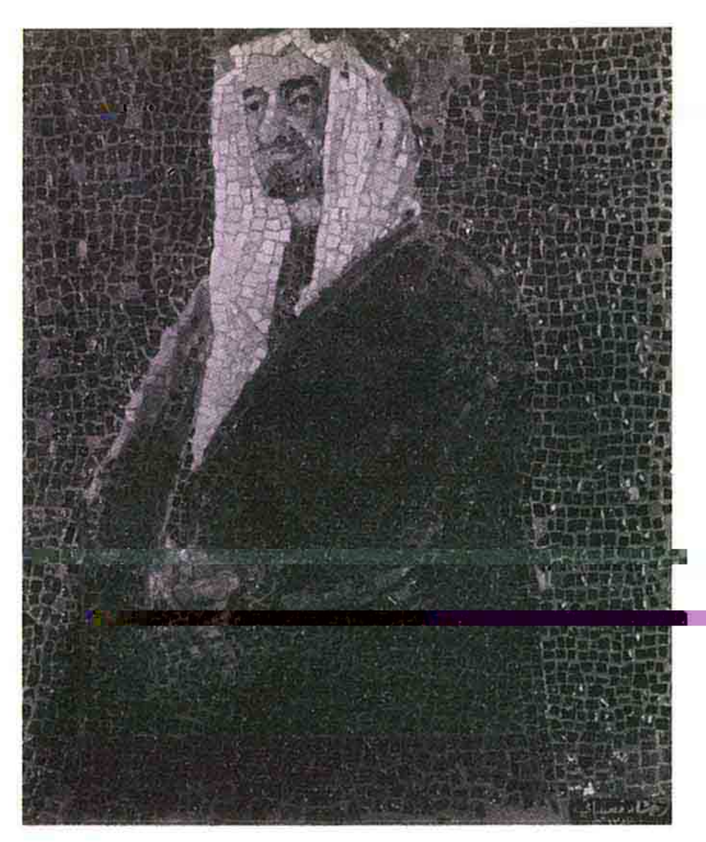
إنها كاميرا للتصوير الفوري، الوحيدة المجهّزة بفلاش الكتروني مُبيّت.

بكل بساطة، إلتقط صورة في غمضة عين وشاهدها تظهر أمام عينيك بألوان زاهية ساطعة من **كوداك** .

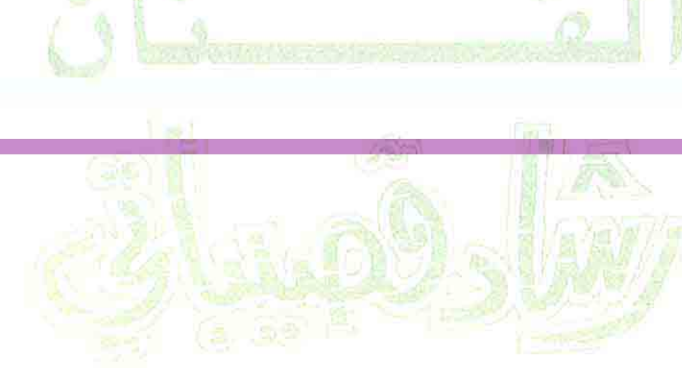
كاميرات **كوداك** للتصوير الفوري ، مجهّزة بفلاش الكتروني مُبيّت .



كاميرات التصوير الفوري من كوداك.



★ صورة جلالة الملك فيصل من الفسيفساء بقياس ٦٠×٤٥ سم لدى قصر التشريفات بالرياض نفذت عام ١٩٦٨م ★



ألوان جميلة من الفن الواقعي

بقلم : محمد قرانيا

ليس الفن تقليداً للطبيعة ، أو نقلاً لمظاهرها ، أو تعبيراً عن حقائقها فحسب ، وإنما هو تمثيل مجسّم لصفة هامة من صفاتها ، وفكرة خاصة لظاهرة من ظواهرها تلك التي كان للفن الدور الأكبر في اكتشافها ، وكان للفنان الفضل البارز في اتخاذها وسيلة تربط الحقائق والطبيعة ، بالمشاعر والأفكار ، وتجعل منها مُثُلاً عليا للجمال .

والفنون بصورة عامة ، تتسم بالذوق الجميل ، وهي لهذا السبب ، نشاط في تثقيف الجماهير وفي ربطها بصلة واحدة تتفق في الإعجاب كما تتفق في الشعور ، وفي ذلك فضل اجتماعي مرجعه إلى الفنون الجميلة ، فضلُ تربية الذوق وتوحيد الشعور بالإعجاب .

ولكل فنان متمكن من فنه ، شخصية ذاتية مستقلة تظهر في مجموعة أعماله ، يعبر فيها عن الحياة بأسمى معانيها ، وتبرز من خلالها لمساته الإنسانية التي تنم عن تطلعاته الاجتماعية ورؤاه في مستقبل رغيد ، وحياة جميلة .

في لوحات الفنان رشاد قصيباتي ، نقف وجهاً لوجه أمام الواقع . ولكن أي واقع يقصد الفنان؟ إنه الواقع الذي يضفي عليه ذوقه وفنه بضروب من الألوان المتواشجة ، والخطوط المتآلفة ، فيبدو ، جميلاً ، يدل على تكوين رائع ، يتحرك من عالم الموجودات الصامتة باتجاه الحياة الغنية المتدفقة ، عطاءً وحيوية .

بين الأعمال الفنية الكثيرة التي أبدعتها ريشة الفنان في شتى أنحاء العالم ، **من روما وفينيسيا إلى دمشق والرياض والكونغو كنشاسا** ، نجد صوراً متعددة تقترب من الحياة اليومية التي نكاد نعايشها في معظم لحظات حياتنا . استطاع بنظرته الجمالية أن يجعلها تشع ألقاً ، ولكنْ بإيحاءات ومعطيات إبداعية جديدة آسرة .

في الطبيعة الصامتة ، تتحول اللوحة إلى مهرجان حي ، حيث تمور الألوان بالحركة ، بينما تقف خلفية اللوحة لتكبح صراخ الألوان الزاهية ، لتتآلف في موكب فني رائع .

وفي لوحات دمشق القديمة ، تنطق **المآذن** المرتفعة في عنان السماء لتظلل قباب المساجد الوادعة ، وتحتضنها في لوحات أمومية رائعة ، تضم في جنباتها المُصلّين بأرديتهم المهيبة وعمائمهم البيضاء الناصعة ، رمز الصلاح والسلام . ثم يعرج الفنان في لوحاته التي ينتزعها من **البيئة الشرقية** المحافظة على شوارعها الضيقة وأزقتها التي يفوح منها عبق

التاريخ والمجد على أنغام من الحب والحضارة ، نلمح في أبعادها نكهة حميمة من نشوة القديم وأصالته الفنية العريقة .

في مرسمه القابع في دارته الجميلة ، في شارع الأمير شكيب أرسلان ــ أحد أحياء دمشق الغربية الحديثة ــ يرى الإنسان نفسه وسط عالم كامل من الجمال ، والبحث ، والذكريات . مسجلة في عدد من اللوحات المعروضة ، والمستندة إلى الجدران ، توحي بحياة خصبة من العمل الجاد المتقن .

أعماله الفنية

سألت الفنان :

ــ كيف تتعامل مع عملك الفني ؟

● العمل يجب أن يكون معبراً عن الحياة ، وما تثيره من انفعالات ، تتكوّن نتيجة الخبرة والمعاناة والتجارب ، **وأنا كفنان واقعي ، أحاول أن أرسم لوحاتي عبر علاقات خاصة من الخطوط والألوان والمساحات والأشكال** ، ضمن إطار جمالي ، يعكس القيمة الكامنة وراء مظاهر الأشياء . ولذلك فإني **أرسم لوحاتي للتاريخ** ، للفن ، للجيل الجديد الصاعد ، عساه يتذوق الفن التشكيلي في مستقبله القريب ، أسوة بالأجيال الصاعدة في العالم . . . **أسعى في لوحاتي أن أثبت المعالم القديمة التي تسير في طريق الزوال** ، إما عمداً ، وإما جهلاً بقيمها التاريخية ، وأصالتها التراثية .

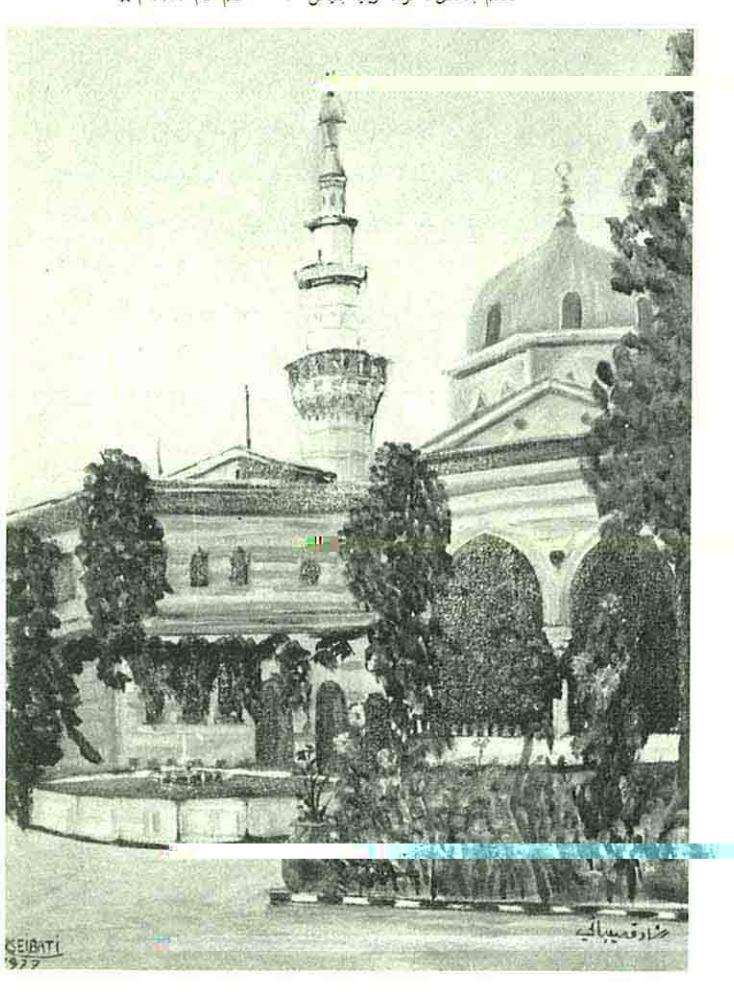
[illegible]

شدة حرص هذه الشعوب في حفاظها على كل ما هو قديم . . . المحافظة



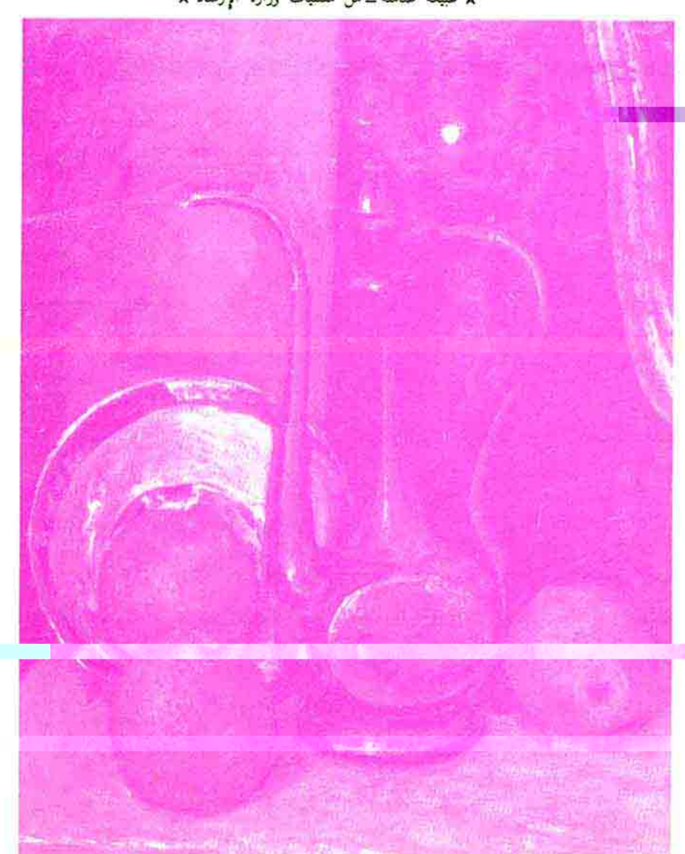
★ صورة القناة الكبرى بالبندقية ١٩٧٣ م ★

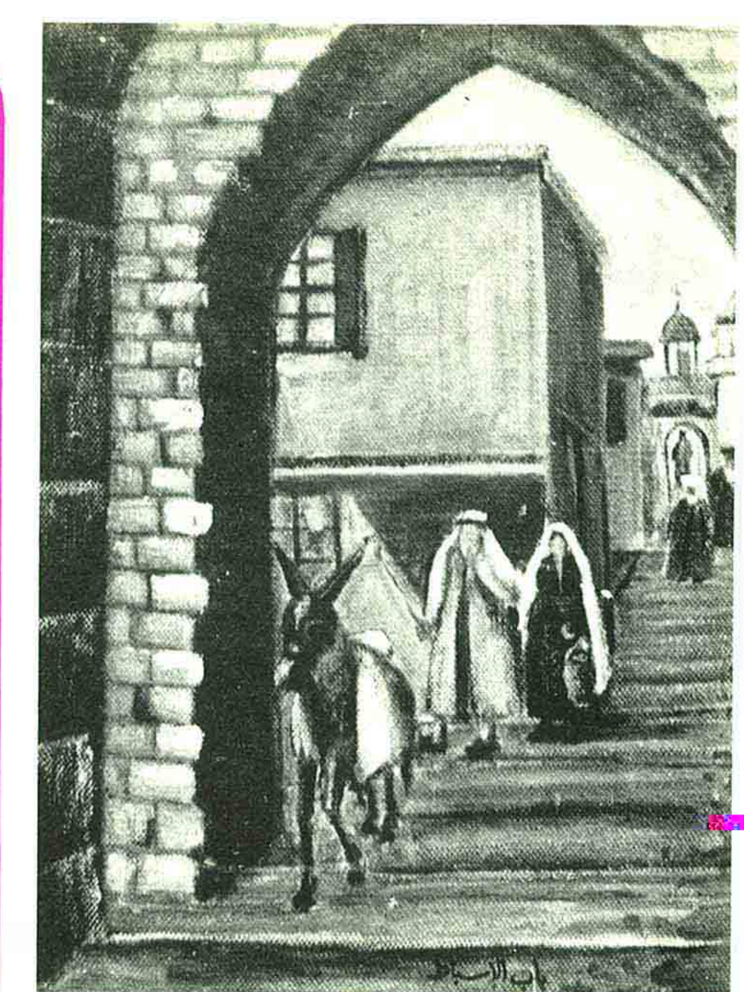
★ منظر طبيعي لمآذن وقبة الجامع الأموي من داخل متحف قصر العظم بدمشق . لوحة زيتية بقياس ٦٠×٧٥ سم عام ١٩٧٧ م ★





★ طبيعة صامتة ــ من مقتنيات وزارة الإرشاد ★





★ منظر بالقدس عام ١٩٥٠ م ★

على الطابع القديم من الخارج ، بينما لا تجرى التعديلات إلا من الداخل فقط . حيث تتغير النوافذ الخشبية بالألمنيوم والزجاج الواسع — في البناء القديم — لإدخال النور والشمس للداخل ، ويعاد طلي الجدران بألوان مناسبة وحديثة ، بالإضافة إلى مكيفات الهواء والتدفئة .

أذكر — بالمناسبة — أن **محافظة مدينة باريس** عندما قررت تنظيف جدران الأبنية ، والقصور القديمة المقامة في أغلب شوارع باريس ، وقد جرى تنظيفها بالفعل ، بالطرق الحديثة ، فثارت المدينة بأجمعها ، واحتج الشعب قاطبة ، آسفاً ، لزوال اللون القديم . . . فما بالنا ونحن نزيل هنا كل ما هو قديم ؟! .

يقول أحد النقاد التشكيليين العرب :

« إن ميدان رشاد قصيباتي في إنتاجه هو الصور الوجهية ، والمناظر ، والطبيعة الصامتة فقط . واللوحة عنده ليست سوطاً يجلد العين ، وإنما هي مستقر تقف عنده وتتعلم ، وتقنية لا تقبل التجريب ، وتمسح السطوح بطبقات رقيقة من الألوان المزدوجة التي أتعبها المصور في حاملته قبل الاستقرار في لوحته .

إنها (رشاد) تزيين هادئ من [illegible] لا يرضخ للأهواء والنزوات ويحرص على اتقان صنعته ، ويسقط من حسابه الطغيان على الأشكال وإخضاعها إلى نمطية معينة » .



الفنان رشاد قصيباتي

★ ولد في دمشق عام ١٩١١ م .

★ اشترك في معرض التجهيز بدمشق عام ١٩٣٥ م ، مع مجموعة من الفنانين .

★ نال دبلوم عام ١٩٤٤ م ، من فينيسيا في فن التصوير والزخرفة .

★ درس التصوير والفسيفساء في فلورنسا والبندقية بإيطاليا .

★ مارس تدريس التربية الفنية في دمشق والرياض والكونغو كنشاسا .

★ نال الجائزة الأولى عام ١٩٥٠ م ، في معرض الفنون الجميلة بالمتحف الوطني بدمشق .

★ نال الجائزة الثانية عام ١٩٥١ م ، في معرض الفنون الجميلة بدمشق .

★ اختص في فن الفسيفساء والفريسك في إيطاليا .

★ عضو نقابة الفنون الجميلة في سورية .

★ عضو اتحاد الفنانين التشكيليين العرب .

★ عضو المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون .

★ عضو مؤسس في جمعية محبي الفنون الجميلة .

★ عضو مؤسس في الجمعية السورية للفنون .

★ عضو مؤسس في رابطة الفنانين السوريين للرسم والنحت .

★ ساهم في معظم المعارض السورية داخل القطر وخارجه .

★ أقام عدة نشاطات فنية في أوروبا وفي إيطاليا بصورة عامة .

★ أحيل على التقاعد وتفرغ لعمله الفني .

صلته بالفنانين

عدت لأسأل الفنان عن ذكرياته الفنية مع أساطين الفن المعاصر ، فأجاب :

● درستُ في روما وفلورنسا وفينيسيا ورافينا بإيطاليا ، الزخرفة والفسيفساء ، وأتقنت بعض أصول هذا الفن على يد البروفسور (F. Ferrazi) أستاذ الزخرفة والافريسك في روما ، والبروفسور



★ طبيعة صامتة لوحة زيتية بقياس ٥٠×٦٠ سم من مقتنيات وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٧٨م★

(Bartoli) أستاذ التصوير في روما ، والبروفسور (G. Cadorin) أستاذ التصوير في فينيسيا ، وقد **أحرزت دبلوم الزخرفة** عام ١٩٤٠م ، من فلورنسا ، **ودبلوم التصوير من فينيسيا** عام ١٩٤٤م ، وقد أتقنت **الفسيفساء** على يد البروفسور (Signiorini) عام ١٩٣٩م ، في رافينا وعدد آخر من عمالقة الفن الحديث ممن تواجدوا في إيطاليا ، حاضرة الفن في العالم .

اهتمامه بالطبيعة

ـ في لوحاتك ، تكاد الطبيعة تطغى على بقية الأشياء . ما سر اهتمامك الزائد بها ؟

● أعترف أن ميولي في رسم الطبيعة الصامتة تكاد تأسرني ، فأنا أركن إلى أجوائها الندية ، وأحدق بنهم في كل زواياها الجمالية ، ـ ولنقدر ما فيها من عظمة الخالق ـ جل شأنه ـ بألوانها وأنواعها ، وكلها من تربة واحدة ـ فمن أحرى من الفنان التشكيلي بتذوق هذا الإبداع وعظمة الخالق سبحانه وتعالى ؟ ! وأنا لا أجد بدأ من تثبيتها بألوانها ، قبل زوالها ، وهي تنصاع لرغباتي في وضعها وتنسيقها ، مهما طال بها الأمد ، دون أن تزعجني بحركاتها ، أو تغيير موضوعها .

أذكر أني اجتمعت بفنان أصيل وكبير بإيطاليا ، له لوحات عديدة بمتاحفها . رجوته في زيارة مرسمه ، ثم حصلت الزيارة ، وأحببت أن يطلعني على آخر لوحة يقوم برسمها ، فأرشدني إلى موضوع كان في نظري منتهياً تماماً ، وإذ به يقول بالحرف الواحد مشيراً إلى موضوع يتألف من مجموعة برتقالات ، وخلفها صحن قاشاني قديم ، وخلفية مناسبة ، قال : « إني أدرس هذه الطبيعة الصامتة » .

وأنا بدوري عندما أرسم طبيعة صامتة ، أسعى جاهداً لتثبيت الأواني النحاسية والزجاجية والخزفية ، الزائلة . مضافاً إليها ما يتمم تكوين الموضوع بشكل فني متكامل ، بحيث يتمتع بها الناظر ، عندما تتوفر لديه الشروط الفنية التي لا يعلمها إلا الفنان ، وفي الوقت نفسه يتذوقها الناظر بارتياح نفسي .

بين التقليد .. والحداثة

ـ يكاد اللون ، والصورة ، ينطلقان دائماً في اتجاه واحد ، دون أن يدعا مجالا للمذاهب الفنية الأخرى للتغلغل في ثنايا أعمالك ، أو بعبارة أوضح ، لقد حافظت ـ منذ بداياتك ـ على السير في دروب الواقعية الفنية مع تطور ملموس في التقنية . ترى لماذا لم تنهج نهج الحداثة ؟

● من جهة الألوان المميزة التي لاحظها أكثر النقاد والجمهور ، وسرُّ تكرارها ، في معظم لوحاتي المعروضة في مختلف المناسبات ، فإني أعلن : « كما أن المطرب الكبير له لحنٌ خاص يتميز به دون سواه ، يعرفه المستمع من خلاله ، بمجرد إصغائه لأول فقرة من عزف اللحن ، أو أول جملة من الأغنية . . . وكما أن لكل فنان من فناني العصور الماضية ، طابعه الخاص المميز بألوانه أو موضوعاته ، دون ذكر كبار الفنانين حتى لا يُظن أني أضع نفسي في مجال المقارنة معهم فإنني أتساءل :

ـ لماذا لا يحق للفنان التشكيلي ، ما يحق للمطرب نفسه ، في الوقت الذي يذهب فيه اللحن عبر الأثير ، بينما تبقى اللوحة صامدة في المتاحف مدى الدهر ؟ ؟ ! .

أما لماذا لا أنهج النهج الحديث ، فيمكنني أن أقول ـ على سبيل المثال ـ إنني قد حضرت معرض (**البينالي**) الذي يُقام دورياً في كل سنتين بمدينة البندقية بإيطاليا ، وهو معرض عالمي . وفي تلك الأثناء كان يُقام معرض شخصي لأحد كبار الفنانين الإيطاليين ، وهو صاحب **المدرسة السريالية** المعروفة (**جيورجيو دي كيريكو**) سارعتُ لزيارة معرضه في إحدى صالات العرض بالبندقية ، بصحبة نخبة من الفنانين الإيطاليين الشباب ، وعندما شاهدنا المعرض المذكور ، دُهشنا جميعاً ، لما شاهدناه من انقلاب في طريقته المعروفة ، ومدرسته التي أسسها ووضع ملامحها ، لقد كانت جميع اللوحات المعروضة ، وعددها يتجاوز الأربعين ، لا تمت إلى السريالية بأي صلة ، بل كانت جميع المعروضات تخضع للمدرسة الواقعية . اتجهنا نحوه متسائلين : ما سرُّ تبدل الفنان الكبير عن مذهب هو واضعه ؟ ! وقد ازدادت دهشتنا عندما سمعناه يقول بالحرف الواحد :

« علينا أن نعود إلى الواقعية بروح فنية مبتكرة ، وألوان جديدة » .

من هنا ينبع اهتمامي باللون الواقعي ، للتعبير عن أصالة الإنسان وسعيه الجاد في سبيل تحسين الطبيعة ، وتجميل الحياة . إضافة إلى أن مجموعة من القيم السامية يمكن أن يصورها الفنان من خلال اللوحة دون الضياع في متاهات الرموز المبهمة والتشكيلات الغامضة .

إن عالم البحار عالم غريب حقاً بما يحتويه من كائنات حية متنوعة الأشكال والأحجام والألوان ، وقد حفزت هذه الغرابة العلماء والباحثين منذ القدم على البحث والتنقيب عن هذه الكائنات للتعرف عليها وتصنيفها ، ومعرفة سلوكها ، وتوزيعها الجغرافي ، وطرق تغذيتها وتناسلها ... إلخ . ومع هذا لا تزال البحار تحتوي على أعداد هائلة من الكائنات التي لم يتمكن العلماء والباحثون بعد من دراستها ، أو حتى التعرف عليها ، وذلك يعود إلى أعماق تلك البحار الموغلة في العمق ، وكميات مياهها الهائلة التي يصعب على الإنسان اختراقها بله استكشاف محتوياتها ، كما أن بعض الكائنات الحية وضعت العلماء في حيرة من أمرهم بما تحمله من صفات وأشكال بالغة التعقيد والتنوع ، مما نتج عنه عدم التمكن من وضعها في مكانها الصحيح بين المجموعات التصنيفية المختلفة سواء كانت مجموعات حيوانية أو نباتية .

العناكب البحرية

بقلم : د. عبدالرحمن سعود الهواوي

ماهية عناكب البحر

وفي هذا المقال سنلقي نظرة على أحد هذه المخلوقات ألا وهو ما يطلق عليه العلماء والباحثون حالياً **عناكب البحر** Sea Spiders (Pycnogonids) (**شكل ١**) .

وعناكب البحر كائنات حيوانية من المفصليات البحرية ، وقد أعطيت هذا الاسم « عناكب البحر » لأن مظهرها الخارجي فقط قريب الشبه بالعناكب الحقيقية . وقد حيرت هذه الحيوانات الدارسين والباحثين من حيث علاقتها ببعض المجموعات الحيوانية الأخرى ، وهذا ناتج عن عدم وجود تاريخ حفري حقيقي لها ، ولذا فإن ربطها بأي مجموعة حيوانية أخرى ما هو إلا اجتهاد يعتمد على الحدس والتخمين ، وإن كانت **صفاتها تظهر أنها أقرب إلى القشريات منها إلى أي مفصليات أخرى ، وسبب هذا الاعتقاد أن ثمة تشابهاً كبيراً بين يرقتها ويرقة القشريات ، كما أن ثمة تشابهاً آخر بينها وبين بعض القشريات من ناحية التحول** Metamorphosis **(تحول البيضة إلى يرقة) ، وكذلك لوجود أنواع خنثى في كلا المجموعتين .**

والاعتقاد الآخر هو أن صلة عناكب البحر بالعناكب الحقيقية أوثق من صلتها بالمفصليات الأخرى ، ففي كل من المجموعتين يمتد المعي إلى قاعدة الأطراف ، كما أن ثمة أنواعاً في كل مجموعة تشبه أنواعاً في المجموعة الأخرى من حيث التكوين الجنيني ، يُضاف إلى ذلك تشابه المجموعتين في

(١)

★ شكل (١) رسم تخطيطي لعنكبوت بحري يوضح أجزاء جسمه المختلفة ، وقد أزيلت جميع الأرجل ما عدا واحدة وذلك للتوضيح ★

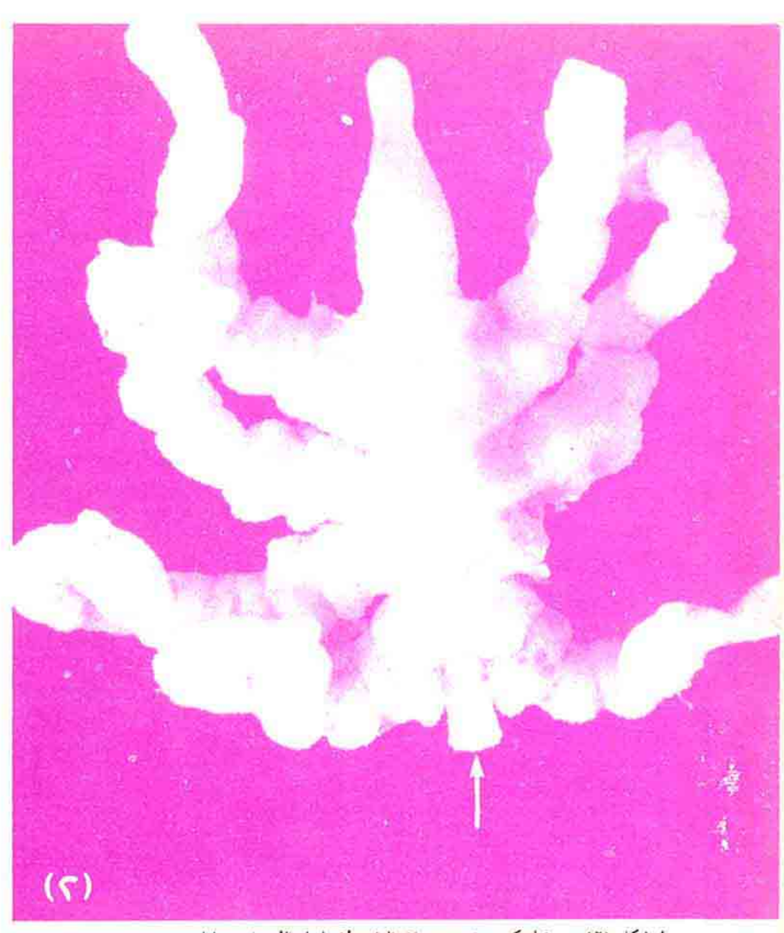
بساطة العيون .

وهناك وجهة نظر ثالثة هي أن العناكب البحرية في الحقيقة طائفة أو تحت شعبية مستقلة ، وترجع هذه النظرة إلى أن العناكب البحرية نتجت عن انفصال مبكر عن المفصليات الأخرى مما نتج عنه وجود بعض الصفات المختلفة عنها . وفيما يلي وصف عام لعناكب البحر .

الشكل الخارجي والحجم

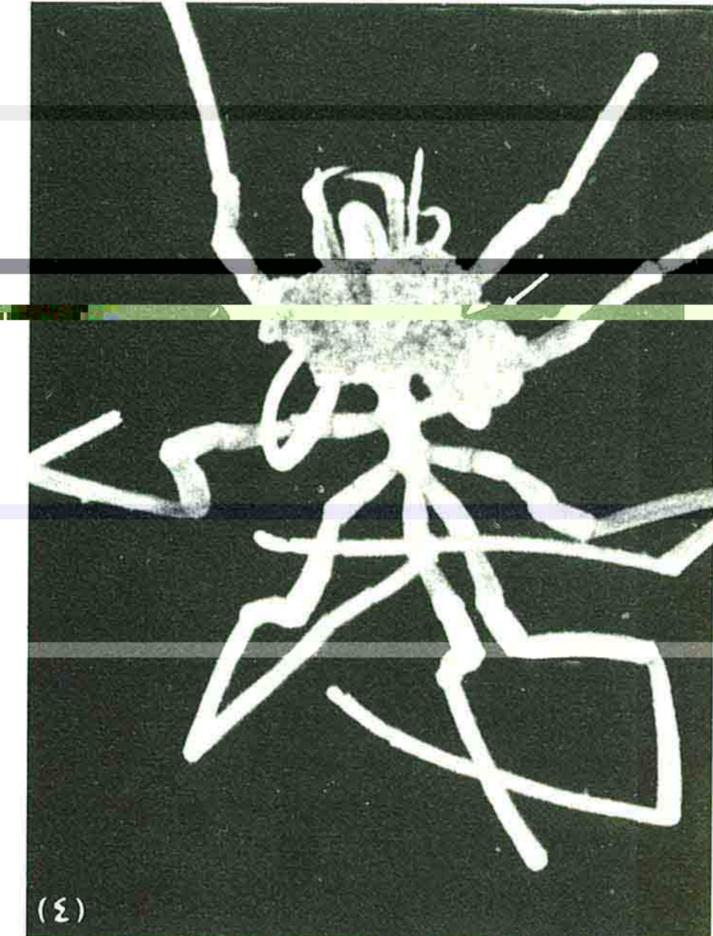
معظم العناكب البحرية كائنات **صغيرة الحجم** ، ولو أن قليلاً من أنواعها يصل **طول أرجلها** إلى نحو خمسين سنتيمتراً . وأجسام عناكب البحر مختزلة اختزالا واضحاً حيث تم اندماج الرأس مع الصدر لتكون ما يسمى **بالرأس الصدري** (Prosoma) ، أما **البطن** فهو عبارة عن بروز صغير جداً ذي عقلة واحدة تقع فتحة الشرج في قمتها (**شكل ٢**) . وتقع فتحة الفم في نهاية تركيب غريب لا يوجد في المفصليات الأخرى وهو ما يمكن تسميته (بالبوز) Proboscis . ويختلف حجم هذا التركيب من نوع لآخر ، ففي بعض الأنواع يكون طوله نصف طول جسم الحيوان (**شكل ٣**) .

يلتصق بالرأس الصدري عدد من الأرجل ، ثمان في الغالب ولكن في قلة من الأنواع قد تكون عشراً أو حتى اثنتي عشرة رجلاً . وتتكون كل

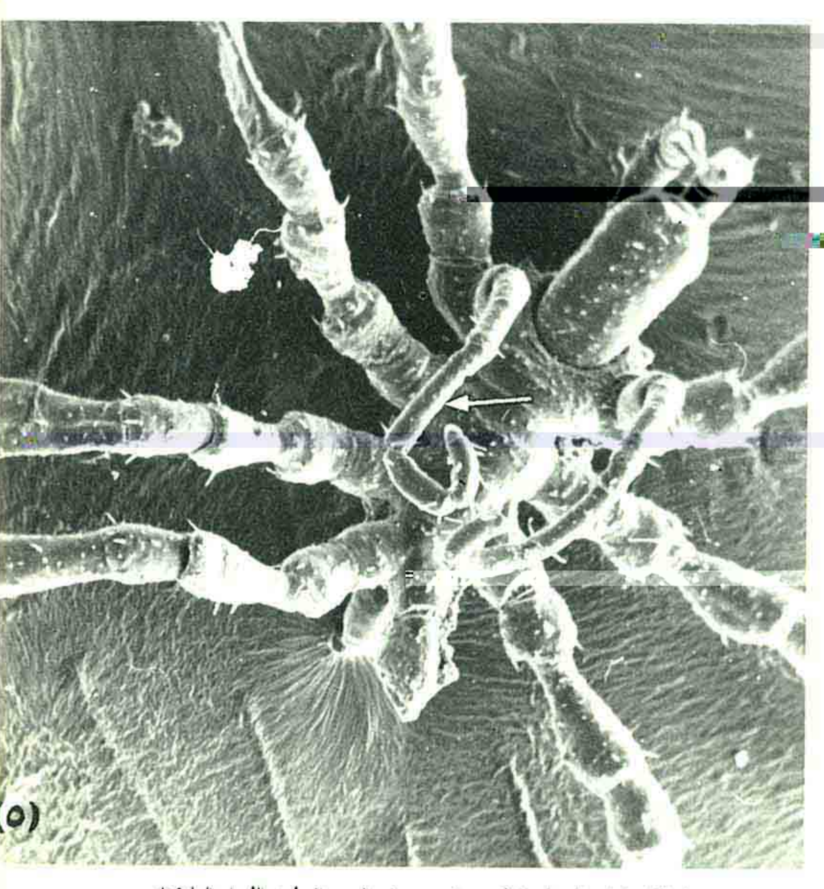


★ شكل (٢) صورة لعنكبوت بحري ، ويلاحظ فيه أن طول الأرجل بطول الجسم تقريباً ، ويشير السهم إلى العقلة البطنية ★

★ شكل (٣) منظر أمامي لعنكبوت بحري ويلاحظ فيه أن طول (البوز) يساوي حوالي نصف طول الجسم ★



★ شكل (٤) منظر بطني لعنكبوت بحري، وهو يحمل كتلاً من البيض والبرقات (السهم)، ويلاحظ في هذا الحيوان أن طول الأرجل أطول بكثير من طول الجسم ★



★ شكل (٥) منظر بطني لعنكبوت بحري، ويشير السهم إلى أحد الأرجل البطنية ★

رجل من ثمان عقل، وطولها يختلف من نوع لآخر، ففي بعض الأنواع تكون بطول الجسم تقريباً (**شكل ٤**)، وفي أنواع أخرى تبلغ ضعف طول الجسم ست مرات أو سبعاً (**شكل ٥**). وتتمفصل الأرجل على بروزات جانبية من العقل الصدرية.

وبالإضافة للأرجل هنالك عادة زوائد أخرى تقع في مقدمة الرأس الصدري وهي عبارة عن زوج من **اللوامس** «Palps»، وزوج من **المخالب** (Chelifores)، وزوج من الأرجل (**الزوائد**) البيضية (Ovigerous Legs) (**شكل ٦**). ويختلف وجود هذه الزوائد من نوع لآخر، فالزوائد البيضية مثلاً، توجد في **الذكور** في بعض الأنواع فقط، ولا توجد **في الإناث**، بينما في أنواع أخرى توجد في كلا الجنسين، ولكن تلك الزوائد الموجودة في الإناث تكون مختزلة. والزوائد البيضية مهمة جداً في عملية الإخصاب، وحمل البيض واليرقات كما سيتضح فيما بعد.

الحركة والانتشار

تنتقل عناكب البحر من مكان لآخر إما بالمشي أو الزحف البطيء على القاع، أو بالسباحة في حالات قليلة، كما أنها قد تحمل بواسطة التيارات البحرية حيث تلتصق على الحيوانات الهدرية Hydroids أو الأعشاب البحرية.

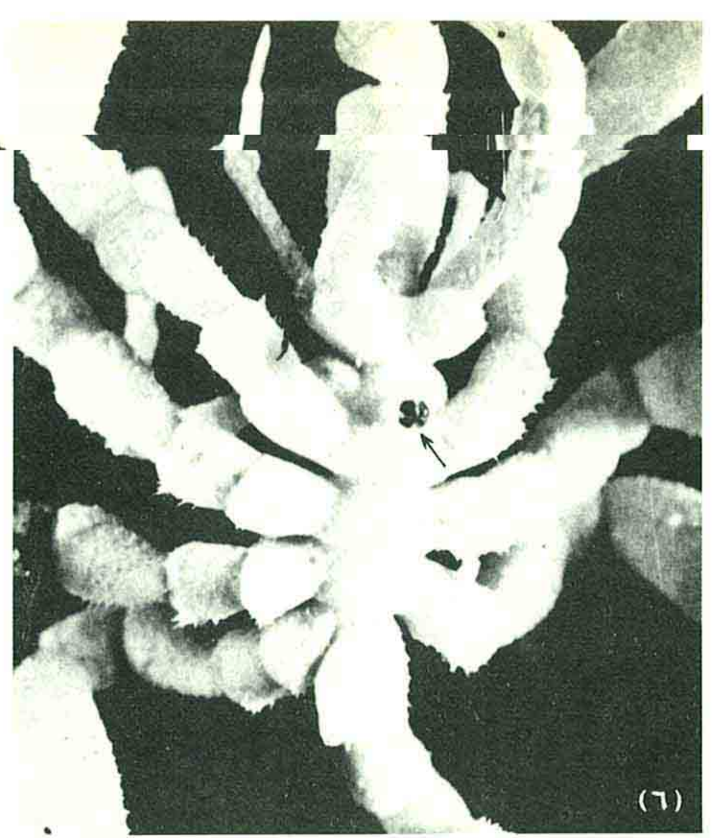
والعناكب البحرية واسعة الانتشار حيث تتوزع من المنطقة الساحلية إلى أعماق كبيرة جداً، فقد وجدت في أعماق تزيد على ستة آلاف متر. وهي تتركز في المناطق القطبية ولكن توجد أنواع أخرى في المناطق البحرية الاستوائية. وقد وجدت بعض الأنواع القليلة جداً في كل من البحر الأحمر والخليج العربي.

اللون

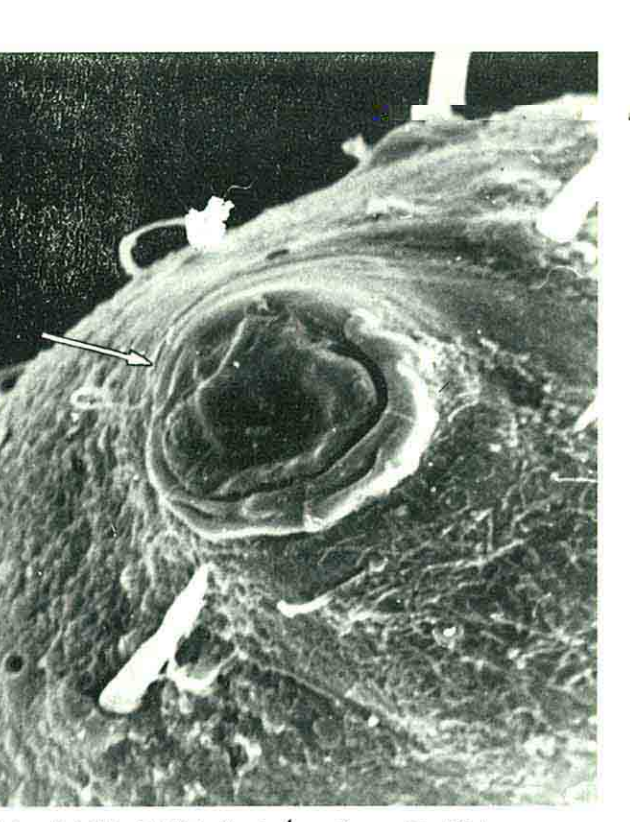
ولون عناكب البحر يميل غالباً إلى **البياض**، ولكن هنالك اختلافات لونية بين الأنواع المختلفة، وينتج اللون في بعض الأنواع عن وجود مواد صبغيّة في جدار الجسم، ولكن بعض الأنواع شفافة، ولذا فإن ألوانها انعكاسات لألوان محتويات جهازها الهضمي.

الجهاز الهضمي والغذاء

الجهاز الهضمي جهاز بسيط يتكون من أنبوبة تمتد من فتحة الفم



★ شكل (٦) منظر ظهري لعنكبوت بحري ويشير السهم إلى العيون ★



★ شكل (٧) صورة مكبرة جداً توضح الفتحة التناسلية وغطاؤها (السهم) ★

الموجودة في مقدمة البوز إلى فتحة الشرج في نهاية العقلة البطنية، مع تفرعات تمتد إلى كل رجل من الأرجل. وفي أغلب أنواع العناكب تمتد هذه التفرعات إلى العقلة قبل الأخيرة من عقل الرجل.

وأغلب العناكب البحرية حيوانات لحمية تتغذى على الحيوانات الهدرية المختلفة، وعلى المرجان الرخو، وشقائق النعمان، والحيوانات الطحلبية والإسفنجيات.

الجهاز الحسي

الجهاز الحسي الوحيد والمنظور في هذه الكائنات هو عيونها التي تقع على الرأس أو على العقلة الصدرية الأولى (**شكل ٧**). وعدد عيون هذه الحيوانات أربع، وهي متساوية الحجم ولكن في بعض الأنواع يكون الزوج الأمامي منها أكبر.

التناسل

الجنسان منفصلان في العناكب البحرية لكن وجد أن نوعاً واحداً منها يحتوي الفرد الواحد فيه على المبايض والخصي معاً. وفي كل جنس فإن الأعضاء التناسلية تحتوي على زوج من الخصي أو المبايض التي تقع فوق المعي الأوسط للجهاز الهضمي. وفي الحيوان البالغ فإن جزأي المنسل يلتحمان عند قاعدة البطن لتشكل شكلاً شبيهاً بأنبوبة ملتوية ذات فرعين (تشبه الحرف اللاتيني U)، وهذا الشكل ليس هو الشكل الدائم في جميع أنواع العناكب البحرية فقد توجد بعض الاختلافات في الشكل.

ويتفرع الجهاز التناسلي سواء الذكري أو الأنثوي ويمتد إلى الأرجل، ففي الذكور تصل هذه التفرعات إلى العقلة الثانية في الرجل، بينما تصل في الإناث تفرعات المبايض إلى المفصل الرابع، أو حتى إلى أبعد من ذلك. وفي أغلب الأنواع ينضج البيض في تفرعات المبايض داخل الأرجل. وتتصل التفرعات المنسلية مع الخارج من خلال مجرى يقع على العقلة الثانية للأرجل. وفي بعض الأنواع هناك غطاء في نهاية المجرى يفتح عند الحاجة (**شكل ٨**).

يحدث الإخصاب في العناكب البحرية خارجياً، أي تطلق الأمشاج إلى خارج الجسم في كل من الجنسين الذكر والأنثى، ولكن لا يحدث الإخصاب إلا والجنسان متلاصقان (يعتبر ذلك صفة تطورية فيهما)، وذلك لأن البيض يتصلب عند ملامسته لماء البحر، وقد وصفت عملية الالتصاق على النحو التالي:

يقفز الذكر على ظهر الأنثى، ثم يزحف باتجاه الرأس من اتجاه السطح البطني (أي أن السطحين البطنيين لكلا الجنسين يكونان متلاصقين)، ويكون وضعا الحيوانين متعاكسين أي أن مقدمة الذكر تقع عند مؤخرة جسم الأنثى ورأس الأنثى عند مؤخرة جسم الذكر. والغرض من هذه العملية أن تتقابل الفتحات التناسلية لكلا الجنسين لأنها تقع تقريباً على السطح البطني للأرجل (العقلة الثانية)، وحتى تتم عملية الإخصاب قبل ملامسة البيض لماء البحر، أي قبل أن يتصلب عند ملامسته للماء. ويظلان على هذا الوضع عدة ساعات، حيث يتم ترتيب البيض بعد إخصابه على هيئة كريات صغيرة وعديدة على الأرجل

البيضية ، بمساعدة الإفرازات اللزجة من الغدد الأسمنتية الموجودة على العقلة الثالثة من الأرجل .

وينفصل الجنسان بعد عملية الإخصاب فيحمل الذكر البيض المخصب إلى أن يفقس ليعطي يرقات صغيرة (Protonymphon Larvae) (**شكل ٩**) . يحملها الذكر أيضاً مدة على أرجله البيضية . وتحدث عدة انسلاخات لهذه اليرقة تكون بعدها حيواناً بالغاً .

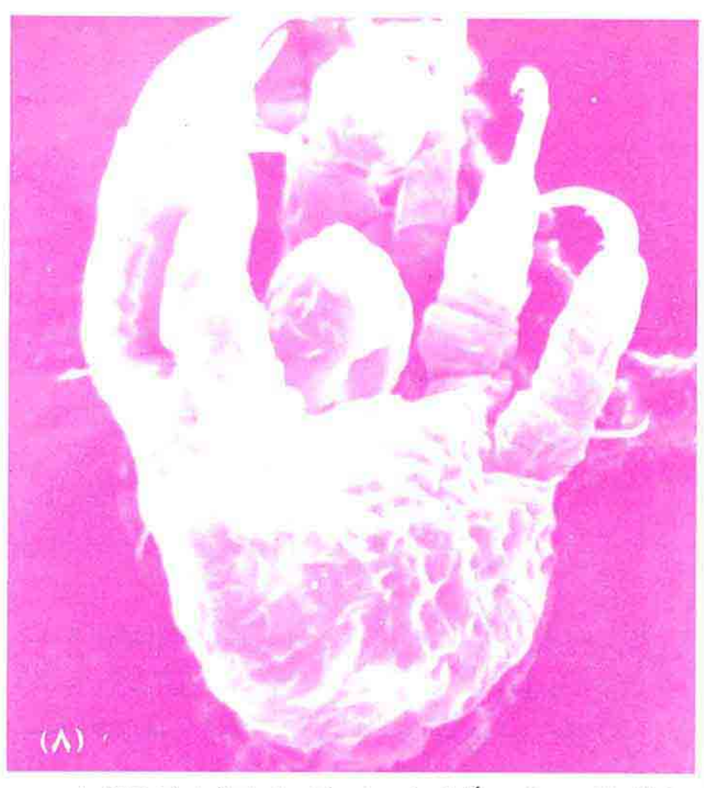
المراجع

A. S. N. El-Hawawi (1977). Studies on the Biology of Pycnogonids. Ph. D. Thesis. Univ. of Wales. U. K.

W. G. Fry(1978). Sea Spiders (Phycnogonids). Zool. J. Linn. Soc. Vol. 63. Nos. 1&2.

P. E. King(1973). «Pycnogonids». Hutchinson of London.

P. E. King(1974). «British Sea Spiders». Academic Press, London.



★ شكل (٨) صورة مكبرة جداً ليرقة عنكبوت بحري أثناء حملها على الأرجل البيضية للذكر ★

★ شكل (٩) رسم تخطيطي لدورة الحياة لعنكبوت بحري ★

(٩)

البرامج الإذاعية

بقلم : سهير جاد

ترى هل يمكن تعريف البرامج الثقافية في الإذاعة المسموعة على أنها : « البرامج التي تقدم من إذاعة « عامة » وليست متخصصة كإذاعة البرنامج الثاني ، وتبسط موضوعاً أو فكرة ثقافية في صورة إذاعية مقبولة تقوم على الإفادة من إمكانات الفن الإذاعي ، تتميز بالتجديد والتبسيط في تقديم ثمرات الفكر والفن والعلم على أوسع نطاق ، وفي أرحب دائرة ، دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى في الإنتاج الثقافي إلا دفعاً لها إلى مزيد من التفوق والإجادة » .

فالبرامج الثقافية في الإذاعة العامة كالبرنامج العام في مصر مثلاً ، لا تتوجه إلى الصفوة ، وإنما تتوجه إلى الجماهير كلها ، والإذاعة بذلك تسعى إلى تحقيق المدلول الخاص للثقافة من حيث تقديم المعارف والخبرات والمهارات للمستمعين ، والبرامج الثقافية تقوم كذلك بالتقريب بين أصحاب الثقافتين : **العلمية والأدبية** ، كنتيجة لما لوحظ من نقص معرفة الأدباء بالعلم ، والعلماء بالأدب ، كما سيجيء ، ونخلص من ذلك إلى أن البرامج الثقافية هي التي تتوجه إلى الجمهور العام من جهة بهدف تثقيفه ، وهي التي تتوجه إلى ذوي الثقافتين العلمية والأدبية من جهة أخرى بهدف تهيئة العقول لقبول الثقافة مهما اختلفت فروعها ومهما كانت مادتها . **وينبغي أن يقوم البرنامج الثقافي على عدة معايير أساسية :**

.. أ ـ معايير البرنامج الثقافي

(١) أن يفيد من إمكانات الإذاعة في تقديم الثقافة للجماهير في شكل مستساغ سمعياً .

(٢) أن يعتمد على تبسيط الثقافة تبسيطاً لا يهبط بمستواها وإنما يجعلها مفهومة .

(٣) أن يتخطى عقبات الملل الذي يصاحب المادة الجافة من خلال استخدام العناصر الدرامية ، ووسائل جذب الانتباه .

(٤) أن تتنوع البرامج الثقافية بحيث تحقق التكامل بين فروع الثقافة المختلفة .

(٥) أن ترتبط هذه البرامج الثقافية بمفهوم الثقافة باعتبارها كياناً له مقوماته التي تميزه عن التعليم من ناحية وعن الإعلام والترشيد من ناحية أخرى .

ب ـ البرامج الثقافية وانتشار الثقافة

وتأسيساً على هذا الفهم ، فإن البرامج الثقافية تتمثل طبيعة الانتشار الثقافي من الكبار إلى الصغار في حركة دينامية ، كما تقوم على نماذج لها قدرة من العمومية ، وعلى تبسيط المعارف ، والخبرات تبعاً للقدرات في مراحل النمو المختلفة ، بصور مختلفة ، وبعبارات مختلفة عن تلك التي تستعمل في الحياة اليومية .

والبرامج الثقافية حين تتوصل بالإذاعة في الانتشار بين جماهير المستمعين فإنها تنقل الثقافة من أعلى الكيان الاجتماعي إلى أسفل الكيان الاجتماعي ، أياً كان شكل هذا الكيان ، فالثقافة تتحول من الخبراء الذين يعرفون إلى الذين تقل معرفتهم والخبرة بالشكل البديهي الظاهر تنتقل من القمة ، من الممتاز إلى الأقل امتيازاً ، أي من الذي يعرف أكثر إلى الذي يعرف أقل ، على أنه يجب أن نذكر هنا تحفظين نجدهما عند الأنثروبولوجيين ، وعلماء الفولكلور عندما يتحدثون عن الثقافة الشعبية في انتشارها ، إذ يذهبون إلى وجود حركتين متوازيتين مع ما تقدم :

★ من الصغار إلى الكبار . ★ من القاعدة إلى القمة .

ذلك أن هؤلاء العلماء يذهبون إلى أن الثقافة هي موضوع علمهم ،

★ أبو تمام ★



الفكر والفن

وإن كانوا يختلفون في تعريفها ، وفي نهاية القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، كان هناك شبه اتفاق عام بين العلماء على الأخذ بالتعريف الشهير الذي وضعه العلامة « **تايلور** » وافتتح به كتابه « **الثقافة البدائية** » وفيه يقول : « **الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع** »[1] .

ومهما يكن من شيء ، فإن هناك – كما تقدم – ثقافتين الأولى هي ثقافة القلة المفكرة ، والثقافة الثانية هي ثقافة الكثرة العاملة ، وعلى حين فرغت القلة للتفكير ، فرغت الكثرة للعمل ، تحمل أعباء الحياة كلها على عاتقها في الحقول وفي المصانع ، ومع كل خطوة على وجه الأرض وفي جوفها ، ومع كل حركة على سطح البحر والأنهار وفي جوفها[2] .

وما فكرت القلة ألا لتريح الكثرة من عناء الفكر ، وما عملت الكثرة إلا لتخلي القلة لتفكيرها . أخذ وعطاء كان يجب أن تقوم عليه الثقافتان الأولى والثانية ، غير أن العهود الارستقراطية التي مرت تقصر ثقافة القلة على القلة ، وتجعل الثقافة الأولى بمعزل عن الثقافة الثانية ، وحين عاشت الثقافتان لا صلة لإحداهما بالأخرى عاشت الثقافة الأولى تدور حول نفسها ، ولا تملي إلا عن نفسها ولا تعبّر إلا عن نفسها ، لا صدى ، ولا أثر ، ولا توجيه فيها للناس[3] .

وهناك من يقسم الثقافة إلى قسمين آخرين : يطلق على إحداهما الثقافة الأدبية ، وعلى الأخرى الثقافة العلمية ، ومن تحليل المضمون نتبين احتفال البرامج الثقافية معاً بما اصطلح عليه بالثقافة الأدبية ، والثقافة العلمية ، ويتجه أفراد الثقافة الأدبية بسبب تعليمهم ، وطبيعة ميولهم ، واستعداداتهم الفطرية إلى كل ما يمت للأدب ، بما تنطوي عليه الكلمة من عناصر الاطلاق والتعميم ، كالثروة الشعرية ، النثرية والدراما ، والرواية والقصة وتذوق الجمال والسلاسة في ألفاظها ، والسمو في معانيها ، سواء كان ذلك في اللغة القومية ، أم في اللغات الأجنبية ، أم في هذه وتلك معاً . ويتجه أفراد الثقافة العلمية إلى المواد الرياضية ، والطبيعية والكيميائية والفلكية ، والبيولوجية والسيكولوجية ، ويميلون عادة إلى البحث عن الصلة بين هذه المواد وتطبيقها على الحياة اليومية تطبيقاً عملياً ، بجانب دراستها من الناحية النظرية البحتة . . وهذا بخلاف الثقافة الأدبية التي تميل الدراسة فيها إلى أن تكون نظرية خالصة .

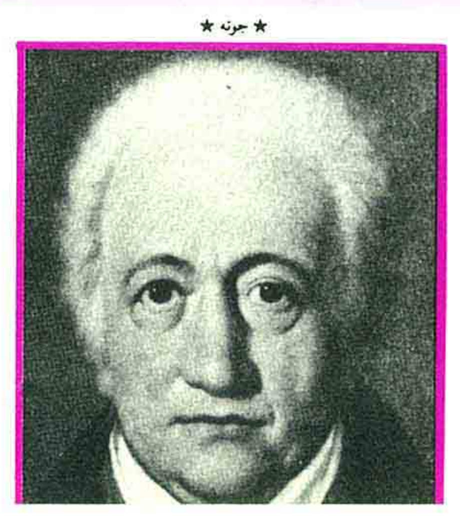
وإذا كان الفن الإذاعي ، قد اتجه إلى الصفوة المثقفة ، حين خصص إذاعات كاملة تقوم على الثقافة الرفيعة ، فإن الفن الإذاعي المتجه إلى الجماهير العريضة حين يخصص برامج ثقافية « **يتوجه بها إلى الجماهير** » فإنه كذلك من خلال هذه البرامج يسعى إلى التقريب بين الثقافتين العلمية والأدبية كنتيجة لما لوحظ من جهالة الأدباء بالعلم ، وجهالة العلماء بالأدب ، وقد صور **سير تشارلس سنو** في كتابه « **الثقافتان والثورة العلمية** » صوراً واضحة للفروق الشاسعة بين أولئك الذين نشأوا نشأة أدبية بحتة ، وأترابهم الذين عاشوا في معامل الأبحاث والأجهزة العلمية يقول :

« كلما ألقيت نظرة على كل من أفراد هاتين الطائفتين الذين بلغت ثقافتهم منزلة ارستقراطية ممتازة ، تبين لي أنهما يتفقان في عنصر السلالة والدم ، وفيما حبتهم الطبيعة من نعمة الذكاء ، وأنهما لا يختلفان كثيراً في

★ شارلز ديكنز ★



★ جوته ★



★ بلزاك ★



الأصل الاجتماعي الذي ينحدران منه ، كما أنهما يتساويان تقريباً في الحالة المالية . ولكنهما برغم ما بينهما من عوامل التجانس والتشابه هذه ، كفا عن الاتصال ببعضهما البعض ، وأن الشقة بينهما من النواحي الذهنية والخلقية والسيكولوجية قد بلغت من الاتساع درجة ، انهارت بسببها كافة العوامل المشتركة بينهما ، حتى إذا انتقلت من الفريق الواحد إلى الفريق الآخر في المدينة الواحدة أو الحي الواحد ، خيل إليك أنك انتقلت إلى ما وراء البحار .

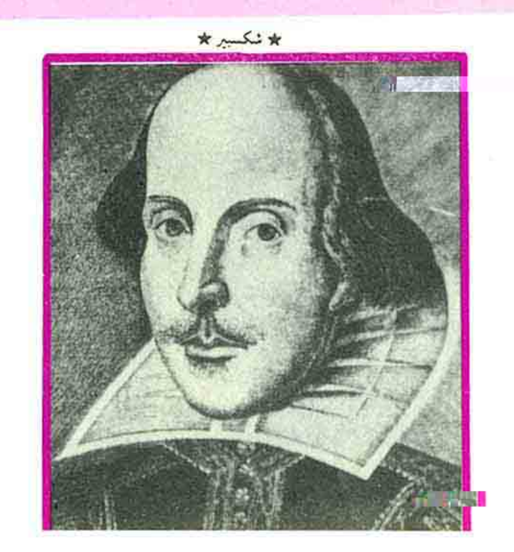
ولا شك أن العيب في هذه الظاهرة ينسب ، كما جرت العادة ، إلى النظم التربوية ، كما نراها في إنجلترا وفرنسا وفي مصر وغيرها من البلدان التي نسجت على منوالها . فمن الملاحظ أن المتعلمين والمشتغلين بالعلوم الطبيعية الحديثة في هذه الدول ، لا يميلون إلى عناصر الثقافة الأدبية والفنية والتقليدية ، ولا يتذوقونها (إذا استثنينا الموسيقى) بسبب هذا النوع من النظام التعليمي . فمن جهابذة العلوم الطبيعية في إنجلترا وفرنسا الذين يقرأون بعض كتب الأدب أحياناً ، يعسر عليهم فهم **ديكنز وشكسبير** ، كما يعسر على زملائهم في البلدان العربية فهم **أبي تمام والبحتري والنابغة الذبياني** ، ولا نبالغ إذا قلنا إنهم في هذه البلاد قلما يلمون بشيء من مؤلفات **طه حسين والعقاد** ، وسائر رجال الأدب المعاصرين »[٤] .

وتأسيساً على هذا الفهم ، يمكن القول إن البرامج الثقافية هي التي تتوجه إلى الجمهور العام من جهة بغية تثقيف الجماهير ، وهي التي تتوجه إلى ذوي الثقافتين العلمية أو الأدبية من جهة أخرى بغية تهيئة العقول لقبول الثقافة مهما اختلفت فروعها ، ومهما تكن مادتها .

وكان القدماء – كما يقول **طه حسين** – من الأدباء لا يحبون أن يقف الأدب بأدبه عند الشعر والنثر والنقد ، وإنما يستطيع أن يأخذ من كل شيء بطرف كما كان يقال في الأيام الماضية . . ومن المحقق أن **أفلاطون** أو **أرسطاطاليس** كانا من العلماء وكانا من المثقفين بالقياس إلى العصور التي عاشا فيها ، ولم يظفر أحدهما بإجازة جامعية ، لأن ذلك لم يكن معروفاً في أيامهما . وهما مع ذلك ملأا الأرض علماً وثقافة .

وإذا كان العالم المتخصص في فرع بعينه من فروع العلم مكلفاً أن

★ شكسبير ★



ينفع الناس بهذا العلم ، فإن الإذاعة – **من خلال برامجها الثقافية** – مسؤولة عن توسيع نطاق الثقافة ونشرها بين الجماهير من جهة ، ومسؤولة من جهة أخرى بأن تضيء للناس سبل الحياة من خلال برامجها الثقافية المتنوعة . ذلك أن الثقافة – **كما يقول طه حسين** – تجمع بين هاتين الخصلتين فهي معرفة يجب أن تنتشر بين الناس ، وهي في الوقت نفسه تذكي عقل المثقف ، وتيسر له فهم الحياة ، وتعينه على حل بعض المشكلات التي تعرض للناس في حياتهم اليومية[٥] .

ومن العلماء المتخصصين من يقف بتخصصه عند حد معين ، وهو حين يفعل ذلك يفقد صفة التخصص ، ويصبح صاحب فن من الفنون التطبيقية يمارس فنه ويعيش منه ، ويفرض ذلك على البرامج الثقافية متابعة التقدم العلمي والثقافي بوجه عام . فالمعرفة الإنسانية لا تعرف الحدود ، وإنما هي متحركة أبداً ، ومتحركة دائماً ، ولا يدركها الركود إلا حين تصيب الحضارة آفة من الآفات ، أو عارض من العوارض ، فتمنع العقل من نشاطه وتكف المعرفة عن المضي إلى الأمام : « **فالعالم المتخصص حقاً يتجدد علمه في غير انقطاع ، والمثقف الجديد بهذه الصفة تتجدد ثقافته في غير انقطاع . وكلما ازداد تخصص العالم أو اتسعت ثقافة الرجل المثقف عظمت تبعته أمام بيئته ووطنه ، ووجب عليه أن ينفع الناس بكل ما حصل وبكل ما اكتسب**[٦] » .

ويفرض هذا الفهم على البرامج الثقافية الإذاعية أن تعيش بين الناس وتفهم حياتهم ، وتتعمق نظمهم الاجتماعية والسياسية ، وتلاحظ نشاطهم اليومي لتكون نافعة حق النفع ، ولتكون لهم معلماً وهادياً إلى الخير ، ولكيلا تتحول إلى ثرثرة ينبغي عليها أن تضع الثقافة موضع الحاجة إليها ، ليشعر الناس بأن الإذاعة نافعة لهم حقاً ، تعلمهم ما لم يعلموا ، وتدلهم على ما لم يهتدوا إليه من سبل الرقي .

وتستهدف البرامج الثقافية التأثير في اتجاهات الأفراد وسلوكهم ، وتوجيهها نحو النفع والخير والرقي على النحو المتقدم ، كما تستهدف مساعدة الجماهير على تتبع تقدم الإنسانية في مختلف ميادين العلم والفن والثقافة ، فالثقافة التي تستهدف الإذاعة تحقيقها تمكن المواطن من الإلمام بأهم الاتجاهات السائدة في عصره ، بحيث يصبح مؤثراً فيها ومتأثراً بها .

وتحقيق الثقافة بهذا المعنى يستلزم برامج تثقيفية متعددة – فهناك **برامج الثقافة الأدبية** ، وهناك **برامج الثقافة العلمية** ، **وبرامج الثقافة الصحية** ، **وبرامج الثقافة النفسية** ، **وبرامج الثقافة الدينية** – وغير ذلك كثير من البرامج الثقافية التي يمكن التعرف على أهدافها من أسمائها .

الإذاعة وتبسيط الثقافة

كما يقدم الراديو مواداً ثقافية في صورة أحاديث أو محاضرات أو ندوات ، وهنا نجد أن البرامج الثقافية يجب أن تتسم بالبساطة والتبسيط[٧] ، « وهنا كثيراً ما يقع المشرفون على الإذاعة في خطأ كبير هو

ظنهم أن تقديم مثل هذه المواد لا يحتاج إلى كبار الأساتذة والعمداء والمفكرين ، بل قد يكفي لذلك أوساطهم أو المبتدئون منهم . وذلك مع أن تبسيط المعرفة لا يستطيعه إلا أكبر الأساتذة والمفكرين ، لأن التبسيط يتطلب ممن يقوم به أن يكون قد تمثل المادة وهضمها هضماً تاماً ، كما أنه يتعرض لخطرين كبيرين : أولهما الأسباب الضارة الذي تتميع فيه المادة ، وتختلط التفصيلات بالحقائق الكبرى التي يجب التركيز عليها وابضاحها كركائز أساسية للثقافة . وثانيهما الغموض الذي يأتي من غموض في عقل المتحدث نتيجة لعدم سيطرته على المادة التي يتحدث عنها ، أو نتيجة لإيجاز مخل يقع فيه ، أو إحالة على مجاهيل بالنسبة للسامعين .

ومن المعلوم أن السامع يتطلب سهولة ووضوحاً وتشويقاً تجذبه إلى متابعة الحديث واستيعابه في سرعة ، وبخاصة أنه لا يستطيع توقعاً للفهم ، أو مراجعة لما يسمع ، أو استيضاحاً للمتحدث ، على نحو ما يفعل عندما يقرأ كتاباً أو يستمع إلى أستاذ يحاضر في قاعة الدرس »[٨] .

ومن الواضح – **كما يقول الدكتور مندور** – أن تبسيط المعرفة لا يعني اختزالها ، وذلك لما هو معلوم من أن المعرفة المختزلة المبتسرة قد تكون أكثر ضرراً من الجهل . فنقص المعرفة بالأمراض المختلفة مثلاً ووسائل علاجها قد يقود المستمعين إلى أوهام وكوارث صحية . وهكذا الأمر في علوم وفنون التخصص الأخرى التي يجب ألا يعمل الراديو على إيهام الناس بأنهم يعلمون عنها شيئاً ذا غناء مع أن الجهل أسلم عاقبة من هذه النتف الضارة[٩] ، ولذلك ربما كان من الخير أن يفيد الراديو من أحدث وسائل وفنون تبسيط العلوم ، فتوصيل الثقافة للجماهير – كما يذهب إلى ذلك **الدكتور حسين فوزي** – ليس أبداً بأن نهبط بها عن مستواها ، ولذلك يجب أن نفصل بين **البرامج الإعلامية والبرامج الثقافية ، والبرامج الترويحية** ، ولا نقصد بذلك أن يتم هذا الفصل عند نهايتها عندما تصل إلى جمهور المتلقين لأن ذلك يتعذر ، فبائع الكتب مثلاً يعرض كل أنواع الكتب ، الجيد منها والغث ، ولا نستطيع أن نمنعه من ذلك ، بل نقصد أن يكون الفصل عند المنبع ، لأن الإعلام بطبيعته أقوى من الثقافة ، فإذا لم نفصل بينهما عند المنبع فلا بد أن يحول الإعلام الثقافة إلى عبد له ، ويسخرها في خدمة أهدافه ، وهذا أخطر ما يمكن أن تتعرض له الثقافة[١٠] .

ويذهب **الدكتور فوزي** – إلى أن الإذاعة أداة فعالة ومنفذة لشؤون الثقافة والإعلام والترفيه كلها ، يقتضي الأمر أن تصلها الروافد كل بحسب منبعه الخاص ، وعليها هي أن تجري عملية « **المزج الفني** » سواء في البرنامج الواحد ، أو في تعدد البرامج[١١] .

ولقد عرفنا أن الإذاعة كفن جديد استمدت مادتها في بداية الأمر من الفنون السابقة عليها في المجتمع ، ثم أعدتها الإعداد الخاص بها ، كما رأينا أن برامج الإذاعة بصورة عامة تقوم على الموسيقى والكلمة المنطوقة ، والبرامج الثقافية تقوم على هذين الركنين الإذاعيين ، بحيث يمكن القول إنها برامج تستخدم فيها جميع إمكانات الراديو ، من موسيقى ، وتسجيل داخل الاستوديو ، ولقاء ميكروفون في صورة حوار بين اثنين ، ولقاء ميكروفون مع أكثر من فرد . . وتسجيل خارج الاستديو ، ومؤثرات صوتية . . . إلخ[١٢] .

وليس معنى ذلك أن كل برنامج ثقافي ينبغي حتماً أن تستخدم فيه كل هذه الإمكانات دفعة واحدة ، بل المقصود أن البرنامج الثقافي له أكثر من دعامة يستند إليها . كما أن البرنامج الثقافي يعتمد على تبسيط المعرفة والثقافة ، كما تقدم ، وهذا التبسيط هو مادته ومحتواه ، فهو لا يعتمد على الخيال ، وإنما يقوم على العلم والمعرفة والثقافة بفروعها ، وهذا يجعل مهمة معد البرنامج الثقافي مهمة دقيقة ، ذلك لأن البرنامج الثقافي يخاطب العقل ، كما يخاطب العاطفة ، فهو برنامج وظيفي هادف ، ولكنه يجب أن يتخطى عقبات الملل الذي يصاحب المادة الجافة الأمر الذي يجعله يفيد من الإمكانات الدرامية ، ووسائل جذب الانتباه ، وهو لذلك برنامج يتميز بالحركة السريعة . كما أن البرنامج الثقافي برنامج قابل للتطور الدائم ، ويتميز بموضوعيته ومعالجته للثقافة بمختلف فروعها .

تلك كلها مميزات تتميز بها البرامج الثقافية ، بحيث يمكن القول إنها البرامج التي تبسط موضوعاً أو فكرة ثقافية في صورة إذاعية مقبولة تقوم على الإفادة من إمكانات الفن الإذاعي ، تتميز بالتجديد والتبسيط في تقديم ثمرات الفكر والفن والعلم على أوسع نطاق ، وفي أرحب دائرة ، دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى في الإنتاج الثقافي ، إلا دفعاً لها إلى مزيد من التفوق والإجادة .

فالبرامج الثقافية في الإذاعة العامة لا تتوجه إلى الصفوة كما يتوجه البرنامج الثقافي ، وإنما تتوجه إلى الجماهير كلها كما تقدم ، وكان طبيعياً إذن أن ترتبط هذه البرامج بمفهوم الثقافة باعتبارها كياناً له مقوماته التي تميزه عن التعليم من ناحية ، وعن الإعلام والترشيد من ناحية أخرى ، وإن تداخلت الوسائل التي تحمل العناصر الثقافية للعمل على بثها عن طريق الكلمة والصوت والصورة .

وكان ارتباط البرامج الثقافية بالإذاعة ووسائل الاتصال الجماهيرية تأكيداً لحق الجماهير في استكمال مقوماتها الإنسانية بواسطة الثقافة ، وموضحاً للجانب الوظيفي للثقافة باعتبارها « **عصا الميزان** » التي تجعل التطور الفكري والوجداني لجماهير الشعب مسايراً للتطور المادي الذي يستحدثه العلم التطبيعي في عالم الإنتاج الكبير .

ومن ذلك يتضح أن البرامج الثقافية الإذاعية ليست مجرد تعبير عن الحاضر بل تنمية لإمكاناته ، وتنويره ، وتصفيته ، وإثرائه ، وتحويره ، ذلك أن مهمة البرامج الثقافية لا تقف عند حد التسجيل ، وإنما تعتبر وسيلة إثراء وتطوير عن طريق تنوير الوعي حتى يحاط عمل المرء بجو فكري يجعل منه إنساناً يعيش قيم عصره ، ويشارك في توجيهها ، فلا سبيل لنا إلى ذلك بإلقاء الأوامر ، أو بيان قوائم المشروع وغير المشروع وإلا ضاع مفهوم الثقافة ، إذ يستلب بها المرء ، فيظل أداة ووسيلة لا يتفاعل مع ما يعمل ، ولكن آلياً . **فلا مناص إذن من أن تكون الثقافة وسيلة**

تنمية الوعي الحر تنمية رشيدة ثمرتها انتقال الفرد إلى مرحلة الرشد الإنساني[١٣] .

البرامج الثقافية بين الفكر والفن

ومن ثم نصل إلى مجالين كبيرين من مجالات البرامج الثقافية الإذاعية كل منهما مندرج في مفهوم الثقافة بمعناها المراد السابق : البرامج الثقافية تقوم بالاستنارة الفكرية المحضة ، عن طريق تغذية العقول بما تمخضت عنه الإنسانية من نظريات وأفكار تمس طرق السلوك ، بقصد الوقوف على حقيقتها أولا ، فضلاً عن تقويمها ، وذلك عن طريق تقديم ثمار التأليف والترجمة فيما يخص مسائل الثقافة إذاعياً ، أي تنوير الوعي العام منهجياً وعلمياً ، ويندرج في هذا النوع من البرامج ميدان النقد الفني من حيث الدراسة المنهجية والنظرية والفلسفية للأدب وأجناسه وعلوم الجمال . والنوع الثاني من البرامج الثقافية معني بالنشاط الفني ، وهو ينصرف جوهرياً إلى النشاط الأدبي ، وما يتصل به عن قرب من فنون جميلة أخرى .

وأهم ما يميز النشاط الجمالي في البرامج الثقافية من أدب وفنون أنه يثير الفكر والشعور معاً ، مما يتيح للبرامج الإذاعية استغلال قوالب فنية ناضجة ذات أثر عميق في الوعي ، وفي توجيهه وجهة إيجابية . وللأدب الصدارة في هذا المجال ، كما يذهب إلى ذلك المرحوم الدكتور غنيمي هلال ، ذلك أن الأدب إذا أحكمت بنيته الإذاعية يتميز بالإقناع المثير الذي يتوجه إلى الفكر من خلال الصور السمعية ، فيمس مناطق الفكر والشعور معاً ، ويثير الإرادة إلى العمل ، كما ينمي الوعي الإنساني ويعمقه تعميقاً .

والبرامج الثقافية ــ في هذا المجال الفكري ــ لا صلة لها بإلقاء الأخبار أو الأوامر ، حتى لو كانت الأوامر مشروحة في ذاتها ، دون أن تدعمها النظريات والأفكار ، وإلا فقدت الثقافة الفكرية جوهرها المتحضر ، كما يقول **الدكتور هلال** ، في تهيئة المواطن الإيجابي المتصرف عن اقتناع ، والمشارك بجهوده في عصره وقومه ، وفيما يخص البرامج الثقافية في مجالها الفني ، لا شك أن القوالب الأدبية إذا لم تتضح فيها القدرة الفنية ، فانفصلت فيها الفكرة عن قالبها ، وطغت على شكلها ، فبرزت صريحة مباشرة ، فإن خطر ذلك لا يقتصر على الهبوط بمستوى العمل الفني ، ولكنه يتعدى ذلك إلى ابتذال الفكرة نفسها ، فتصبح مباشرة ، مما يخرج بها عن مجال الثقافة أولا ، ثم يفقدها كل تأثير لها ثانياً . فالإحكام الفني يجب أن نحرص عليه في البرامج الثقافية ، لا من أجل الفن والأدب فحسب ، ولكننا نحرص عليه لأن الأدب الذي يدونه لا يكون أدباً ، لأنه يهبط إلى مجرد الإرشاد أو الإعلام المباشر . وفي هذه الحال لا يبعث على تحريك الفكر والإرادة .

والسؤال الآن ماذا يستطيع الراديو أن يقوم به في أداء وظيفة «التثقيف» ؟ .

في ميدان توصيل الثقافة والتأثير على الاتجاهات فكرياً وفنياً ، ينبغي أن نفرق أولا بين الثقافة ومجالات الإعلام والأخبار ، وأن نفرق ثانياً بين وسائل الاتصال وبعضها البعض ما دامت المعلومات المراد توصيلها توجد في ظروف مماثلة ، وتحوي نفس الموضوع ، وتخاطب نفس الجمهور . وقد أمكن إثبات هذا من خلال الأبحاث التي أجريت . فقد ثبت دون أدنى شك أنه مهما تكن وسيلة الاتصال فإن كمية المعرفة التي يمكن أن يمتصها الشخص تتوقف على نفس العوامل ، وهي : مدى صلتها وصحتها بحيث تشعر المستمع أنه يشارك فيها ، وتتواجد في مكان حدوثها .

والإذاعة تستطيع أن تجعل من الثقافة أمراً كثير المرونة بما تسهم به من أقلمة سريعة للعالم الكثير التغير ، كما أن بإمكانها أن تكشف للوعي عن عوالم وآفاق ما كان لها أن تبين لو ظلت تجريدية ، وطالما استشهد المصلحون والمفكرون ، بل وعلماء النفس ، بالنماذج الأدبية التي كانت من محض الإبداع الأدبي . مثل النماذج الأدبية التي خلفها **شكسبير ، وجوته ، وبلزاك ، وسرفانتس ، ودستوفسكي** . . إلخ . وأي برنامج ثقافي إذاعي يمكنه أن يتوصل بأساليب الإنتاج والإخراج التي تشد الانتباه وتجذب الناس ، بل وتسهم في التنوير بما تعرضه من تحديات للذهن . كما تستطيع أن تؤثر على المشاعر والاتجاهات ، لأنها تصل إلى جماهير تختلف من حيث قدراتها الذهنية ، لم يكن من الممكن الوصول إليها إلا عن طريق الجديد جداً من الوسائل السمعية ، كل هذا يمنح الراديو مكاناً متميزاً من حيث قدرته على التثقيف ، بل وعلى إثارة الرغبة في الثقافة .

الهوامش

(١) الدكتور عاطف وصفي : الثقافة والشخصية (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٤ م) ، ص (٦٨) .

(٢) إبراهيم الأبياري : مجلة المجلة ، ص (٤١) .

(٣) الدكتور أمير بقطر : «جهالة الأدباء بالعلم وجهالة العلماء بالأدب نظرات في كتاب «الثقافتان والثورة العلمية» مجلة الهلال ، ع ١١ ، م٦٨ في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٠ م .

(٤) المرجع السابق ، ص (٦١) .

(٥) الدكتور طه حسين : «ثقافة . . ومثقفون» جريدة الجمهورية في ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦١ م .

(٦) نفس المرجع .

(٧) محمد مندور : الثقافة وأجهزتها ، ص (٢٧) .

(٨ و٩) نفس المرجع ، ص (٢٧) .

(١٠) مجلة الكاتب ، ع ٢٥ ، م٣ ، في أبريل (نيسان) ١٩٦٣ م . (رحلة مع السندباد العصري) .

(١١) نفس المرجع ، ص (١٥) .

(١٢) عبد المجيد شكري : «مفهوم البرنامج الخاص في الفن الإذاعي» ، ع ٤ ، م١٢ ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ م .

(١٣) محمد غنيمي هلال : «الثقافة وأجهزتها بين الكم والكيف» ــ مجلة الكاتب ــ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ م .

بمناسبة عيد الفطر السعيد
يطيب
لشركة أرامكو أن تتقدم

بأسمى التهاني وأجمل الأماني

إلى حضرة صاحب الجلالة
الملك خالد بن عبد العزيز المفدى

وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة
والشعب العربي السعودي الكريم

أعاده الله على الجميع باليمن
والبركات.

(أبي رس-٣-٨١) أرامكو



إعداد :
د. محمد فتحي عبد الهادي

تعتبر مسألة تنظيم المعلومات ، وتحليلها من أهم المسائل الآن ، ومن أكثرها تعقداً في نفس الوقت في مجال المعلومات الرحبة ، وذلك لأن نتاج عمليات التنظيم والتحليل يتمثل في أدوات أو وسائل السيطرة على الإنتاج الفكري المسجل وتقديمه موصوفاً ومنظماً للباحثين .

ومن المعروف أن الظاهرة التي ترتبط بالإنتاج الفكري منذ منتصف هذا القرن تقريباً ، هي **ظاهرة تفجر المعلومات** ، والتي يمكن أن نلمسها بوضوح في الكم الهائل من الإنتاج الفكري في أشكال متعددة للنشر ، مثل **الكتب والدوريات والنشرات وتقارير البحوث وأعمال المؤتمرات والأطروحات الجامعية والأفلام والأسطوانات والصور والتسجيلات الصوتية والمرئية والمصغرات الفيلمية ، وأيضاً الأشرطة الممغنطة والأقراص الممغنطة** . . . وغيرها من أوساط أو أوعية اختزان المعلومات . ويكفي أن نعلم مثلاً ، أن **عدد المقالات العلمية يتراوح سنوياً ما بين مليون ونصف إلى مليونين ، كما أن التزايد السنوي يصل إلى ١٥٠,٠٠٠ مقالة .**

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن عدد الدول التي تقدم مساهمات فعلية في التطور العلمي على المستوى العالمي قد تزايد بشكل ملحوظ في الوقت الحاضر . وقد أدى ذلك إلى زيادة عدد اللغات المستعملة في النشر العلمي . **وبعد أن كانت لغات النشر العالمية تقتصر على الإنجليزية والألمانية والفرنسية فإنها قد تجاوزت الثلاثين لغة الآن** ، بل إن بعض هذه اللغات مثل الروسية قد تفوق على الألمانية والفرنسية في بعض المجالات العلمية .

وقد شهد القرن الحالي تعقداً في الارتباطات الموضوعية ، إذ بدأنا نجد مجالات علمية جديدة تنشأ لتغطية الفجوات بين مجالين أو أكثر ، أو تنشأ نتيجة للتشابك أو التداخل بين موضوعين أو أكثر . وقد كان لذلك أثره على كل من المحتوى الموضوعي لوسائل نشر الإنتاج الفكري ، وطرق الإفادة من هذه الوسائل . وقد أدى التعقد الموضوعي إلى تعقد احتياجات المستفيدين من المعلومات أنفسهم ، إذ أصبح الباحث يطلب معلومات جاهزة ، معلومات تم تركيبها ومقارنتها وتجهيزها بعد تجميعها من مصادر مختلفة ومن مجالات مختلفة . وأصبح يطلب هذه المعلومات بصرف النظر عن نوعيات الأوعية التي تحملها فإن ما يهمه هو المعلومات أينما وجدت . هذا بالإضافة إلى أنه يطلب هذه المعلومات بسرعة ، فالوقت أصبح عاملاً حاسماً ، إذ إن عدم وصول المعلومات إلى الباحث في الوقت المناسب قد يؤدي إلى أن يكرر الباحث جهداً سبق أن تم نتيجة لعدم علمه به في الوقت الملائم .

وهكذا أصبحت مسألة **الضبط الببليوجرافي للإنتاج الفكري** مسألة حيوية . فليست المشكلة الآن هي مشكلة توفر المعلومات أو عدم توفرها ، وإنما المشكلة هي في وسائل التعرف على المعلومات المفيدة ، وطرق الوصول إلى هذه المعلومات بسرعة .

وتتناول هذه الدراسة بالعرض والتحليل أدوات البحث والاسترجاع الببليوجرافي في العلوم الاجتماعية ، كما تناقش بعض القضايا المرتبطة بالضبط الببليوجرافي في هذا المجال ، مع الإشارة إلى احتياجاتنا في الوطن العربي .

*تصوير بكورلينس

١ ـ فئات أدوات الضبط الببليوجرافي

تتنوع أدوات الضبط الببليوجرافي ، أو أدوات البحث والاسترجاع للمعلومات الببليوجرافية من مصادر المعلومات من مجرد فهارس للمكتبات حتى مراصد أو شبكات للمعلومات الببليوجرافية . ولهذه الأدوات أهمية كبيرة في وقتنا الحاضر . فإن مصادر المعلومات ، مهما كان حجمها ، ومهما كانت ضخامة المبالغ المدفوعة فيها ، لا قيمة لها ولا فائدة منها ما لم تكن معرّفة في أدوات للباحثين يستدلون منها على هذه المصادر .

ويمكن أن تحقق الأدوات الفوائد التالية :

أ ـ تدل الباحث على المصادر الخاصة بموضوع بحثه عبر كل الامتدادات التي يرغبها الباحث ، سواء أكانت امتدادات زمنية أو مكانية أو لغوية .

ب ـ تساعد الباحث على الاختيار والانتقاء للمصادر التي يرغبها ، كما ترشده إلى مصادر لم تكن تخطر على باله .

جـ ـ تعين الباحث على التحقق من معلومات عنده ، والعمل على استكمالها أو تصحيحها .

وهكذا فإن أدوات الضبط الببليوجرافي هي مفاتيح مصادر المعلومات . وللقارئ أن يتصور مدى الوقت والجهد والتكاليف التي توفرها مثل هذه الأدوات للباحث .

فلو أن أحد الباحثين مثلاً كان يرغب في إجراء دراسة مقارنة عن **التنمية الاقتصادية في البلاد العربية** ، وكان عليه أن يطلع على المصادر الخاصة بهذا الموضوع سواء أكانت كتباً أو بحوث دوريات أو أوراق مؤتمرات . . . أو ما إلى ذلك فإنه كلما توفرت أدوات التعرف على هذه المواد واستخدمها الباحث ، كان إنجازه لبحثه أسرع وأدق وأشمل وأكثر كفاءة . وإذا كان على هذا الباحث أن يلم بما كتب من مقالات وبحوث في الدوريات مثلاً ، فإن عليه أن يتخير المقالات المتعلقة بموضوعه في المجلات الاقتصادية . وإذا افترضنا أن هناك حوالي ٥٠ دورية تشتمل على دراسات عن الاقتصاد العربي ، وأن الدورية الواحدة تصدر منها ستة أعداد في المتوسط بالعام الواحد ، فإن ذلك يعني ٣٠٠ عدد في السنة . فإن أراد أن يرجع إلى الوراء خمس سنوات فإن الحصيلة هي ١٥٠٠ عدد . وإذا كان العدد الواحد يشتمل على حوالي عشر مقالات فإن الحصيلة هي ١٥,٠٠٠ مقالة في مجال الاقتصاد عليه أن يختار من بينها ما يصلح أو ما يفيد في موضوع بحثه السابق الإشارة إليه .

ولا مجال للمقارنة بين تصفح أعداد المجلات عدداً عدداً ، وبين الرجوع إلى كشاف تحليلي يشتمل على بيانات من كل المقالات بهذه الأعداد ، فإن نظرة على موضوع « التنمية الاقتصادية » في حرف التاء في الكشاف المرتب ترتيباً هجائياً ، توفر على الباحث الكثير من الوقت والجهد والتكاليف .

أما الفئات فهي :

● ٢/١ فهارس المكتبات Library Catalog :

تعتبر فهارس المكتبات سواء في الشكل البطاقي أو في الشكل المطبوع على هيئة كتاب ، أو في غير ذلك من الأشكال من الأدوات التقليدية لاسترجاع المعلومات . وفهرس المكتبة هو ثبت بمحتوياتها ، وكلما كانت المكتبة غنية بالمطبوعات ، كان الفهرس أكثر فائدة ونفعاً . **وتتميز فهارس المكتبات بأنها تدل على مطبوعات موجودة فعلاً في المكتبات . إلا أنه يصعب الاطلاع على الفهارس خارج المكتبة إن كانت في الشكل البطاقي .**

● ٢/٢ المرشد إلى أدب الموضوع Guide to the Literature :

عادة ما يشتمل **المرشد** إلى أدب الموضوع على بيان بمصادر المعلومات الأساسية الخاصة بالموضوع ، وهي في العادة **المصادر المرجعية** مثل الببليوجرافيات والكشافات والأدلة والموسوعات وما إلى ذلك . كما قد يشتمل على مقدمات تبين حدود الموضوع ومناهج البحث فيه وأشهر المؤلفين وأبرز المؤلفات . . .

● ٢/٣ القوائم الببليوجرافية Bibliographies :

وهي تلك تعطي البيانات الببليوجرافية عن مصادر المعلومات المستقلة في العادة ، سواء أكانت نوعية واحدة فقط من تلك المصادر ، أو عدة نوعيات معاً .

وهكذا نجد ببليوجرافية تغطي الكتب الخاصة بالموضوع ، أو دورياته ، أو الأطروحات الجامعية عنه ، أو **خليطاً** من هذه النوعيات .

وتتميز الببليوجرافيات باتساع التغطية ، وباشتمالها على مصادر المعلومات الرئيسية . إلا أن من عيوبها أنها قد لا تتصف بالحداثة والمتابعة بصفة منتظمة ، كما أنها في العادة لا تشير إلى أماكن وجود مصادر المعلومات ، أي تكتفي بالإشارات الببليوجرافية إليها دون ذكر المكتبات أو مراكز المعلومات التي توجد بها هذه المصادر .

● ٢/٤ الكشافات Indexes :

تحتوي **الكشافات** في العادة على تحليل لمحتويات الدوريات ، وفي بعض الأحيان لأعمال المؤتمرات والحلقات ، وفي أحوال قليلة للأجزاء أو الفصول من الكتب ، على أن فئة مقالات الدوريات هي أهم الفئات . وتتراوح الكشافات ما بين كشاف لدورية واحدة ، أو كشاف يغطي محتويات عدة دوريات في موضوع واحد مثل التربية ، أو كشاف يغطي محتويات الدوريات ، وغيرها من أوعية المعلومات في مجال كبير مثل مجال العلوم الاجتماعية .

وتتميز الكشافات بوصف المحتويات الدقيقة لمصادر المعلومات والتي لا يعرفها الباحث بسهولة ، كما تتميز بتغطيتها للبحوث والدراسات الجارية ذات القيمة للباحثين ، وهي بالإضافة إلى هذا تتميز بالسرعة والحداثة

والانتظام في متابعة الإنتاج الفكري الدوري . إلا أن من عيوبها أنها تكتفي في العادة بالبيانات الببليوجرافية عن مصادر المعلومات فحسب .

● ٥/٢ نشرات المستخلصات Abstracts :

وهذه النشرات تعطي **ملخصات أو تعريفات** للبحوث والدراسات التي تنشر في الدوريات ، وفي غيرها من أوعية أو مصادر المعلومات ، بالإضافة إلى البيانات الببليوجرافية . وتتميز بقيمتها الكبيرة للباحث ، إذ إن الملخص أو التعريف قد يغنيه عن الرجوع إلى الأصل نفسه في بعض الأحيان . كما أن الملخص المكتوب باللغة التي يجيدها الباحث قد يكون لبحث نشر في لغة أخرى لا يعرفها هذا الباحث . ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن نشرات المستخلصات تعمد بطبيعتها إلى التخير ، أي الانتقاء للبحوث والدراسات المفيدة والنافعة . إلا أن من عيوبها عدم السرعة في متابعة الإنتاج الفكري بسبب طول الوقت الذي يستغرقه إعداد المستخلصات .

● ٦/٢ مراصد المعلومات الببليوجرافية Bibliographical Data Bases :

تعتبر **مراصد المعلومات** أحدث أشكال أدوات الضبط الببليوجرافي . وهي عبارة عن مجموعة من **التسجيلات** Records المختزنة على وسط قابل للقراءة بواسطة **الحاسب الإلكتروني** Machine Readable بهدف تقديم خدمة معلومات لمجتمع معين من المستفيدين . وهي ليست في حقيقة الأمر سوى بيانات ببليوجرافية يصحبها مستخلصات أحياناً لمقالات دوريات أو أعمال مؤتمرات أو مطبوعات أو غير ذلك ، في صورة مقروءة آلياً ، بحيث يمكن استرجاعها بسرعة هائلة ، إما بطريق الاتصال المباشر On-Line من خلال منفذ Terminal متصل بالحاسب الإلكتروني أو بطريق الاتصال غير المباشر[١] Off-Line . وهكذا فإن الاسترجاع الذي يتم عن طريق المنافذ المتصلة بالحاسب الإلكتروني يتيح التعرف على المصادر الخاصة بأي موضوع على شاشة Screen المنفذ الأشبه بشاشة التليفزيون ، كما يمكن الحصول على بيان مطبوع بهذه المصادر في نفس الوقت أو في وقت لاحق . هذا بالإضافة إلى أن من الممكن الاطلاع على الأصل نفسه بعد ذلك أو إرساله إلى الباحث في وقت لاحق .

وتتميز المراصد ، بالسرعة الهائلة في توصيل المعلومات إلى الباحث ، وفي اتساع التغطية ، وفي المتابعة والحداثة ، وفي الإجابة على الأسئلة والاستفسارات الصعبة والمعقدة . إلا أن من عيوبها التكاليف الباهظة للاسترجاع أو الاستخدام في الوقت الحاضر ، خاصة بالنسبة للمنطقة العربية البعيدة عن الأماكن التي توجد بها مراصد المعلومات الآن في الدول الأوروبية والولايات المتحدة .

٣ ـ أهم أدوات البحث والاسترجاع الببليوجرافي في مجال العلوم الاجتماعية

نستعرض في هذا القسم أهم أدوات البحث والاسترجاع الببليوجرافي في **مجال العلوم الاجتماعية** على النطاقين العالمي والعربي . ونقتصر على تلك الأدوات التي تغطي المجال ككل ، دون النظر إلى تلك التي تغطي موضوعاً واحداً من موضوعاته بسبب ضيق الحيز . ونهدف من وراء ذلك إلى تعريف الباحث في هذا المجال الحيوي بمصادر بحث الإنتاج الفكري العالمي من ناحية والإنتاج الفكري العربي من ناحية أخرى ، على أن نناقش في القسم التالي مشكلات الضبط الببليوجرافي المرتبطة بها .

● ١/٣ فهارس المكتبات المطبوعة :

تعتبر « **ببليوجرافية لندن للعلوم الاجتماعية** » من أكثر الأدوات الببليوجرافية شمولا واتساعاً في مجال العلوم الاجتماعية ، ومن أهمها بالنسبة للمكتبات الكبيرة وللباحثين في المجال .

« London bibliography of the Social Sciences.../Compiled Under the direction of B. M. Headicar and C. Fuller.-London: London School of Economics, 1931-32.-4 vols & Suppl. (vol. 5-31), 1934-1975 »

وتعد هذه الأداة بمثابة فهرس موضوعي للمقتنيات من الكتب والنشرات والوثائق المنشورة بلغات كثيرة في سائر أنحاء العالم ، تلك التي توجد بالفعل في عدد من المكتبات المتخصصة في مجال العلوم الاجتماعية بلندن .

ويشير تاريخ النشر الطويل للفهرس الذي يمتد عبر أكثر من أربعين سنة ، إلى تنوع التغطية واتساعها . فالمجلدات الخمسة الأولى تسجل الأعمال الفكرية التي توجد في تسع من المكتبات في لندن حتى منتصف عام ١٩٣١م ، من هذه المكتبات : **المكتبة البريطانية للعلوم السياسية والاقتصادية في مدرسة لندن للاقتصاد ، مكتبة جولد سميث للإنتاج الفكري الاقتصادي في جامعة لندن ، مكتبة الجمعية الإحصائية الملكية ، ومكتبة المعهد الملكي للأنثروبولوجيا** . . . أما المجلدات من السادس إلى الواحد والثلاثين فإنها تسجل ـ أساساً ـ الإضافات من المقتنيات في مكتبتين فقط هما : **المكتبة البريطانية للعلوم السياسية والاقتصادية** في مدرسة لندن للاقتصاد **ومكتبة إدوارد فراي للقانون الدولي** ، وذلك في الفترة من ١٩٣١م ، حتى سنة ١٩٧٣م[٢] .

ويمكن الوصول إلى أي مطبوع في هذا الفهرس الضخم عن طريق الموضوع ، فقد رتبت بطاقات المواد وفقاً لرؤوس موضوعات مرتبة ترتيباً هجائياً . وتوجد كشافات بأسماء المؤلفين في المجلدات الرابع والخامس والسادس تغطي المجلدات الأولى من هذا الفهرس فقط .

أما البيانات الببليوجرافية المعطاة من كل مطبوع فنجدها مختصرة في المجلدات من ١ إلى ١٤ ، وكاملة في المجلدات من ١٥ إلى ٣١ . ويرجع سبب اكتمال البيانات في المجلدات الأخيرة إلى أن هذه المجلدات تشتمل على تصوير فوتوغرافي لبطاقات الفهرسة الخاصة بالمقتنيات في المكتبتين المشار إليهما .

• وإذا كان الفهرس السابق يغطي مطبوعات العلوم الاجتماعية تغطية واسعة على النطاق العالمي ، فإن الفهرس المطبوع لمكتبة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة يمثل تغطية لا بأس بها للمطبوعات العربية في مجال العلوم الاجتماعية ، وخاصة تلك الصادرة في مصر .

« المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية . المكتبة . الفهرس المصنف لمجموعات الكتب بالمكتبة ـ القاهرة : المركز ، ١٩٧٥م » .

ويشتمل هذا الفهرس على بطاقات الكتب التي توجد بمكتبة المركز مرتبة وفقاً **لتصنيف ديوى العشري** الذي اعتمدت عليه المكتبة في تنظيم مجموعاتها .

ويعيب الفهرس إنتاجه في أعداد قليلة ، ومن ثم فإن توزيعه محدوداً ، هذا ، بالإضافة إلى عدم صدور ملاحق له تغطي الجديد من الكتب التي

أضيفت إلى المكتبة بعد نشره .

● ٢/٣ دليل هوايت :

على الرغم من أن هناك أكثر من عشرة أدلة للإنتاج الفكري الأساسي في العلوم الاجتماعية صدرت في بلاد مثل **الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وبريطانيا ، والسويد ، والهند** ، إلا أن دليل هوايت هو أهم هذه الأدلة على الاطلاق ، بل إنه الدليل القياسي Standard لمجال العلوم الاجتماعية الآن[٣] .

« White, Carl M. & Associates. Sources of information in the Social Sciences: a guide to the Literature. - 2nd ed. - Chicago: American Library Assoc., 1973.-702P. »

يتكون الدليل من تسعة فصول تتناول على التوالي الموضوعات الآتية : العلوم الاجتماعية بصفة عامة ، التاريخ ، الجغرافيا ، الاقتصاد وإدارة الأعمال ، علم الاجتماع ، الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) ، علم النفس ، التربية ، علم السياسة .

ويتألف كل فصل من قسمين رئيسيين :

أ ــ عرض ببليوجرافي ، كتب بقلم متخصص ، يتناول تاريخ العلم ومنهج البحث فيه ، مع الاستشهاد بعدد من المؤلفات الهامة والأساسية في المجال .

ب ــ قوائم مزودة بتعريفات أو شروح ، جمعها أمناء مكتبات ، للأعمال المرجعية رتبت بالشكل أو النوع مثل : أدلة الإنتاج الفكري في الموضوع ، نشرات المستخلصات ، الببليوجرافيات ، الموسوعات ، كتب الحقائق . . . كما أدرجته الدوريات في كل فئة .

ويشتمل الدليل على قائمة محتويات مفصلة ، بالإضافة إلى كشاف هجائي بأسماء المؤلفين والعناوين والموضوعات للأعمال المرجعية وغيرها المدرجة بالدليل .

وعلى الرغم من أن الدليل أعد في الأساس لطلاب الماجستير في المكتبات ، إلا أنه من الأدوات النافعة والمفيدة للباحثين والمتخصصين في مجال العلوم الاجتماعية .

● ٣/٣ القوائم الببليوجرافية :

١/٣/٣ تعتبر سلسلة الببليوجرافية الدولية للعلوم الاجتماعية من أهم الأدوات الببليوجرافية التي تغطي الإنتاج الفكري العالمي الجاري في مجال العلوم الاجتماعية « International Bibliography of the Social Sciences, 1951- »

وتتكون هذه السلسلة من أربعة مجلدات تغطي أربعة قطاعات موضوعية على النحو التالي :

International Bibliography of Economics.

International Bibliography of Political Science.

International Bibliography of Social and Cultural Anthropology.

International Bibliography of Sociology.

وعلى الرغم من اختلاف ناشري هذه السلسلة من وقت لآخر ، إلا أنها بدأت تنشر منذ أوائل الستينات بواسطة كل من Tavistock Publications **في لندن** و Aldine **في شيكاغو** .

وتغطي السلسلة ــ التي تقوم بإعدادها **اللجنة الدولية لتوثيق ومعلومات العلوم الاجتماعية باليونسكو** ــ الكتب والمقالات والنشرات والمطبوعات الحكومية الرسمية في كثير من اللغات ومنها اللغات السلافية والآسيوية وذلك منذ أوائل الخمسينات وحتى الآن في مجلدات تصدر سنوياً في كل موضوع من الموضوعات الأربعة الرئيسية .

وتعتمد السلسلة في ترتيب المطبوعات المدرجة بها على نظام تصنيف خاص ، كما أن المجلدات تشتمل على كشافات بأسماء المؤلفين والموضوعات باللغتين الإنجليزية والفرنسية .

وترجع أهمية هذه السلسلة إلى حصرها الشامل لأهم مصادر المعلومات في مجال العلوم الاجتماعية في سائر أنحاء العالم ، وإن كانت المطبوعات العربية نادرة الوجود فيها . كما أن اتصافها بالعالمية قد أدى إلى تأخرها في المتابعة لما يقرب من سنتين أو ثلاث .

فإذا انتقلنا إلى الأدوات التي تقتصر في تغطيتها على الإنتاج الفكري العربي في العلوم الاجتماعية فإننا سنجد أربعة أعمال : اثنان يتخيران أهم أو أبرز المؤلفات في المجال ، واثنان يعملان على الحصر وليس التخير .

وأول الأعمال في الفئة الأولى هو العمل الصادر عن **الجامعة الأمريكية ببيروت** بعنوان نشاط العرب في العلوم الاجتماعية .

« الجامعة الأميركية ببيروت ، نشاط العرب في العلوم الاجتماعية في مائة سنة . ــ بيروت : ــ هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية ، ١٩٦٥ م . ــ ٧٩٥ ص » .

وقد اشترك في هذا الكتاب عدد كبير من الباحثين يمثلون مصر ولبنان وسورية والعراق بما يشير إلى محاولة الهيئة المشرفة على التحرير أن تجعل علماء كل قطر عربي تحرر الفصل الخاص بذلك القطر . وقد تناول الكتاب الاقتصاد ، وعلم الاجتماع ، والتربية ، وعلم النفس ، وحاول المؤلفون إعطاء فكرة واضحة عن تطور الكتابة في هذه الحقول وخاصة في اللغة العربية وأوردوا أسماء المؤلفين ، وأسماء كتبهم . كذلك ذكر المؤلفون عناوين الأطروحات الجامعية التي حضرت في الجامعات الأوروبية والأمريكية بواسطة الطلاب العرب الذين درسوا هناك في حقل العلوم الاجتماعية[٤] .

وثاني الأعمال التي تتخير أبرز المؤلفات هو الدليل الببليوجرافي للقيم الثقافية العربية المعاصرة .

« اليونسكو . الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة . مركز تبادل القيم الثقافية بالقاهرة . الدليل الببليوجرافي للقيم الثقافية العربية المعاصرة : المجلد الثاني ــ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م . ــ ٣٣٨ ص » .

ويتناول الدليل ــ الذي قام بإعداده نخبة من المتخصصين ــ التعريف والتحليل لأهم الإنتاج الفكري العربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين في موضوعات : الاجتماع ، التربية ، وعلم النفس ، التاريخ ، الجغرافيا ، الاقتصاد ، السياسة . ومن ثم فهو أكثر اتساعاً في التغطية من الدليل السابق .

وينقسم الدليل إلى عدد من الفصول ، بحيث يبدأ كل فصل بمقدمة عامة تكون بمثابة مدخل لموضوع الفصل مع تضمينها أبرز نواحي التطور والتجديد في مجال البحث ، يتم بعدها اختيار عدد من المؤلفات الهامة ، والتعريف بها من حيث فكرتها ومضمونها بحيث تكون هذه المؤلفات منشورة ، ويمكن الرجوع إلى مصادرها . ويوجد بنهاية الدليل قائمة بالأعلام الواردة مؤلفاتهم في مختلف الفصول بها تعريف موجز لتاريخ الحياة العملية لكل شخص[٥] .

وينقص الدليل الكشافات الهجائية بالمؤلفين ، أو العناوين ، أو الموضوعات للمؤلفات المدرجة به .

أما الأدوات البيليوجرافية التي تهدف إلى حصر الإنتاج الفكري العربي في العلوم الاجتماعية فتتمثل في دليلين ، أحدهما قديم والآخر حديث . الأول صادر عن اليونسكو وهو :

« Retrospective bibliography of Social Science Works Published in the Middle East. - Cairo: Unesco, Middle East Science Cooperation Office, 1959 - 299 P. »

وملحقه :

« Middle East Social Science bibliography - Cairo: Unesco, Middle East Science Cooperation Office, 1961 - 152 P. »

ويغطي الدليل الأساسي الكتب والمقالات ، والتقارير المتعلقة بعلم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم السياسة والاقتصاد ، تلك التي نشرت في **مصر والعراق والأردن ولبنان** في الفترة من ١٩٤٥م ، إلى ١٩٥٥م ، كما يغطي الملحق الأعمال التي نشرت في تلك البلاد في الفترة من ١٩٥٥م ، إلى ١٩٦٠م . وهكذا تشتمل هذه القائمة البيليوجرافية على مسح ببليوجرافي مصنف مع كشافات بأسماء المؤلفين في الخمسة عشر عاماً التالية لانتهاء **الحرب العالمية الثانية** .

أما الدليل الثاني فهو الصادر عن **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** . « **محمد فتحي عبد الهادي** . الدليل الببليوجرافي للإنتاج الفكري العربي في العلوم الاجتماعية : علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفولكلور ـ القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩م . ـ ٢٤ ، ٧٦٠ ص » .

ويهدف هذا الدليل إلى حصر الكتب والأطروحات الجامعية التي تتناول موضوعات علم الاجتماع ، والخدمة الاجتماعية ، وعلم النفس الاجتماعي ، والأنثروبولوجيا ، والفولكلور ، تلك التي صدرت أو نشرت في البلاد العربية حتى أواخر السبعينات من القرن الحالي . وقد رتبت البطاقات الببليوجرافية للكتب والأطروحات معاً تحت رؤوس موضوعات هجائية ، مع كشافات ملحقية بأسماء المؤلفين وعناوين المطبوعات .

ومن الطبيعي ألا يتسم الحصر بالشمول المطلق بسبب عدم توفر المصادر الملائمة التي يمكن الاعتماد عليها .

● ٢/٣/٣ أدلة الدوريات والأطروحات الجامعية :

لعل أشهر دليل على مستوى العالم يعمل على حصر الدوريات في مجال العلوم الاجتماعية هو الدليل العالمي **لدوريات العلوم الاجتماعية .**

« Unesco. World List of Social Science Periodicals - 4 th ed - Paris: Unesco, 1976 »

وهذا الدليل الذي أعدته اللجنة الدولية لتوثيق ومعلومات العلوم الاجتماعية يشتمل على حوالي ١٥٠٠ دورية في مجال العلوم الاجتماعية رتبت في قسمين : **القسم الأول** خاص بالدوريات الصادرة عن المنظمات الدولية ، **والقسم الثاني** يشتمل على الدوريات الصادرة في دول العالم المختلفة . وقد رتبت هذه الدول ترتيباً هجائياً بأسمائها .

ويلحق بالدليل كشافات بالعناوين والمؤسسات والموضوعات . والبيانات المعطاة عن كل دورية هي : عنوان الدورية ، اسم الناشر ، طريقة الصدور ، تاريخ بدء الإصدار ، عدد المقالات ، الموضوعات المغطاة . . .

وعلى الرغم من أهمية الأطروحات الجامعية كمصادر أولية للمعلومات ، إلا أنه لا يوجد دليل عالمي حديث خاص بأطروحات العلوم الاجتماعية ، ومع هذا فإن نشرة « مستخلصات الرسائل الدولية » التي تصدر بالولايات المتحدة تخصص قسماً من أقسامها لأطروحات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية .

« Dissertation Abstracts International, A: The Humanities and Social Sciences: abstracts of dissertations available on microfilm or as Xerographie reproduction. - Ann Arbar, Mich.,: Xerox Univ. Microfilms, 1938 - Monthly ».

تقوم الشركة الناشرة لهذه الخدمة بالاتفاق مع عدد كبير من الجامعات الأميركية ، وبعض الجامعات الأوروبية بتصوير أطروحات الدكتوراه المقدمة لتلك الجامعات على ميكروفيلم وإتاحتها للبيع للأفراد والمؤسسات ، إما في شكل ميكروفيلمي أو في شكل ورقي . وإتماماً للفائدة تنشر الشركة هذا الدليل الشامل لما يتوفر عندها من أطروحات . وقد خصص القسم الأول من الدليل لأطروحات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية .

ويلاحظ أن الموضوعات قد رتبت ترتيباً هجائياً بأسمائها في الجزء الخاص بالعلوم الاجتماعية ، كما يلحق بالدليل كشافات شاملة بأسماء المؤلفين والعناوين . وكشاف العنوان يؤدي وظيفة الكشاف الموضوعي أيضاً لأنه من نمط كشافات الكلمات الدالة في السياق Key Word in Context .

أما البيانات المقدمة عن كل أطروحة فهي البيانات الببليوجرافية المعتادة : عنوان الرسالة ، رقم طلبها ، اسم المؤلف ، اسم الجامعة ، تاريخ الإجازة ، اسم المشرف ، عدد الصفحات . وذلك بالإضافة إلى مستخلص وافٍ يبين هدف البحث والمنهج المتبع لتحقيقه مع وصف للمحتويات والنتائج[٦] .

فإذا انتقلنا إلى أدلة الأطروحات على الصعيد العربي فإننا نجدها قليلة بصفة عامة . ولعل أهمها بالنسبة لقطاع العلوم الاجتماعية الدليل الصادر عن مركز التنظيم والميكروفيلم .

« **مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم** . الدليل الببليوجرافي للرسائل الجامعية بمصر : الإنسانيات ـ القاهرة : المركز ، ١٩٧٦م » .

ويشتمل هذا الدليل على بيانات ببليوجرافية وتعريفات لأطروحات الماجستير والدكتوراه التي أجازتها الجامعات المصرية سواء لباحثين مصريين أو عرب أو أجانب ، وذلك منذ أوائل القرن العشرين حتى منتصف السبعينات تقريباً .

وقد رتبت الأطروحات تحت رؤوس موضوعات هجائية دقيقة ، مع ملاحظة أن الدليل يغطي الإنسانيات والعلوم الاجتماعية معاً في ترتيب واحد .

وهناك تحت الطبع الآن **دليلاً لأطروحات العلوم الاجتماعية قام بإعداده مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم أيضاً .**

ويشتمل هذا الدليل الجديد على بيانات ببليوجرافية ومستخلصات جيدة لحوالي ١٢٠٠ أطروحة ماجستير ودكتوراه قدمها باحثون مصريون وعرب للجامعات العربية والأجنبية . وهذه الأطروحات موجودة **بالمكتبة المركزية لجامعة عين شمس بالقاهرة** ، وهي مصورة على ميكروفيلم بالإضافة إلى الأصول الورقية لها .

وقد رتبت الأطروحات في هذا الدليل ترتيباً مصنفاً وفقاً لنظام التصنيف

العشري العالمي كما زود الدليل بكشافات بأسماء المؤلفين وعناوين الرسائل والموضوعات، والجامعات.

● ٤/٣ خدمات التكشيف والاستخلاص:

١/٤/٣ خدمات التكشيف:

تحظى مقالات وبحوث الدوريات باهتمام كبير من جانب الباحثين، ومن ثم فهي تحظى أيضاً باهتمام كبير من جانب خدمات التكشيف والاستخلاص. وهناك ثلاثة كشافات على المستوى العالمي تهدف إلى تغطية البحوث والدراسات التي تنشر في الدوريات، **ثم هناك محاولة عربية رائدة على وشك الصدور تهدف إلى تغطية الإنتاج الفكري العربي الدوري في مجال العلوم الاجتماعية.**

أول الكشافات هو **«كشاف العلوم الاجتماعية» الذي تصدره شركة ويلسون** «Social Sciences Index, 1974 – New York: Wilson, 1974 –».

وكان يصدر منذ سنة ١٩٦٥م، بعنوان Social Sciences & Humanities Index ثم أصبح يصدر ابتداء من (يونيو) (حزيران) ١٩٧٤م، بالعنوان الجديد في أعداد فصلية، ثم في مجلد سنوي تركيمي.

ويعمل هذا الكشاف على تحليل محتويات حوالي ٢٧٠ دورية تصدر في دول العالم المختلفة، وإن كان التركيز على ما يصدر بالولايات المتحدة، وذلك في موضوعات: الأنثروبولوجيا، الدراسات الإقليمية، الاقتصاد، دراسات البيئة، الجغرافيا، القانون، الجريمة، السياسة، علم النفس، الإدارة العامة...

ويشتمل الكشاف على مداخل المؤلفين والموضوعات للمقالات في ترتيب هجائي واحد، ثم قسم خاص بعروض الكتب التي نشرت في الدوريات Book Reviews مرتبة بأسماء مؤلفي الكتب. وتفيد قائمة الدوريات التي تم تحليلها، والتي تتصدر كل عدد، في التعرف على أهم الدوريات المتخصصة الجارية في مجال العلوم الاجتماعية.

أما خدمة التكشيف الثانية في المجال فهي نشرة خدمة معلومات الشؤون العامة.

«Public Affairs Information Service. Bulletin of the Public Affairs Information Service. - New York: The Service, 1915 - »

تصدر هذه الخدمة في ثلاثة أشكال: نشرات أسبوعية – تركيبات تُنشر خمس مرات في السنة – مجلد سنوي دائم [عبارة عن الإصدارة التركيمية الخامسة]. وهي تعتبر أفضل خدمات التكشيف الموضوعية باللغة الإنجليزية في المجال بسبب تتابعها الأسبوعي وشمول التغطية فيها، إذ إنها تغطي مقالات الدوريات [تكشيف مختار لحوالي ألف دورية تنشر باللغة الإنجليزية في سائر أنحاء العالم] بالإضافة إلى الكتب والوثائق الحكومية، والنشرات، وتقارير الهيئات العامة والخاصة، والمواد شبه المطبوعة... وذلك في موضوعات الأحوال الاقتصادية، والاجتماعية، والإدارة العامة، والعلاقات الدولية.

ويشتمل المجلد السنوي من هذه الخدمة على دليل بأسماء الناشرين والمنظمات بالإضافة إلى قائمة بالمطبوعات المحللة وقائمة بالدوريات المكشفة.

ويبدو أن نجاح خدمة التكشيف هذه وانتشارها قد دعا المسؤولين عنها إلى عمل نفس الشيء بالنسبة للغات الأخرى غير الإنجليزية، ولذلك بدأت الهيئة الناشرة تنشر كشافاً بعنوان Foreign Lenguage Index, v.1 - 1968/1971 - يصدر في أعداد فصلية وبحيث يصبح العدد الأخير من السنة هو التجميع السنوي الدائم. ويتناول هذا الكشاف بالتحليل محتويات المواد المكتبية في مجالات الاقتصاد والشؤون العامة المنشورة في لغات أخرى غير الإنجليزية مثل: **الفرنسية – الألمانية – الإيطالية – البرتغالية – الإسبانية**(٧).

ويمثل «كشاف الاستشهادات المرجعية للعلوم الاجتماعية»

الفرنسية – الألمانية – الإيطالية – البرتغالية – الإسبانية(٧).
ويمثل «كشاف الاستشهادات المرجعية للعلوم الاجتماعية»

نمطاً فريداً من التكشيف. «Social Sciences Citation Index, 1970 – Philadelphia: Institute For Scientific Information, 1973 – »

يعتمد التكشيف في هذه الخدمة على الفرض القائل بأن الارجاعات البيبليوجرافية لمؤلف مادة منشورة سابقاً تشير إلى نوع من العلاقة الموضوعية بين مقالة جديدة، ومطبوعات أقدم. وبناء على هذا فإن كشاف الاستشهاد المرجعي للإنتاج الفكري الدوري يجمع معاً كل المقالات المنشورة حديثاً التي أشارت إلى المطبوع الأقدم، والمطبوع الأقدم يصبح مصطلح تكشيف للمقالات الحديثة المتعلقة بنفس الموضوع.

ويصدر الكشاف ثلاث مرات في السنة، والعدد الثالث هو المجلد السنوي الدائم. ويعمل الكشاف على تحليل كل مقالة، أو مادة تحريرية ذات أهمية مما يزيد على (١٤٠٠) دورية في مجال العلوم الاجتماعية، بالإضافة إلى مقالات «اجتماعية» من مجلات تقع في مجالات أخرى غير العلوم الاجتماعية. وسوف نجد أن تغطيته لموضوعات العلوم الاجتماعية تغطية واسعة للغاية إذ يغطي موضوعات: الأنثروبولوجيا، العلوم السلوكية، إدارة الأعمال، علم النفس، علوم الاتصال، علم الجريمة، السكان، الاقتصاد، التربية، علم البيئة، العلاقات الدولية، علم الاجتماع، الإحصاء، علم المكتبات والمعلومات، القانون، السياسة...

يشتمل الكشاف على ثلاثة أقسام رئيسية: (أ) كشاف أو قسم الاستشهادات. (ب) كشاف أو قسم المصادر. (جـ) كشاف أو قسم التباديل الموضوعة.

أما كشاف الاستشهادات فهو مرتب هجائياً تحت أسماء مؤلفي الأعمال المستشهد بها. ويشتمل المدخل الخاص بالعمل المستشهد به على اسم المؤلف، وتاريخ نشر العمل، واسم المجلة، أو المطبوع الذي ظهر فيه ورقم المجلد، ورقم الصفحة. أما الأعمال التي وردت بها الاستشهادات (المصادر) فإنها ترتب هجائياً بالمؤلف تحت كل عمل استشهدت به. وتشمل البيانات الخاصة بكل مصدر اسم المؤلف، واسم المجلة التي نشر بها المصدر ثم تاريخ النشر ورقم المجلد والصفحة.

وأما كشاف المصادر فهو مرتب هجائياً وفقاً لأسماء مؤلفي المقالات التي تم تحليلها والتي وردت بها الاستشهادات. ويلاحظ أن البيانات البيبليوجرافية المعطاة عن كل مقال مكتملة في هذا القسم مع إشارة إلى عدد المراجع التي تشتمل عليها ببليوجرافية المقال الذي تم تحليل استشهاداته.

والعنصر الرئيسي الثالث هو **كشاف التباديل الموضوعي**، حيث يستخدم الحاسب الإلكتروني في إعادة ترتيب الكلمات الهامة الواردة في كل عنوان أو عنوان فرعي لكل مادة وردت في كشاف المصادر، وفقاً لمختلف الأوجه الممكنة... والكشاف مرتب هجائياً وفقاً للمصطلحات الموضوعية

الأساسية ، ويتم إبراز جميع المصطلحات المصاحبة التي ترد مع مصطلح أساسي معين ، وتسجيلها في ترتيب هجائي تحت ذلك المصطلح الأساسي ، كما يتم الربط بين كل مصطلح مصاحب واسم المؤلف الذي يشتمل عمله على هذا المصطلح ، والمصطلح الأساسي الذي يصاحبه[٨] .

وبالإضافة إلى فائدة الكشاف في أغراض البحث بالموضوعات أو بأسماء المؤلفين ، فإنه يفيد في الدراسات التقييمية للإنتاج الفكري في المجال .

وعلى الصعيد العربي نجد أن المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في العلوم الاجتماعية على وشك إصدار « **الكشاف العربي للعلوم الاجتماعية** » .

ويهدف هذا الكشاف الرائد إلى تحليل محتويات أكثر من مائة دورية متخصصة في مجال العلوم الاجتماعية تصدر في سائر أنحاء الوطن العربي . وذلك في الفترة من ١٩٧٧م ، إلى ١٩٧٩م .

وقد رتبت البطاقات البيبليوجرافية للمقالات والدراسات التي تشتمل على اسم المؤلف ، وعنوان المقال ، واسم المجلة ، ورقم المجلد ، والعدد ، وتاريخه ، وأرقام الصفحات التي يشغلها المقال ، رتبت البطاقات تحت رؤوس موضوعات هجائية ، كما ألحق بالكشاف الموضوعي قسماً يختص بعروض الكتب التي وردت في الدوريات مرتبة بأسماء مؤلفي الكتب . ويلي هذا القسم كشاف هجائي بأسماء مؤلفي المقالات .

وإذا كانت الأعمال السابقة تتعلق كلها بالبحوث والدراسات التي تنشر في الدوريات ، فإن هناك بعض الأدوات التي تعمل على تغطية أعمال المؤتمرات لعل أهمها الأداة التالية :

« Directory of Published Proceedings. Series SSH: Social Sciences/Humanities. – V. I, Jan. 1968 – White Plains, N. Y.: Inter dok Corp., 1968 – »

ويغطي هذا الكشاف الذي يصدر في أعداد فصلية ثم في مجلد سنوي **أعمال المؤتمرات والاجتماعات** . . . إلخ ، في كل موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانيات . وهو يعتمد على الترتيب الزمني (في كل إصدارة) بتاريخ المؤتمر ، مع كشافات بأسماء المحررين والأماكن والموضوعات .

● **٣/٤/٢ خدمات الاستخلاص :**

تعتبر خدمة الاستخلاص التي تصدرها المؤسسة القومية للعلوم السياسية بباريس ، والمتعلقة بالنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية من أشهر خدمات الاستخلاص في المجال .

« Fondation Nationale des Sciences Politiques. Bulletin Analytique et documentation Politique, economique et Sociale contemporaine. – Paris: Presses Universitaires de France. 1946 – »

وتشتمل هذه الخدمة الشهرية في ترتيب مصنف وفقاً لنظام خاص على مستخلصات لمقالات مختارة من حوالي ٢٢٠٠ دورية فرنسية وغير فرنسية . وهي مزودة بكشاف موضوعي سنوي ، لكنها لا تشتمل على كشاف بأسماء المؤلفين .

● **٣/٥ مراصد المعلومات البيبليوجرافية :**

شهدت السنوات الأخيرة تزايداً كبيراً في عدد مراصد المعلومات البيبليوجرافية Data Bases في مجال العلوم الاجتماعية بموضوعات مختلفة . وطالما أنه لا توجد مراصد معلومات تغطي المجال ككل – على حد علم الكاتب – فإنه من الصعب تناول تلك المراصد التي تتناول موضوعات بعينها . على أنه من المفيد الإشارة إلى أن موضوعات علم النفس والتربية ، وما يرتبط بهما من القطاعات الفرعية أو المجاورة قد حظيت بعدد غير قليل من مراصد المعلومات .

كما أنه من المفيد أيضاً الإشارة إلى الدليل الذي يغطي مراصد المعلومات في العلوم الاجتماعية والسلوكية .

« Sessions, Vivian. Directory of data bases in the Social and behavioral Sciences. – New York: Science Associates, Inc., 1974. »

يشتمل هذا الدليل على بيانات ببليوجرافية ، ومعلومات عن المحتوى لأكثر من ألف وخمسمائة مرصد معلومات في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية سواء في الولايات المتحدة أو في دول أخرى .

ويعطي الدليل – المرتب هجائياً بالعنوان والمزود بكشافات بالموضوعات والمؤسسات والأشخاص والأماكن الجغرافية – البيانات التالية :

العنوان ، رقم التليفون ، الشخص المسؤول ، الموضوع الأساسي والموضوعات الفرعية ، التجهيزات المادية الخاصة بالكمبيوتر Hard Wore واللغة المستخدمة[٩] .

ملاحظات

ويجمل بنا في ختام هذا العرض لأدوات البحث والاسترجاع في العلوم الاجتماعية أن نشير إلى الملاحظات العامة التالية ، وهي كلها متعلقة بضبط الإنتاج الفكري العربي في المجال :

● عدم اهتمام المكتبات العربية الكبيرة في المجال بنشر فهارس مطبوعة لمقتنياتها من مصادر المعلومات ، ربما فيما عدا حالات فردية نادرة .

● لا تشتمل الأدلة العالمية للإنتاج الفكري في المجال على تغطية معقولة ، أو شبه معقولة للإنتاج الفكري العربي بسبب بعد المنطقة العربية عن مراكز النشر الرئيسية في أوروبا وأمريكا ، أو بسبب استخدام اللغة العربية في الكتابة وصعوبة النقل الصوتي للحروف العربية إلى الأبجدية اللاتينية . وذلك يدعو المكتبات ومراكز المعلومات العربية إلى ضرورة الاتصال بناشري تلك الأدلة وتزويدها بالبيانات الملائمة عن مصادر المعلومات العربية .

● لعله من الواضح أن هناك فجوات كثيرة في تغطية الإنتاج الفكري العربي في المجال في مختلف فئات مصادر المعلومات . فلا دليل للدوريات الاجتماعية . والدراسات المنشورة في الدوريات لا تحظى بالتكشيف ، ربما فيما عدا الكشاف الذي يغطي ثلاث سنوات فقط . ولا يوجد أي دليل يعمل على بيان البحوث والدراسات التي قدمت إلى مؤتمرات أو حلقات أو ندوات عقدت في المنطقة العربية رغم كثرة عددها . كذلك نلاحظ النقص الواضح في نشرات الاستخلاص التي تقدم تعريفات بمحتوى مصادر المعلومات .

ويقع على عاتق الهيئات والمنظمات الإقليمية في المنطقة العربية عبء تغطية هذه الفجوات ومتابعة الإنتاج الفكري العربي وملاحقته بصفة منتظمة ، فكلما مضى الوقت تضخمت مشكلة الضبط البيبليوجرافي وزادت حدتها . ونحن لا تعوزنا مصادر المعلومات بقدر ما نحن بحاجة إلى الأدوات المنهجية التي

تتيح لنا الاستفادة من هذه المصادر بسرعة وفي سهولة وبأقل جهد ممكن.

٤ - بعض مشكلات الضبط الببليوجرافي واحتياجاتنا في المنطقة العربية

● ٤/١ نبدأ بالوصف الببليوجرافي، أي تلك العناصر أو البيانات التي تشكل في مجموعها وصفاً لمصدر المعلومات أياً كان نوعه، لنجد أنه من الضروري أن يعتمد الوصف على تقنين قياسي. فإذا استعرضنا **التقنيات** Codes المعدة لهذا الغرض وجدنا أن أشهرها **التقنين الدولي للوصف الببليوجرافي** International Standard Bibliographic Description (1SBD) الذي صدر عن **الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات**. وقد قصد من هذا التقنين أن يستخدم في وصف مصادر المعلومات في فهارس المكتبات، وفي الببليوجرافيات على النطاق العالمي، وتمت صياغته بحيث يتلاءم مع متطلبات العصر الحالية، وخاصة في تحويل التسجيلات الببليوجرافية من الشكل التقليدي إلى الشكل الذي يقرأ آلياً. وقد صدرت الطبعة المعيارية الأولى من التقنين الخاص بوصف الكتب وما في حكمها عام ١٩٧٤م، (طبعة مراجعة سنة ١٩٧٨م)، وتوالت بعد ذلك التقنيات الخاصة بوصف النوعيات الأخرى من مصادر المعلومات مثل الدوريات والخرائط والموسيقى المطبوعة وما إلى ذلك.

وجدير بالذكر أن هذا التقنين يختص بالعناصر أو البيانات الوصفية فقط، أي لا يتناول المداخل الخاصة بالأسماء والعناوين، على اعتبار أنه قد سبق صدور بيان للمبادئ التي يعتمد عليها في اختيار المداخل وأشكالها في باريس أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٦١م.

وعلى أي الأحوال، فإن التقنين الدولي للوصف الببليوجرافي يعتبر إضافة لها وزنها، فهو يسهل التبادل الدولي للمعلومات الببليوجرافية عن طريق تقنين العناصر التي تستخدم في الوصف الببليوجرافي، وتحديد ترتيب هذه العناصر في البطاقة، وتخصيص نظام محكم للرموز التي تستخدم في ترقيم هذه العناصر[١٠].

ومن التقنيات الأخرى التي تكاد تتسم بالصبغة العالمية قواعد الفهرسة الأنجلو - أمريكية Anglo-American Cataloguing Rules (AACR) التي صدرت طبعتها الثانية المعدلة في أواخر عام ١٩٧٨م. وهذا التقنين صاحب التاريخ الطويل، من إعداد أكبر الهيئات والمؤسسات المعنية بالمكتبات والمعلومات في الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا. وقد حظي باهتمام في الدول الأوروبية الغربية، بل وفي عدد كبير من الدول الأخرى التي قامت بترجمته وتطبيقه. وقد راعت الهيئات القائمة بالإعداد أهمية أن يتوافق التقنين مع المبادئ الخاصة بالمداخل سنة ١٩٦١م، كما راعت أيضاً مسألة التوافق مع التقنين الدولي للوصف الببليوجرافي. ويقع التقنين في مجلد واحد يغطي عناصر الوصف والمداخل، حيث يبدأ بالقواعد العامة للوصف، ثم القواعد الخاصة بوصف كل نوعية من نوعيات مصادر المعلومات على حدة. ويتناول بعد ذلك قواعد اختيار المداخل وأشكالها لمختلف مصادر المعلومات.

ومشكلتنا في الوطن العربي، عدم وجود تقنين عربي موحد يعتمد عليه في وصف مصادر المعلومات العربية، وإن بذلت جهود رائدة في هذا الصدد، أبرزها التعريب الذي أعده **الدكتور سعد الهجرسي**[١١] لأبرز القواعد الخاصة بالمداخل، ولقواعد الوصف في الفصول المراجعة من **قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية** قبل صدور الطبعة الثانية منها.

ولعله من الضروري إذن الاتفاق على البدء في ترجمة أحد التقنينين السابقين في أحدث طبعاته [وإن كنت أحبذ التقنين الأنجلو - أمريكي] ترجمة كاملة وتوزيعها على المختصين لإبداء الرأي، ولإدخال بعض التعديلات والإضافات، بما يتفق مع طبيعة الأسماء العربية، ومصادر المعلومات العربية، مع ضرورة التوافق مع التقنين العالمي حتى نجد في النهاية نصاً عربياً موحداً ومعتمداً.

● ٤/٢ يعتبر تصنيف مؤلفات العلوم الاجتماعية مشكلة من المشكلات الواضحة. فإذا نظرنا إلى نظم التصنيف العالمية فإننا نجد أنها لا تغطي العلوم الاجتماعية تغطية كافية، فتصنيف ديوي العشرين مثلاً، الذي صدرت طبعته التاسعة عشر عام ١٩٧٩م، يخصص للعلوم الاجتماعية قسماً واحداً من بين عشرة أقسام، بالإضافة إلى موضوعات اجتماعية مبعثرة هنا وهناك في الأقسام الأخرى. والتصنيف العشري العالمي يهتم بموضوعات العلوم والتكنولوجيا أكثر بكثير من اهتمامه بالموضوعات الاجتماعية والإنسانية. وهذه الخطط العامة وغيرها تصلح للمواد العامة وللمكتبات العامة أكثر من صلاحيتها للببليوجرافيات المتخصصة والمكتبات المتخصصة ومراكز التوثيق في المجال.

وعلى الرغم من أن **باربارا كايل** حاولت إعداد نظام تصنيف وجهي للعلوم الاجتماعية أواخر الخمسينات لتصنيف الإنتاج الفكري المتخصص في المجال، إلا أن محاولتها جاءت غير مفصلة. وقد رأت اللجنة الدولية لتوثيق العلوم الاجتماعية تبني هذه الخطة للاعتماد عليها في تصنيف محتويات سلسلة الببليوجرافية الدولية للعلوم الاجتماعية التي تقوم بإعدادها، إلا أنها تبنت أخيراً خطة تختلف عن الخطة الأصلية لكايل. وهناك بالطبع نظم تصنيف خاصة بموضوع أو أكثر من موضوعات العلوم الاجتماعية.

وهكذا تصبح مشكلة مراكز التوثيق العربية في المجال، ضرورة اختيار خطة من بين الخطط السابقة، وخاصة خطة تصنيف الببليوجرافية للعلوم الاجتماعية للنظر فيها واختبارها لمعرفة مدى صلاحيتها للتطبيق على مجموعاتها وعلى الأدوات الببليوجرافية الصادرة عنها. وقد يتطلب الأمر وضع خطة عربية للتصنيف، ذلك لأن جوانب كثيرة من العلوم الاجتماعية هي جوانب محلية لا نجد لها معالجة كافية في الأنظمة العالمية.

★ قاعة من قاعات المطالعة ★

● ٤/٣ ومن المعروف أن الفهرسة الموضوعية لأوعية المعلومات التقليدية مثل الكتب تعتمد على قوائم رؤوس الموضوعات القياسية والمقننة. وعلى الرغم من أن هناك قوائم عالمية لرؤوس الموضوعات الإنجليزية [مثل قائمة مكتبة الكونجرس الأمريكية] تغطي موضوعات المعرفة البشرية كلها، إلا أنه ليست هناك قوائم خاصة بمجال العلوم الاجتماعية وحده، وإن كان من الممكن بالنسبة للمواد الأجنبية الاستفادة من قائمة مكتبة الكونجرس، ومن رؤوس الموضوعات المستخدمة في الببليوجرافيات والكشافات بالمجال.

وعلى الصعيد العربي لا توجد قائمة عربية موحدة لرؤوس الموضوعات، وإن كانت هناك محاولات رائدة في هذا الصدد مثل قائمة رؤوس الموضوعات العربية [**إبراهيم الخازندار**] ومثل رؤوس الموضوعات العربية [**مكتبة جامعة الرياض**]. ومن المحاولات الجديرة بالعناية والنظر بالنسبة لمجال العلوم الاجتماعية قائمة رؤوس الموضوعات العربية في العلوم الاجتماعية[١٢] والتي طبقت في بعض الأدوات الببليوجرافية العربية بالمجال.

● ٤/٤ أما التكشيف أو تحليل محتويات أوعية المعلومات مثل مقالات الدوريات وأعمال المؤتمرات فإنه يعتمد على **المواصفات** Standards أو الخطوط الإرشادية للعمل من ناحية **والمكانز** Thesauri من ناحية أخرى .

ولا توجد مواصفة عالمية وإنما كل ما هناك **مسودة** Draft أعدتها **اليونسكو** عام ١٩٧٥ م[١٣] ، كما أن هناك مواصفات وطنية للتكشيف أبرزها **مواصفة الولايات المتحدة**[١٤] **ومواصفة بريطانيا**[١٥] . كذلك الحال بالنسبة للاستخلاص . ومن ثم فنحن نحتاج إلى مواصفة عربية للتكشيف ، وأخرى للاستخلاص ، تشتمل على القواعد أو التعليمات الأساسية التي تتبع عند القيام بالتكشيف أو الاستخلاص .

ولا يوجد مكنز عالمي يغطي قطاع العلوم الاجتماعية ككل ، إلا أن أبرز المكانز التي غطت العلوم الاجتماعية مع موضوعات أخرى هو **مكنز اليونسكو** Unesco Thesaurus ومن ثم يمكن اقتباس الجزء الخاص بمصطلحات العلوم الاجتماعية ووضع المصطلحات العربية المقابلة لها واعتمادها . وهناك بعض الدراسات التي تتناول الجوانب المختلفة لإعداد المكانز أو قوائم المصطلحات بالعربية يمكن الاستفادة منها[١٦] .

● ٥/٤ وإذا كنا نعمل على إتاحة البيانات الببليوجرافية في شكل مقروء آلياً ، فإنه من الضروري توفر شكل للاتصال Format ، وهناك الآن شكل اتصال عالمي صدر بعنوان UNIMARC : Universal MARC Format ، كما أن هناك أشكال الاتصال التي صدرت عن المكتبات ومراكز المعلومات في عدة دول أبرزها ما صدر عن مكتبة الكونجرس بالولايات المتحدة[١٧] . وهذه مسألة تستحق النظر في وطننا العربي .

● ٦/٤ يتطلب إدخال بيانات مصادر المعلومات العربية في نظم الضبط الببليوجرافي العالمية ، أو إدخال بيانات مصادر المعلومات باللغات الأخرى في نظم الضبط الببليوجرافي العربية النظر في عدة أمور فنية ، لعل من بينها قواعد النقل الصوتي للحروف من اللغة العربية إلى لغة أخرى أو من تلك اللغة إلى اللغة العربية .

● ٧/٤ لعله من الملاحظ بوضوح عدم توفر القوى البشرية العربية المؤهلة والمدربة على إنجاز عمليات الضبط الببليوجرافي . ومن المعروف أن هذه العمليات هي عمليات فنية تستلزم جهود الكثيرين من الأخصائيين . ويقع على عاتق أقسام دراسات المكتبات والمعلومات بالجامعات العربية ، وكذلك المنظمات والمراكز الإقليمية العربية الجهد الأكبر في تأهيل وإعداد وتدريب الكوادر البشرية .

● ٨/٤ وختاماً ، فإن من الضروري توفر الأجهزة الوطنية للخدمات الببليوجرافية في البلاد العربية . فعلى الرغم من أن هناك الكثير من الدول العربية التي تصدر الآن ببليوجرافيات وطنية ، إلا أن النمط المتبع في إعدادها ليس مقنناً ، وليس موحداً ، هذا بالإضافة إلى أنها تكاد تقتصر في تغطيتها على الكتب وحدها . ومعنى ذلك أن الدوريات والأطروحات الجامعية وغيرها من مصادر المعلومات لا تحظى بضبط ببليوجرافي متكامل . **وإذا كنا نبغي بناء مرصد معلومات ببليوجرافي واحد متكامل للإنتاج الفكري العربي ، فإن من الضروري أن تسهم كل دولة بنصيب في هذا البناء . ولن يتأتى ذلك إلا بعد أن تقوم كل دولة بالضبط الببليوجرافي للإنتاج الفكري الصادر فيها أولا .**

المراجع

(١) محمد فتحي عبد الهادي : التكشيف وإعداد الكشاف العربي للعلوم الاجتماعية ، القاهرة : المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في العلوم الاجتماعية ، ١٩٧٩ م ، ص ١٧ .

(٢) Walford, A. J. Guide to reference material.-32ded .-London: The Library Association, 1975.-vol. 2

(٣) Sheehy, E. P. Guide to reference books.-9th ed.-Chicago: American Library Association, 1976.-P 429

(٤) محمد ماهر حمادة : المصادر العربية والمعربة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٢ م ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠ .

(٥) الدليل الببليوجرافي للقيم الثقافية العربية المعاصرة : المجلد الثاني ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م .

(٦) Dissertation Abstracts International, A: The Humanities and Social Sciences.-Ann Arbar, Mich.: Xerox Univ. Microfilms, 1979.

(٧) Sheehy, E. P. Guide to reference books.-9th ed.-Chicago: A. L. A., 1976.-P 432.

(٨) حشمت قاسم : كشافات الاستشهاد المرجعي وإمكاناتها الاسترجاعية ، المجلة العربية للمعلومات ، مج ٢ ، ع ٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٠ م . ــ ص ١٤ ــ ١٦ .

(٩) Stevens, Rolland E. Reference books in the Social Sciences and humanities.-4th ed.-Champaign, I11., Stipes Publishing Co., 1977.-P8.

(١٠) محمد فتحي عبد الهادي : المدخل إلى علم الفهرسة ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٧٩ م ، ص ٤٦ ــ ٤٧ .

(١١) سعد محمد الهجرسي : التقنيات العصرية للوصف الببليوجرافي ، تعريبات وتأصيلات وإرشادات ، ط ٢ ، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٦ م ، ٣ مج .

(١٢) محمد فتحي عبد الهادي : قائمة رؤوس الموضوعات العربية في العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ١٩٦ ص .

(١٣) Unesco. Indexing Principles. -Paris: Unesco, 1975.-10P. [First Draft].

(١٤) USA Standard. basic criteria For indexes.-1968.-12P.

(١٥) The Preparation of indexes to books, Periodicals and other Publications.-London: British Standards Institute, 1976.-8P.

(١٦) محمد فتحي عبد الهادي : تقنين وضبط المصطلحات في المكانز ، المجلة العربية للمعلومات ، ع ٣ (١٩٧٩ م) ، ص ١ ــ ١٧ ، والعلاقات المتبادلة بين الواصفات في المكانز . ــ المجلة العربية للمعلومات ، ع ٤ (١٩٨٠ م) ، ص ٢٥ ــ ٣٧ ، وتنظيم وعرض المصطلحات في المكانز . ــ مجلة المكتبات والمعلومات العربية ــ ع ١ (١٩٨٠ م) .

(١٧) سعد محمد الهجرسي : قضية الاختزان والاسترجاع الإلكتروني للمعلومات الببليوجرافية ، مع نموذج معياري لأشكال الاتصال . ــ القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧ م ، ١٤٤ ص .



بقلم : غالب حمزة أبو الفرج

أحلام العصافير

جمال الحياة يكمن في قدرة الإنسان على التكيف مع واقعها وظروفها . فعيون البشر تختلف في نظرتها لمفهوم الجمال ، لأن النظرة في حد ذاتها تختلف بين إنسان وإنسان .

فشواطئ الحياة ملأى بالأشواك والورود ، يراها من يراها كل من زاويته التي يجيد عن طريقها تلمس حقائق هذا الكون وتصاريفه ، فدنيا الإنسان كثيراً ما تكون في حاجة إلى قدرات أولئك الذين يملكون في شغاف قلوبهم أحاسيس مرهفة تبدو من خلال نظرتهم الدقيقة والعابرة في آن واحد ، لهذه الدنيا الواسعة .

وهو في هدأة الليل ينظر إلى **النجوم** التي بدت أمام عينيه أشبه بقناديل مضيئة جميلة تشغل أكبر حيز من تفكيره ، فعناصر الخير في هذه **الصحراء** تمتد جذورها عبر هذه **الجبال والأودية والهضاب والرمال المتحركة** ، التي بدت من بعيد أكثر صلة بالحياة نوعاً ولوناً وشكلاً ، فدروب الصحراء ليست من السهولة بحيث تستطيع أن تطرقها كل الأقدام سوى تلك التي تعرف كيف تستدل علينا عبر هذه النجوم المضيئة .

لكنه يعرف معنى هذا الصمت الذي يحيط بدنياه ليرى من خلال ما يراه صوراً كان عقله يختزنها منذ سنوات طويلة يوم كان هنا يعيش على هذه الأرض ويتنفس .

فأعذب الألحان سمعها تشدو بها طيور الصحراء في هجرتها الدائبة ، وكأنها في هذه الهجرة تحاول أن تشق طريقها بقوة من يدرك معاني الوصول إلى الهدف ، وملء نفسها شعور بالأمان والاطمئنان .

ترى من يدرك سمو الإنسان ورغبته على معايشة الأرض التي أحب ، وكأنه عندما يتجول عبرها ، يحس بشعور الراحة يدغدغ نبضات قلبه التي تخفق .

فلطالما أحب الأرض والناس ، وعرف من خلال تجواله صغيراً ، كل ركن في هذه القرية الوادعة التي تمتد عبر الصحراء في شموخ وإباء ، تطل على مشارف المدينة ، وكأنها تتيه على كثير من القرى والهجر .

قد تكون بعض معالم القرية قد أخذت شكلاً جديداً مغايراً للأمس ، لكنه لا يزال يتصورها كما كانت **بيوت اللبن** البسيطة تنزرع على الأرض في استقامة خالها شيئاً لا يمكن أن يضاهى حتى إذا ما غدت به سنوات العمر عرف أشياء كثيرة ، وشاهد مدناً جميلة ، لكنه مع كل ما شاهد ، يجد صورة قريته « **المسيجيد** » تطل من بين تلافيف عقله بهية المنظر شيقة المظهر رغم بساطتها وبيوت السقى التي كانت مرتعاً لكثير من الرعاة كانوا أصدقاءه يوم كان يعيش في تلك القرية ، فظروف القرية لا يمكن أن يظل على منوال واحد طوال كل هذه السنين .

ويستغرق بفكره عبر أجواء الماضي ربما هناك من يحاول دائماً أن يهرب من الماضي ، فينساه ، أو يخشاه ، لكنه هو من نوع يغاير كل هؤلاء .

فعلى الرغم من قساوة الحياة التي عاشها على هذه الأرض ، ورغم شظف العيش الذي صادف ، لكن ذكرى تلك الأيام تظل تلاحق أفكاره وتمنحه القدرة على أن يصنع كل ما صنع ، فالطموح صفة من صفات إنسان هذه الصحراء الخيرة .

لطالما ألهمته عيون بنات القرية لوحاته التي رسمها في القرية في عفوية وكأنها قد حفرت بفعل الزمن في وعيه الباطن الذي انطلق يجسده هناك يوم كان يعيش في **مدينة باريس** اللاهية، صحيح كان هناك فارق كبير بين دراسته الرسمية التي كان يتلقاها في **السوربون**، وهوايته التي أحب، والتي شغل بها كثيراً عن أشياء كثيرة فتنت زملاءه الذين كانوا يعيبون عليه دائماً نظرته الصحراوية التي كان يعبر بها من خلال لوحاته التي يذكرها.

فلقد كانت مجموعات اللوحات التي قدمها في أول معرض أقامه في أحد فنادق المدينة الكبيرة تعبر بصدق عن أجواء يراها الأوروبي من زاوية حبه وتطلعه لمعرفة المزيد عن هذه الأرض التي أحب، والتي يسمونها مجازاً الصحراء.

وفازت لوحته التي اسمها «**سمراء**» بترحيب كبير من النقاد الذين قالوا عنها بأنها مزيج من الواقعية والخيال فلقد منح الصورة ظلال الماضي وهو يمتزج برداء الحاضر الذي يعيشه، فكانت الصورة أشبه بصورة لحورية خرجت لتوها من بين أوراق زهور البنفسج البرية تطل من علياثها في إباء وشموخ، هو الذي أحب هذه الزهور، وهي تنمو على جدران الغدران بعد هطول المطر.

ولقد مزج في الصورة بين الأخضر والأصفر والوردي، ليأتي اللون الجديد أسلوباً قابله النقاد بشيء من الانبهار، فقد كانت دقائق الصورة تملي على الناظر مظاهر كثيرة تختلف رؤاها بين إنسان وآخر، لكن واحدة من شهيرات الرسامات الفرنسيين كانت تلاحقه بنظرتها وهي تتابع خطوط ريشته في لوحاته المتعددة لدرجة أحس معها بالفرح والخوف معاً.

فهذه المرأة التي منحها الله جمالا رائعاً يدير رؤوس كل من يراها كانت أكثر النقاد عناداً في شرح صور المعارض التي تزورها.

ولكم أحس بالراحة عندما رآها تقترب منه ثم تبتسم، وتلقي عليه التحية متسائلة:

ــ من أي مدرسة أنت؟

وأجاب في سخرية:

● من مدرسة تسمونها في بلادكم الصحراء ونسميها نحن الصحراء الخيرة..

وأجابت في هدوء:

ــ لكن ما أعنيه شيء آخر غير ما تقول..

قال:

● ذلك شيء أعرفه، ومع هذا أصر على قولي، فأنا أؤمن بأن هناك الجديد من المدارس في التعبير ما هي بعيدة عن أذهان وفهم كثير من النقاد.

قالت: أو تعني أنك من المدرسة الواقعية..؟

قال: لا.. وإلا لوجدت ذلك في لوحاتي واضحة..

وضحكت في هدوء وقالت:

ــ ولكن خطوطك فيها شيء جديد لا أستطيع أن أصفه فهو بالإضافة إلى أنه خليط من الواقعية والتعبيرية إلا أن بين هاتين النظرتين شيئاً لا أدري كيف اسميه.

قال: ولكني أسميته لك قبل لحظة..

قالت: ولماذا تصر على هذه التسمية التي لا أجد لها مكاناً فيما درست؟..

وأجاب في هدوء: وهل الرسم مجرد دراسة، أو علم، أو موهبة..

قالت: هو كل هذا بالإضافة إلى شيء آخر أراه متمثلاً في صورك وأعني به الرسوخ والإيمان بالمشاهد التي تنقلها الريشة وإن كانت تأتي في بعض الأحيان أكثر زخرفة ووضوحاً.

● لا أدري، قالها وكأنه يريد أن ينهي الحديث، لكنها لم ترد ذلك فواصلت كلامها مشيرة إلى اللوحة التي أمامها:

ــ وماذا تسمي هذه اللوحة؟؟

وأجاب: **أحلام العصارى..**

ونظرت إليه وقالت: **أو تقول الشعر؟؟**

وبهزة من رأسه نفى عن نفسه هذه التهمة وقال: ذاك أمر أجد نفسي قاصرة عن فهمه أو ممارسته..

قالت: ولكن كل لوحة من لوحاتك تعطي هذا المعنى، فالشعور والإحساس بالمعاني يتضح من خلف الألوان في أشكال هندسية رائعة، يمكن أن تحكي قصة طويلة أراها تطل بكل جمالها ورواثها عبر هذه المساحات الصغيرة التي استطاعت أن تمنح الأفكار والحقائق أبعادها الأربعة.

ولم يجب، وإنما مضى يطالع وجهها في أناة، وكأنه يحاول أن يستشف من خلال جمالها وشعرها الأشقر وقوامها الرشيق واطلالتها الحلوة وملابسها الأنيقة شيئاً ما يكاد يحس به دون أن يستطيع أن يقوله، وفجأة قال:

● جاكلين أوتصدقيني القول إذا قلت إنك الأخرى لم تولدي في هذه المدينة..

وأجابت بنعم، ثم أتبعت اجابتها بتساؤل: ولكن لماذا؟

قال: أحس أنك مثلي جئت من قرية من قرى بلادك، فالقرية يا صديقتي تملأ قلوب سكانها بكثير من المفاهيم أولها القدرة على الفهم، وضحك.. لكنها لم تضحك وإنما **قالت: أو تعني أن ذلك ناتج لمعايشة إنسان القرية لشيء من الحرمان، إذا كان هذا هو**

الذي تعنيه فأنا من قرية من قرى (ليل) ، على مقربة من باريس ولدت فيها وعشت في بيت صغير ، وهذا هو ما يسرني أن أقوله ، فوالدي فنان تشكيلي بالسليقة ، ورثت عنه حب الفن ثم درسته حتى بلغت ما بلغت من شأو فيه ، وأنت ؟ . .

وابتسم وقال : أنا كذلك من هذه القرية وأشار إلى إحدى صوره فمضت تنظر إليها في فضول **وقالت : ما اسمها ؟؟**

● المسيجيد ، ونطقتها بشكل حاولت أن ترددها وراءه دون أن تفلح وضحكت وعاودت قولها ، **ولكنك هاوي حسبما قرأت . .**

● نعم ، فقد كنت أرسم في صغري على الرمال ، حتى إذا ما كبرت كنت على ما أنا عليه ، أدرس القانون وأهوى الرسم ، أو لا يكفي هذا .

تلك صورة من الصور التي تطل اليوم من مخيلته ، وهو في مجلسه يرمق الحياة وهدوءها على هذه الأرض ، ولكن كم من الصور مرت في حياته رغم سنواته الصغيرة ، فهو وإن شارف على نهاية العقد الثالث من عمره إلا أن ذكريات الأمس كثيرة ومثيرة وشهية ومزعجة أيضاً ، ولكن . .

وتعاوده الذكريات فمضى في رحلته مع الأمس ، بعد أن نال شهادته وعاد إلى قريته ليرى أن فتياتها اللواتي عرفهن قد أصبحن جميعهن بعيدات عن هذه القرية . .

فرحلة العلم التي انتظمت في بلاده منحت « **سهى** » حياة جديدة شاهدها يوم سافر إلى **جدة** ليراها في **مستشفى الجامعة** تؤدي واجبها كطبيبة متمرنة .

كانت أمه ترافقه في هذه الرحلة لأنها كانت في حاجة إلى العلاج ، وهناك التقاها دون أن يعرفها ، وإن كانت هي قد عرفت أمه ، بحكم ترددها على القرية ، ولقد أعجب كثيراً بصديقته الصغيرة التي كبرت مع الأيام واستطاعت أن تصل إلى ما وصلت إليه .

كان يحلو له أن يتحدث إليها عن الماضي ، عن القرية وبيوت اللبن وقطعان الماشية وقهوة العم سعيد التي كانت تستقبل الحجاج وهم في طريقهم إلى المدينة وهي صامتة تنظر إليه بفرح .

لشد ما تغيرت القرية وتغير الناس فيها وأصبح من حق كل واحد أن يصل إلى أهدافه .

فالصحراء التي أحب ، استطاعت أن تمنح عطاءها لإنسانها الذي يعيش فكانت نموذجية في عطائها سخية في منحها لمقومات الحياة لجيل جديد يعاصر الحضارة ويمارسها بفعل واع وتفكير جاد .

ولكم قارن بينها وبين **فتيات باريس وروما ولندن** ، فخرج من هذه المقارنة بأن المرأة في بلاده وإن منحت جميع وسائل العلم فهي أقدر على خدمة المجتمع من خلال الروابط الأسرية التي تشدها إلى ذلك تعاليم دينها الذي تؤمن به ، ولقد ضحك كثيراً عندما قالت له سهى أتصدق بأنني سأكون أول طبيبة تطلب نقلها إلى **مستشفى المسيجيد أو مستوصفه** لأكون على مقربة من القرية التي أراها تكبر مع الأيام .

ولقد أجابها على الفور ، بأنها مخطئة عندما تفعل هذا ، فهي اليوم هنا وفي هذا المستشفى الجامعي ، أقدر على خدمة بنات المسيجيد وغيرها من الانتقال إلى المستوصف الصغير الذي يقبع على ربوة من ربوات تلك القرية .

ولقد قالت له يومها ، **ولكنها القرية التي ولدت فيها . .**

وأجابها : قد يكون ذلك صحيحاً ، لكنك هنا أيضاً في هذا المكان تملكين من أدوات النجاح في العطاء أكثر وأكثر ثم ما الفارق بين جدة والمسيجيد لا شيء سوى بضعة كيلومترات تستطيعين من خلالها زيارة القرية كما أفعل .

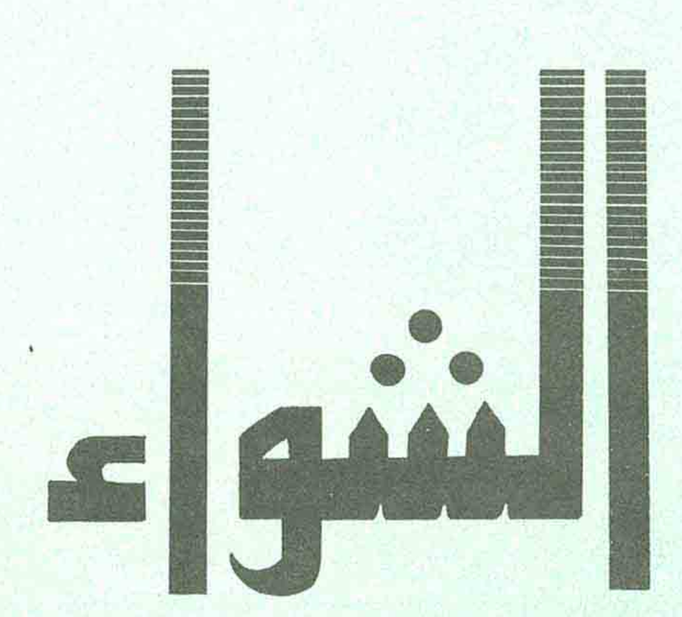
فضحكت وأمنت على قوله ومضت بينما عاود هو ترحاله إلى القرية يمضي فيها بعضاً من الوقت كان خلاله يستمع إلى أصوات الماضي والحاضر . . فلا ينسى وإنما يحن إلى المستقبل الذي يراه يلمع من بين هذه النجوم التي يشاهدها وهي تضيء كقناديل من سماء القرية التي أحب ، حتى إذا ما هدأ الناس أخرج أدوات الرسم من حقيبته الصغيرة وبدأ يرسم ويرسم ليطل فجر النهار وقد انتهى من اللوحة التي كانت مغايرة لجميع ما رسم من لوحات ، فقد كانت صور كاترين وسهى تطل على الناظر ومن خلف الاثنتين مشاهد حية لباريس والصحراء والمسيجيد وزهور البنفسج البرية وهي ترتفع على جدران الغدران تستقبل ضوء الشمس التي علقتها الغيوم التي أخذت خطاً بيانياً جديداً يرتفع في سماء اللوحة ، وكأنه يعلن عن إحساساته تجاه القرية وجدة وكل مدينة وقرية من بلاده التي يرى أنها أصبحت أحلى وأجمل من باريس وبون وروما ، وكل مكان في هذا العالم ، وقد ازدانت سماءها بقناديل مضيئة يراها كذلك دائماً وأبداً . .

واغرق في تأملاته بعد أن فرغ من رسم لوحته التي أسماها « قناديل » وتوقف بعضاً من الوقت ثم أضاف إلى كلمة قناديل ، « **قناديل ملونة** » .

ولقد رحل مع قناديل عبر الصحراء يجوب بعينيه بحثاً عن العيون السود التي عرفها ، ومن خلفه آلاف العيون العسلية والزرقاء والخضراء كلها ترمق العيون النجلاء بنظرات حانية أحسها تنسل من بين ضلوعه في هدوء لتلقي كل هموم الحياة بعيداً عن مشارف القرية وامتداد الصحراء اللامتناهي يطل عبر الأخاديد والهضاب ومن خلفها الجبال الملونة تربض على الأرض في شموخ وإباء .



بقلم : محمد فهمي الحمدان



ـ أبي .. نريد شواء .. لقد رأيت جيراننا يشوون لحماً !! ..

★ صبراً يا بني .. سآتيكم بالشواء .

ـ متى يا والدي ؟

★ في أول الشهر إن شاء الله بعد قبض المرتب مباشرة .

ـ ولكن .. أستجلب لنا شواء حقاً ؟! ..

★ أجل يا بني ..

ـ ولكنك تعدنا منذ سنة ، ولم تجلب لنا شيئاً حتى الآن !! ..

★ سأجلبه هذه المرة ، ولو اضطررت إلى الإفلاس من أول الشهر !! ..

وسرَّح ببصره إلى الجو عبر النافذة ، حقاً إنه لا يتذكر آخر مرة جلب فيها شواء للعائلة .. منذ سنة .. منذ سنتين لا قبل منذ ست أو سبع سنوات ولا تخف .. أفٍ من هذه الحياة ، وتعساً لهذا الغلاء الفاحش !! ..

لقد انخرط في **سلك التعليم** منذ خمس عشرة سنة ، وكان يقبض مرتباً شهرياً متواضعاً ، ومع ذلك فقد كان يأكل شواء ، بل إنه يتذكر أنه كان يقيم حفلات عشاء لأقاربه ، وأصدقائه ، ويبتاع لها كميات كبيرة من اللحوم !! .. كم كان سعر الكيلو يومذاك ؟! .. إنه لا يذكر بالضبط ، لكنه يتذكر أن ثمن المعلاق كان ثلاث ليرات سورية أو أقل ، وكان كيلو اللحم بثلاث ليرات تقريباً ، ثم مضى يصعد ويصعد حتى جاوز العشرين ليرة !! ..

أف من هذا الغلاء المسعور !! .. متى يستطيع أن يذيق أطفاله طعم الشواء !! .. متى ؟ متى ؟! إن المرتَّب قد ارتفع عن ذي قبل ، ومع ذلك فأحواله أمَرُّ من ذي قبل ، فلم يكن مكبلاً بالديون والهموم كهذه الأيام ، لم يكن وضعه حسناً على أي حال ، ولكنه لم يكن كهذا الحال !! ..

كان يستطيع أن يجلب الشواء كلما جاءه ضيف ، وكان له معه موعد مؤكد في أول كل شهر ، وكان يقع في أزمة وحرج ، إذ كان لا يوجد عنده أسياخ ، فكان يستعيرها من الجيران ، واهتم كثيراً بمشكلة الأسياخ حتى تطوع ابن حلال واشترى له عشرين سيخاً ، وسُرَّ كثيراً وقرَّ عيناً ، وشعر بأن المشكلة قد حُلَّت بشكل نهائي ، وأن زمن الحرج الذي كان يحسه حينما يأتيه ضيف ، أو حينما يجلب الشواء في الأول من كل شهر قد انتهى إلى غير رجعة .. فليقرَّ الآن عيناً ولينشرح صدراً ، فلن يشعر بالحرج بعد الآن في هذه المشكلة !! .. **ولكن ماذا بعد ؟! ..**

لقد انتهى بعد توفير الأسياخ عهد الشواء إلى الأبد ، لقد حدث انقلاب جذري حاسم صارم أطاح بعهد الشواء ، ولم يزر اللحم بيته بعد ذلك إلا للإدام ، ولكن أيُّ إدام ؟! .. رائحة بلا طعم ، ووجود كالعدم !! ..

وقالت له زوجه :

ـ لقد حل في بيتنا النحس بعد جلب هذه الأسياخ ، ولو لم تجلبها لكان أفضل ، وكنا نتحمل حرج استعارتها من الجيران !! ..

فعلاً إنه أمرٌ مضحك ، وشرُّ البلية ما يُضحك ، جلبنا الأسياخ فلم نعد نستطيع شراء اللحم ، ولم نستعملها حتى الآن ، لقد طردت اللحم من بيتنا كما يطرد الهر فلول الفئران !! ..

إن المرتبات قد ارتفعت .. ولكن كم ارتفعت ؟! .. إن سعر اللحم قد ارتفع أكثر من سبعة أضعاف فهل تضاعفت المرتبات كذلك ؟! ..

ماذا حلَّ في هذه الدنيا يا ناس ؟! هل ارتفعت البركة ؟! ألا يقدر موظف كبير مثلي في الدرجة الرابعة ، والمرتبة الأولى ، ويحمل إجازة جامعية ، ودبلوماً في التربية ، ألا يقدر على أن يجلب كيلوين اثنين من اللحم ليذيق أطفاله طعم الشواء ؟! .. لينعم بسماع ضحكة حلوة من أفواه أطفاله ؟! ...

أطفاله **رشيد ، عدنان ، ولادة ، غادة** في عبوس دائم ، كلَّ يوم يشمُّون رائحة شواء متصاعدة من بيت سمسار ، أو تاجر مبانٍ أو موظف مؤسسة استهلاكية ، أو موظف سجل مدني ، أو شرطي ، أو موزع

ويقول **رشيد** وهو يكاد يقفز من الفرح ونشوة الظفر والاستعلاء والفخر :

ـ أنا أعرف طعم الشواء .. إنه لذيذ جداً .. لا يوجد طعام ألذ من الشواء !! ..

ويسأل **عدنان** متشككاً :

ـ وكيف علمت ؟ ومتى ذقته حتى تعرف طعمه ؟!

فيقول : **لقد ذقته كثيراً .. كان أبي في الزمن البعيد ، في الماضي السحيق ، يجلب لنا كيلو في أول كل شهر ويشويه لنا ..**

ويرتسم الانزعاج على وجوه الصبية ، ويلتفتون نحو أمهم باستنكار :

ـ ولماذا يذوق رشيد اللحم ولا نذوقه نحن ؟! .. لماذا ؟! ..

فتنهض الأم وهي تغالب دمعها وتقول لهم :

ـ أعدكم بأن تأكلوا شواء في أول الشهر .

ثم تهرع إلى البيت الثاني ، وتوصده بالمزلاج ، ثم تجهش بالبكاء ، وتفتح كفيها وتضرع إلى المولى العظيم :

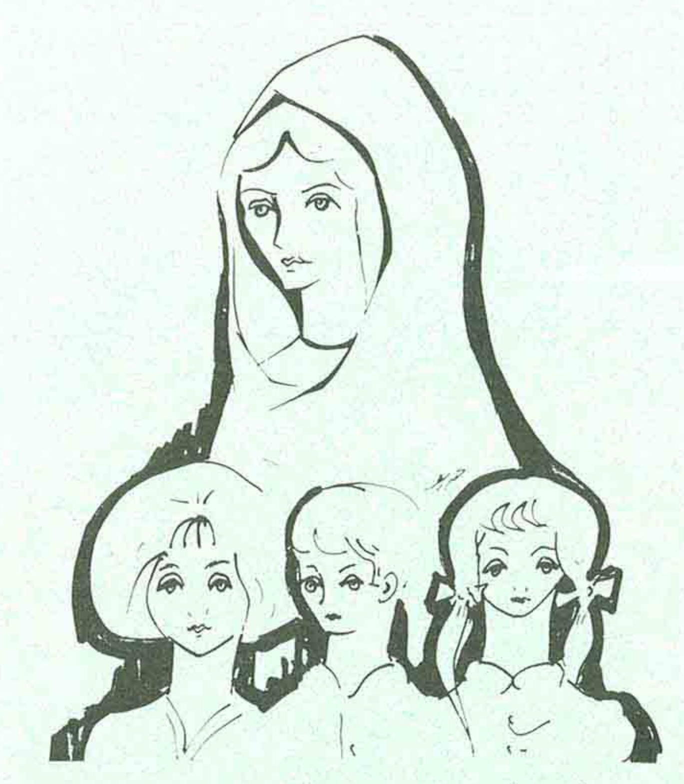
ـ يا رب فرج كروبنا ، واقض عنا ديوننا ، ويسر أمورنا ، وارزقنا ، وساعدنا على شراء كيلو لحم في الشهر القادم لنشويه لهؤلاء الأطفال البريئين المحرومين .. يا رب كن مع المستضعفين والفقراء والمحرومين !! ..

ويؤوب الأستاذ إلى بيته ، ويسأل الأطفال عن أمهم فيدلونه ، فيقرع الباب ، فتخرج باكية ، ويهم بالكلام بيد أنها تقاطعه قائلة :

ـ ستجلب في أول الشهر شواء ولو كنا سنقضي ربع الشهر جائعين .. هل سمعت ؟! ..

أنا لم أعد أتحمل نظرة هؤلاء الأطفال المحرومين وحديثهم .. لقد سمعت منهم اليوم ما أشجاني وجعلني أتمنى الموت .. وشاهدتهم البارحة يلعبون مع بعضهم ، وهم يتخيلون وجود اللحم المشوي أمامهم ، فقد جلس رشيد يقلد حركات شاوي اللحم ، وجلس حوله إخوته ، وكلٌ منهم يطلب مقداراً معيّناً ، ويطلب منهم الثمن ، فيتظاهرون بالدفع ، ثم يقول لهم : خذوا اللحم .. إنه مشوي طيب !! ..

ويحركون أيديهم ، ويضعونها في أفواههم متظاهرين بأنهم يأكلون ، وكانوا يضحكون ، وكأنما كانت هذه الخيالات تسكن مشاعرهم وتنسيهم الواقع المرّ !! .. اسمع .. لم أعد أتحمل .. لقد هممت اليوم بشرب كأس من السم لأرتاح .. ولكنني نظرت إليهم فعزّ عليَّ تركهم وهم كأفراخ الدجاج الضعاف !! ..



إسمنت ، أو غيره أو قاض أو موظف في الجهاز أو ما شابه ، ويأتون إلى البيت عابسين مقطبي الوجوه ، ويصرخون أمام أمهم التي تحمل في قلبها الكبير جراح هذه الأمة وآلام فقرائها :

ـ لماذا لا نأكل اللحم المشوي ؟ .. أجيبي يا أماه .. لماذا لا نأكل اللحم ؟ .. هل خلقه الله لأولئك الناس وحرمنا منه ؟! ..

وتترقرق قطرات حارة في عيني الأم وتنسكب على وجنتيها :

ـ سنأكل اللحم بلا شك يا أولادي !! ..

ـ متى ؟! ..

ـ قريباً إن شاء الله .. في أول الشهر .. حينما يقبض والدكم مرتبه ..

ـ ولكنك تقولين هذا دائماً ولم نر شيئاً لا في أول الشهر ولا في آخره !! ..

ـ سيجلبه لكم هذه المرة بكل تأكيد ! ..

ـ ولكن لماذا يأكل أولئك الناس اللحم في أول الشهر وأوسطه وآخره وثلثه وربعه ؟! أليسوا مثلنا ؟! ألسنا مثلهم ؟! ..

ـ يا بني ! .. ما عند الله خير وأبق ..

ويسأل أحدهم : إن رائحة الشواء طيبة منعشة ساحرة مشهية ، فهل طعم الشواء لذيذ كذلك ؟! ..

ويهزون أكتافهم ، ويقول أحدهم : لا أعلم ..

ـ سأجلبه بعون الله .. هدئي نفسك ..

وكيف سيجلبه ؟! والديون تتراكم عليه شهراً بعد شهر وتنقض ظهره ، حتى لكأنه حمار يحمل عشرين كيساً من التراب دفعة واحدة .. فهو منهوك مسحوق تحت وطأة هذه الأكياس وثقلها الباهظ ؟ .. ولكن سيجلبه مهما كلفه هذا من ثمن ؟! ..

وفي أول الشهر استلم مرتَّبه ، وانطلق دون وعي ودون أن يدع لنفسه فرصة لإجراء الحسابات وإقرار الميزانية الشهرية ، ووقف أمام حانوت أحد الجزارين ، وطلب منه كيلو كباب دفعة واحدة ، ونقده الثمن ، وذهب إلى البيت وهو لا يعي ما يصنع ، وأعطى الزوج اللحم التي نهضت مسرعة للعمل ، وتجمهر حولها الأطفال في فرحة عارمة شبيهة بفرحة الأولاد في الأعياد ، وكانوا يتحدثون ويهزجون ويضحكون ويتراقصون فرحين ، وكلٌ منهم يعدُّ الأسياخ ويحسب نصيبه منها ، وقد يخطئ فيصوِّب الكبير خطأه وهم مغتبطون ومنتشون !! ..

وجلس الأستاذ صاحب المرتبة الرابعة والدرجة الأولى ، أو الدرجة الأولى والمرتبة الرابعة ، أو صاحب المرتبة صفر والدرجة صفر ، أو مرتبة الإفلاس ودرجة الحرمان ، جلس يرقب أطفاله وقلبه يتقطع حسرة وألماً ، ولم يستطع أن يمنع نفسه عن البكاء ، فدفع نفسه إلى غرفته ، وأغلق بابه ، وأوصده بالمزلاج ، وأجهش بالبكاء !! ..

ونادته زوجه ، وهرع أطفاله يدقون البيت ضاحكين صارخين :

ـ هلم يا بابا .. تعال .. لقد أعد الشواء ..

وكأنما قد استحالت كل صرخة وكل ضحكة من أطفاله سيفاً حاداً مسموماً يهوي على فؤاده ويمزقه ، كان ألمه يزداد وبكاؤه يزداد ، ولم يعد قادراً على الإجابة ، وانصرف الأطفال راكضين إلى أمهم :

ـ إن أبانا لم يأت ..

رباه .. كم هي قاسية هذه الحياة ؟! .. أنعيش حياتنا محرومين لاهثين وراء اللقمة ولا نحصل عليها ؟! .. رحمتك يا رب !! ..

ويأتيه صوت زوجه :

افتح !! ..

ويفتح ، وإذا هي تحمل بضعة أسياخ في رغيف من الخبز ، وتقول :

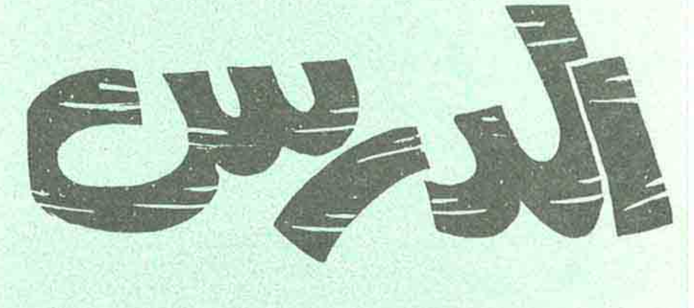
ـ لماذا لم تأت لتأكل مع أطفالك ؟! .. خذ حصتك .. لقد كادوا أن يأتوا عليها !! ..

وتترقرق دموع الألم والحرمان ، ويقول :

ـ أعيديها إليهم .. إنني لا أحس جوعاً !! ..

وترجوه ، وينفجر بالبكاء وهو يتوسل إليها لتعطي حصته للأطفال !! ..





خرجت إلى المدرسة متأخراً ذلك الصباح وأنا أشد ما أكون خوفاً من التأنيب والتوبيخ الذي قد أواجهه خاصة وأن **الأستاذ** « **هاميل** » كان قد أعلن أنه سوف يختبرنا في **درس النحو** .. ولم أكن قد عرفت بعد ولو كلمة واحدة منه .. حتى أنه بدا لي للحظة ما أن أهرب فأقضي يومي بعيداً عن المدرسة .

كان الطقس دافئاً مشمساً .. الطيور تزقزق على حواشي الغابة .. وهناك في الحقل الفسيح الممتد في ما وراء منشرة الأخشاب .. **الجنود البروسيون** يقومون بتدريباتهم .

حقاً .. لقد رأيت تلك الأشياء جميعها تثيرني وتشدني أكثر بكثير من قواعد النحو .. واسم الفاعل واسم المفعول .. لكنني صمدت وقاومت الإغراء وقفلت راجعاً أحث الخطى .. إلى المدرسة .

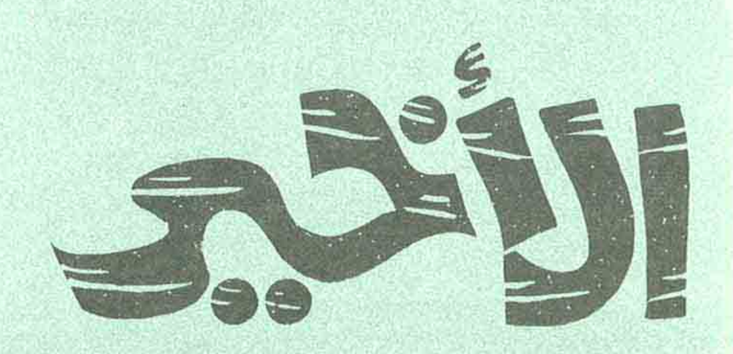
عند **دار البلدية** .. كان هنالك جمع محتشد من الناس أمام **لوحة البيانات الرسمية** تلك التي تعودنا أن نقرأ عنها طوال العامين الماضيين كل الأنباء السيئة .. من المعارك الخاسرة .. إلى قرعة الخدمة العسكرية الإلزامية .. فأوامر قادة المناطق .. فكرت في نفسي .. دون أن أتوقف ..

« **ماذا يجري هناك .. ؟ ما الأمر ؟** »

ثم انطلقت بأقصى سرعة ، وإذا **الحداد** « **واشتر** » الذي كان يقرأ ما على اللوحة مع معاونه يناديني .. « **على مهلك يا بني .. ما زال لديك متسع من الوقت للوصول إلى مدرستك !** » .. فظننت أنه يمازحني ..

وصلت في غاية الاجهاد إلى حديقة الأستاذ « هاميل » الصغيرة . وفي العادة .. لدى بدء ساعات الدراسة كانت هنالك دائماً جلبة أو ضوضاء تعلوان حتى يمكن سماعها من الشارع .. فهناك فتح الأدراج

للكاتب الفرنسي ألفونس دودية
ترجمة: علي محاسنة



وإغلاقها . . وتسميع الدروس المنغم بأعلى صوت بينما الأصابع في الآذان من أجل استيعاب أفضل . . **ومسطرة الأستاذ الضخمة** بطرقاتها على الطاولة . . لكن هذه جميعاً . . لا تسمع اليوم . . فهناك الصمت الرهيب . . [illegible] أستطيع الوصول إلى مقعدي في قاعة الدرس دون أن ينكشف أمري . . لكن في ذلك اليوم . . كان كل شيء هادئاً . . وكأنه يوم الأحد .

عبر النافذة أبصرت رفاقي وقد احتل كل مكانه بينما الأستاذ « هاميل » يذرع المكان جيئة وذهاباً . . وقد تأبط مسطرته الحديدية الضخمة . . كان عليّ أن أفتح الباب وأدخل على مرأى من الجميع ، ولك أن تتخيل كم كنت مرتبكاً . . وخائفاً في تلك اللحظة . . لكن شيئاً لم يحدث . . لقد رآني الأستاذ « هاميل » وقال بلطف ورقة : « **فرانز . . . امض إلى مكانك بسرعة . . . يا بني . . لقد أوشكنا أن نبدأ بدونك . .** » .

وقفزت لأتخذ مكاني فوق مقعدي . . ولم أكن قد لاحظت بعد أن تغلبت على خوفي قليلاً . . أن أستاذنا يرتدي معطفه الأخضر الجميل وقميصه الأنيق . . مع القبعة الحريرية السوداء الصغيرة . . وجميعها قد طرزت بعناية . . إذ لم أعتد رؤيته في هذه الملابس إلا **أيام التفتيش** أو توزيع الجوائز . .

كما بدت المدرسة بكاملها في مظهر غريب تعلوه الكآبة . . لكن أكثر ما أدهشني في تلك اللحظة هو رؤية أهل القرية ومن بينهم « **هوسر** » **العجوز** بقبعته المقرنة ، والرئيس السابق للبلدية ، والمدير السابق لمكتب البريد وآخرون . . . يجلسون بهدوء على المقاعد الخلفية التي طالما ظلت خالية . . الكل بدا حزيناً . . .

. . « هوسر » وقد أحضر **كتاب الهجاء** يقلب بإبهامه بعض صفحاته ثم يضعه مفتوحاً فوق ركبتيه وفوق نظارته الضخمة .

وبينما أنا كذلك مندهش بما أرى صعد الأستاذ « هاميل » على كرسيه وبنفس الرنة الرقيقة المليئة بالأسى التي تحدث بها إليّ قبل قليل . . . وقف ليقول : « **أبنائي الصغار . . . هذا هو الدرس الأخير الذي عليّ أن أعلمكم إياه . . لقد جاء الأمر من برلين بأن أنتقل لأقوم بتعليم اللغة الألمانية فقط . . . في مدارس الألزاس واللورين . . . وسوف يصل الأستاذ الجديد في الغد . . . وسيكون هذا هو آخر درس فرنسي تتلقونه . . . لذا أرجو أن تنتبهوا تماماً . .** »

وقعت كلماته عليّ وقع الصاعقة . . .

يا لهم من أنذال . . . إذن . . . فهذا هو ما كان معلقاً على جدار دار البلدية . .

آخر درس لي بالفرنسية . . ! لمَ لمْ أتعلم كيف أكتب . . ! إذن فلن أتعلمها بعد الآن . . ! وعليّ أكفّ عن ذلك . . . أيضاً . . !

آه . . ما أتعسني . . ! لم أكن أبالي بدروسي . . . بل [illegible] بحثاً عن أعشاش الطيور . . . أو التزلج في **منطقة « السار » . . !**

كتبي التي كانت بالنسبة لي شيئاً بغيضاً كريهاً حتى برهة قصيرة . . فلم أكن أطيق حتى حملها كنت أحس أن كتاب النحو وكتاب تاريخ القديسين يشكلان عبئاً ثقيلاً أنوء بحمله . . أصبح كل منها الآن صديقاً حميماً لا أطيق فراقه . . .

والأستاذ « هاميل » . . كذلك . . لقد أذهلتني فكرة رحيله . . أي أنني لن أراه ثانية . . . لا . . . لقد نسيت الآن (. . . نعم نسيت) كل شيء عن مسطرته المخيفة . . . و . . . وعن أطواره الغريبة . . .

يا لهذا الرجل . . ! إنه الآن يرتدي أفخم ملابسه المخصصة ليوم الأحد . . وبهذه المناسبة . . . لقد أدركت الآن سر جلوس كبار رجال القرية هنالك على المقاعد الخلفية في القاعة . . . ولأنهم لن يعودوا إلى المدرسة بعد الآن . . . إنها طريقتهم الخاصة في التعبير عن الامتنان والتقدير لأستاذنا لخدماته المخلصة طوال أربعين عاماً مضت . . . وعن احترامهم وتعلقهم بالأرض التي ما عرفوها إلا وطناً لهم دون سواهم . .

وبينما أنا غارق أفكر في كل ذلك . . إذ باسمي ينادى لقد جاء دوري للتسميع وهو ما لم أكن أتمناه . . كان عليّ أن أتلو من الذاكرة قاعدة « **اسم المفعول** » كاملة . . . وبصوت جهوري واضح . . وبلا أية أخطاء ؟

ارتبكت وتلعثمت مع الكلمات الأولى فوقفت مشدوداً إلى مقعدي . . . قلبي تتسارع ضرباته . . ولا أجرؤ على رفع بصري إلى أعلى . . . وإذا بي أسمع الأستاذ « هاميل » يقول :

«فرانز .. لا .. لن أوبخك يا بني .. يجب أن تحس بالخجل من نفسك .. انظر كيف ترى الموقف الآن .. كنا نقول كل يوم لأنفسنا : لا بأس .. لدينا متسع من الوقت .. سنتعلم في الغد .. والآن كما ترى ها نحن نقطف ثمار ذلك .. إنها مصنيبة الألزاس التي ظلت تؤجل التَعَلُّمَ حتى الغد ..

والآن عليك أن لا تغضب من الآخرين هناك متى قالوا لك : كيف يكون ذلك ..؟

تدعي وتتباهى بأنك فرنسي بينما لا تحسن التحدث أو الكتابة بلغة قومك .. إن لهم الحق أن يقولوا ذلك ..

لكن على كل حال لست أنت الأسوأ يا فرانز الصغير .. المسكين .. فلدينا جميعاً أيضاً حساب كبير يجب أن نصفيه مع أنفسنا .. فوالداك لم يكونا جادين في تعليمك .. ألم يفضلا إرسالك لتعمل في مزرعة أو معمل من أجل دراهم قليلة ..؟ .. وأنا ..؟ .. أنا أيضاً مسؤول عن بعض ذلك .. ألم أكن أرسلك مرات ومرات لتسقي الأزهار في حديقتي بدل أن تجلس لتتعلم دروسك ..؟ وعندما كان يخطر لي أن أذهب لصيد الأسماك .. ألم أكن أصرفكم في إجازة من أجل ذلك ..؟

ومن نقطة إلى أخرى مضى الأستاذ «هاميل» في حديثه حتى جاء على **اللغة الفرنسية** حيث قال إنها أجمل لغة في العالم .. بل هي الأكثر فصاحة ومنطقية .. ولذا فواجبنا التشبث بها والحرص عليها وعدم التخلي عنها تحت أي ظرف إذ إنه طالما تمسك الشعب المقهور المستعبد بلغته القومية فكأنما أمسك بمفاتيح حريته .. ثم عمد إلى كتاب النحو وقرأ لنا الدرس .

كم كانت دهشتي للسرعة الفائقة التي استوعبت بها الدرس .. لقد بدا كل ما قاله سهلاً جداً .. بل في غاية السهولة ..! أما الإصغاء .. فقد أصغيت كما لم أفعل من قبل وبكل جوانحي .. وتجلى لدى الأستاذ «هاميل» صبر لم نعهده أثناء الشرح المستوفي الذي قدمه حتى بدا وكأنه يريد أن يسكب في رؤوسنا كل ما يعرفه دفعة واحدة .. قبل رحيله ..

وبعد النحو .. كان درس الكتابة .. وإذا الأستاذ قد أعد لنا كراريس جديدة مكتوب فيها بخط جميل منمق :

فرنسا ، الألزاس ، فرنسا ، الألزاس .

لقد كانت أشبه بمجموعة من أعلام صغيرة تخفق في أرجاء غرفة الدرس وكأنها رفعت على سارية مثبتة على المنضدة أمام كل منا .. ما كان أجدر أن ترى كيف انكب كل منا على الكتابة .. حيث الكل منهمك ولا من صوت إلا أصوات الأقلام تخط على الورق .. بينما تدلف إلى الحجرة بعض **الخنافس** الجميلة .. لكن أحداً لم يلتفت إليها .. حتى الصغار من بيننا الذين كانوا غارقين في رسم الصنانير .. كما لو كان ذلك من الفرنسية أيضاً .. وعلى سطح المبنى هناك .. كانت **الحمائم** تهدل بصوت خفيض .. تفكرت وقلت لنفسي ..« **وهل سيرغمون هذه الحمائم أن تشدو بالألمانية أيضاً ؟** » .

كلما رفعت رأسي أثناء كتابتي كنت أرى الأستاذ هاميل ساكناً على كرسيه يمر على كل شيء حوله فكأنه يريد أن يسجل في ذاكرته صورة كل شيء بالضبط كما بدا آنذاك في حجرة الدرس الصغيرة .. يا إلهي ..! خمسون عاماً قضاها هذا الرجل في هذا المكان ذاته حيث الحديقة أمام النافذة ، وحجرة الدرس أمامه كما هي .. المقاعد فقط هي التي تهرأت قليلاً .. بينما تطاولت **شجرات الجوز .. أما شجيرات الجنجلة** التي زرعها بيديه فقد نمت والتفت من حول النوافذ حتى بلغت سطح المبنى .. كم سيكون قاسياً على نفسه أن يتخلى وأن يبتعد عن كل ذلك .. يا لهذا الرجل ..!

هذه الضوضاء المنبعثة من غرفته في الأعلى تشير إلى انهماك شقيقته في حزم أمتعتهما .. فعليهما أن يغادرا المنطقة في اليوم التالي .. إنها تطرق مسامعه بعنف .. لكنه كان دائماً شجاعاً يصمد حتى النهاية .

بعد درس الكتابة .. كان **درس التاريخ** .. ثم أخذ الأطفال ينشدون با .. بي .. بو ..

وهناك في آخر الحجرة .. كان «هوسر» العجوز وقد وضع على عينيه نظارته وبين يديه **كتاب الهجاء** يتهجأ الحروف منشداً معهم .. لقد كان من السهل أن تلاحظ أنه كان ينتحب أيضاً .. فقد بدا صوته مرتعشاً متهدجاً وقد كان ذلك مثيراً لدرجة أننا جميعاً أحسسنا برغبة في الضحك .. والبكاء ..

يا له من درس .. لا أنساه ...

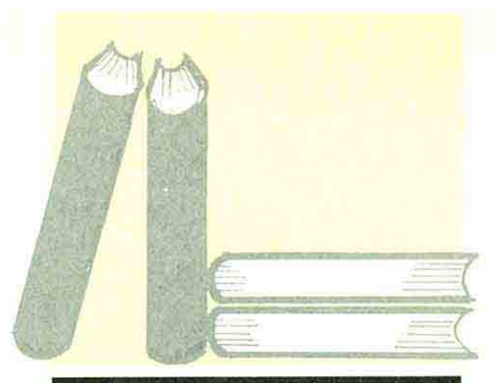
وفجأة دقت ساعة الكنيسة تعلن الثانية عشرة ثم دق ناقوس البشارة وفي نفس اللحظة قرعت طبول البروسيين وراء النافذة .. إنهم يعودون بعد أن فرغوا من إجراء تماريـنهم .

نهض الأستاذ هاميل من مقعده شاحب الوجه .. لكنه بدا طويل القامة .. ولم أكن أراه بهذا الطول وعلو القامة من قبل ..

قال «**يا رفاقي .. إني .. ..**» ولم يكمل فكأنما غص بشيء ما .. ولم يكمل ..

... لكنه استدار إلى **لوح الكتابة الأسود** وأخذ إصبعاً من **الطباشير** وبكل قوته خط على اتساع اللوح : «**لتحيا فرنسا**»

ثم توقف .. أسند رأسه إلى الحائط .. ودون أن ينبس ولو بكلمة واحدة .. أومأ لنا بيده ..« **انتهت المدرسة .. يمكنكم الانصراف** » .



مع المؤلفين الأردنيين

نظرة في كتاب: "بناء القصيدة العربية"

● تأليف: يوسف حسين بكار
● بقلم: روكس بن زائد العزيزي

هذا كتاب، وضعه مؤلفه في (٥٣٢) صفحة، قدمه **الدكتور (حسين نصار)** بمقدمة وجيزة، تنم على خبرة واسعة، وعلم جم، جاء فيها: «الموضوع بكر.. قد ينازع قراء، فيؤكدون أن أجزاء كثيرة منه قد درست من قبل. ولكنني أزعم أن أحداً من قبل، لم يعتبر كل المسائل التي يشتمل عليها هذا الكتاب، موضوعاً واحداً، مترابطاً، ومتكاملاً، كما يفعل هذا الكتاب. وأزعم أن أحداً من قبل لم ينظر إلى واحدة من مسائله، على ضوء من المسألة الأخرى، فيخرج أخيراً، بصورة شاملة، وثيقة الاتصال، كما يفعل هذا الباحث». انتهى المراد نقله. (الصفحة ٦).

وبعد المقدمة، وضع المؤلف كلمة، قال فيها: «إنه مشغوف بالنقد، عاشق له، حريص عليه، لكن حماسته تلك، لاحظ للتعصب فيها. لأنه يؤمن قولا وعملاً، بأن التعصب لتراثنا أو عليه، ينبغي ألا يكون عشوائياً». انتهى المراد نقله. (الصفحة ٩)

وانتقل من هذا الكلام، إلى (**مقدمة لدراسة القصيدة في النقد العربي القديم**) (من الصفحة ١٣ إلى الصفحة ٤٩).

ناقش في هذه المقدمة آراء العلماء فصوّب ما رآه صواباً، ونبّه على ما وقع فيه العلماء من إغفال لآراء من سبقهم، من غير أن يعترفوا بفضل السابقين.

وقد قسم الكتاب إلى أربعة فصول، توّجها بخاتمة، لخص فيها نتائج البحث.

الفصل الأول

في الفصل الأول، تناول **صناعة الشعر**، واشتقاق كلمة **شاعر** (Poet) من الكلمة اليونانية (Poiétes) التي تعني الصانع (A Maker).

وقال إن العرب، لم يعرفوا هذا الاصطلاح (صناعة الشعر) قبل الخليفة (**عمر بن الخطاب**) - رضي الله عنه - الذي روي عنه أنه قال: «صناعة العرب، أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته». (الصفحة ٥٦).

وذكر ما قاله (**العقاد**): «إن الشعر صناعة توليد العواطف، لكن لا بد للشاعر من استعداد فطري».

وما قاله: (**ميخائيل نعيمة**): «إن العروض أساء إلى الأدب العربي عامة، وإلى الشعر خاصة، لأنه جعل الشعر في نظر الجمهور،

صناعة ، إذا أحاط الطالب بكل تفاصيله ، أصبح شاعراً » . (الصفحة ٧٩) .

★ ★ ★

وقد جعل العرب دوافع الشعر ثلاثة :

أ ـ الطرب .

ب ـ الغضب .

جـ ـ والرهبة . وزاد على ذلك البيئة .

سأل (**عبد الملك بن مروان**) الشاعر (**أرطأة بن سهية**) : « فكيف أنت والشعر ؟ » .

أجاب : والله يا أمير المؤمنين ، ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أرهب . وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع ـ الثلاث ـ وقد نقل شيء من هذا عن (**الحطيئة**) ، و (**كثير عزة**) . (الصفحة ٨٠) .

أما (**حازم القرطاجني**) فهو أكثر القدماء تفصيلاً لما يشترط في الشاعر ، إذ يرى أن **الشعر لا يتأتى نظمه على أحسن وجه ، إلا بحصول ثلاثة أشياء ؛ هي :**

أ ـ المهيئات .

ب ـ الأدوات .

جـ ـ والبواعث ، التي لا تنشأ جميعها إلا من وجهتين :

١ ـ النشوء في بقعة معتدلة الهواء ، حسنة الوضع ، طيبة المناظر ، ممتعة في كل ما للأغراض الإنسانية به علقة .

٢ ـ الترعرع بين الفصحاء الألسنة المستعملين للأناشيد ، المقيمين للأوزان .

وذكر بواعث الشعر عند بعض الشعراء الأجانب مثل : شيلر ، وأوريون ، وبندر ، ووالتر دي لامار الذي يبعث الشعر في نفسه ، شمه للتفاح الفاسد ، وشربه الشاي ، والقهوة ، والاكثار من التدخين ، ليحفز قريحته على نظم الشعر . (الصفحة ٨٤) .

أما (**خليل مردم بك**) فكان يشترط الهدوء والانفراد . (الصفحة ٨٥) ، وذكر الأوقات التي تساعد بعض الشعراء على النظم ، أو يحلو لهم فيها النظم ، من عرب ، وأجانب .

وأورد قول (**أبو أحمد العسكري**) في (المصون في الأدب) : « قول الشعر ، أشد من قضم الحجارة ، على من يعلمه » . كما استشهد بما جاء في (**العمدة**) ـ أن الشعر كالبحر ، أهون ما يكون على الجاهل ، أهول ما يكون على العالم ، وأتعب أصحابه قلباً ، من عرفه حق معرفته » . (الصفحة ٩٣ و ٩٤) .

وقال : « (**إن ابن خلدون**) لم يأت بجديد ، وهو على عادته ، يلخص ، وينقل عن السابقين » . (الصفحة ٩٧) .

وقال : « إن التغني بالشعر ، معوان على قوله ، وأورد قول (**حسان ابن ثابت**) :

« تغنَّ بالشعر ، إمَّا كنت قائله ،

إن الغناء ، لهذا الشعر مضمار ! »



★ ابن خلدون ★

وقال : « إن القصيدة ليست كلها إلهاماً ، وليس الإلهام انتظاراً لهبة الوحي ، أو شيئاً خارجاً ، يتلقاه الشاعر المبدع ، كما يتلقى الهبة ، بل لا بد له من تربة ، ينمو فيها ، وفترة تحضير تسبقه ، ولا بد من إشباع الذهن بكل ما يدور حول الموضوع » .

وقال : « إن الشعر مهما يبلغ من مراتب الجودة ، ليس إلا ظلاً باهتاً لإحساس الشاعر الأول في الشعر »[1] . (الصفحة ١٠٤/١٠٥) .

وأورد قول (**وليم موريس**) : « إن الحديث عن الإلهام من سحت القول ، وإنه ليس هناك شيء اسمه الإلهام ، والمسألة ، مسألة صناعة ، لا غير » . (الصفحة ١٠٦) .

وقال : « إن الصفات التي لا بد للفنان أن يتصف بها ، هي : الحكمة ، والانتباه ، والإخلاص ، والإرداة » .

وأورد قول (**محمد مندور**) : « أنا لا أؤمن بشيء اسمه الإلهام ، والعبقرية ، وإنما أعرف التثقيف ، وإبداع الصناعة ، ونقد ما نكتب ، والجهد ، وطول المران » . وأورد أيضاً : « إن الشعر مجهود كبير جبار ، لا أثر للوحي فيه » .

★ ★ ★

ولما تكلم على أنواع القصائد ، قال : « **القصائد ، على نوعين :**

أ ـ قصائد آنيَّة ، وهي بنت ساعتها ، وحينها .

ب ـ وقصائد ذات موضوعات ، وتجارب تختمر في الذهن ، تبقى مركوزة فيه ، إلى أن يحين وقت ولادتها ، فتظهر » .

ثم تكلم على مراحل إنشاء القصيدة ، فقال : « إن في النقد المعاصر اتجاهين :

أ ـ الأول ، يرى أن القصيدة تنشأ مرة واحدة .

ب ـ والثاني يقول : إنها تنشأ على مراحل .

وقد وضح ذلك في صفحات ، وذكر أهمية التنقيح ، ومرحلته في الشعر ، وعرض لضرورات الشعر . هذا كله ، في الفصل الأول .

الفصل الثاني

وفي **الفصل الثاني** ، تناول **أركان القصيدة** .

● اللفظ والمعنى ، وقال : « إن هذه القضية ، من أشد القضايا

النقدية ، القويمة ، تعقيداً ، وأكثرها اضطراباً ، على الرغم من عناية النقاد بها ، واستئثارها بثلاث من قواعد عمود الشعر ، المعروفة ، وهي :

أ ـ شرف المعنى ، وصحته .

ب ـ جزالة اللفظ .

ج ـ ومشاكلة اللفظ للمعنى .

وقد انقسم النقاد القدامى إلى فئات :

١ ـ فئة تؤيد اللفظ ، ورئيس هذه الفئة ، هو (**الجاحظ**) ، فقد قال : « حكم المعاني ، خلاف حكم الألفاظ ، فالمعاني مبسوطة إلى غير غاية ، وممتدة إلى غير نهاية ، وأسماء المعاني معدودة ومحصلة محدودة » وعلى هذا الأساس بنى نظريته المعروفة : « والمعاني مطروحة في الطريق . يعرفها العجمي ، والعربي ، والبدوي ، والقروي ، والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، في صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإن الشعر صناعة ، أو (صياغة) ، وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير » . (الصفحة ١٤٨) ، وقد تابع قول الجاحظ ، العلامة الأشهر ، (ابن خلدون) .

٢ ـ وفئة ، تقول بالترابط التام بين اللفظ والمعنى ، فـ (**قدامة بن جعفر**) كان يهتم بجمال الشعر ، وإن فحش معناه . فدافع ـ من هذا المنطلق ـ عن قول (**امرئ القيس**) .

فمثلك حبلى ، قد طرقت ، ومرضع
فألهيتها عن ذي تمائم ، محول ! ! . .

ذاهباً إلى أن فحش المعنى ، لا يزيل جودة الشعر .

أما (**عبد القاهر**) فقد ربط بين اللفظ والمعنى ، ربطاً محكماً ، إذ قال : « محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل ، والمزية في الكلام ، أن تنظر في مجرد معناه » . فنظريته تقوم على التآزر التام ، بين اللفظ والمعنى . (الصفحة ١٥٦) .

٣ ـ وفئة تنتصر للمعنى ، لكن بعض أتباعها ، لا يسقط اللفظ من حسابه !

★ ★ ★

وعرض لـ (**لغة الشعر**) ولـ (**لغة النثر**) عند العرب ، وأن للشعر لغة ، وللنثر لغة ، وقال إن (**كولردج**[٢]) (COLERIDGE) يؤمن بأن للشعر ، لغة خاصة ، في حين أن (**وردزورث**[٣]) (WORDSWORTH) لا يرى فرقاً بين لغة الشعر ، ولغة النثر .



★ ميخائيل نعيمة ★

وينتقل إلى أسلوب القصيدة ، فيقول إن نقاد العرب ، عرفوا الأسلوب ، تعريفاً ، لا يختلف عن تعريف المعاصرين في شيء . إذ قالوا : « إنه الضرب من النظم ، والطريقة فيه » . وقال القدامي : إن هنالك نوعين من القصائد :

أ ـ قصائد شخصية ذاتية ، يعبر فيها الشاعر عن مكنونات نفسه ، وشؤونه ، وتجاربه الخاصة .

ب ـ وقصائد غيرية ، عامة ، لا يتحدث فيها الشاعر عن نفسه . فقالوا : « إن لكل نوع أسلوباً خاصاً » . (الصفحة ١٩٤) .

وذكر (**حازم القرطاجني**) فقال : « إنه كان أكثر القدامى اهتماماً بالأسلوب . إلى حد إنه جعل لكل غرض من أغراض الشعر أسلوباً ، إلى درجة انه فرق بين أسلوب الجد وأسلوب الهزل ، متأثراً بـ (**سقراط**) (الصفحة ٢٠٢) .

وتناول الأسلوب التعبيري ، والأسلوب التقريري ، وتكلم على موسيقى الشعر ، فذكر : الوزن ، واختيار الوزن .

ج ـ والصلة بين الوزن ، وموضوع القصيدة ، وهو بحث نفيس ، أذكر أن المرحوم العلامة (**سليمان البستاني**) قد وفاه حقه ، في مقدمته الرائعة لترجمة **الإلياذة** ، فوضح مدى ما يصلح له كل وزن وكل قافية . وكنت أظن أن الدكتور النابه لم يطلع على تلك المقدمة ، فإذا هي بين مراجعه الفنية في (الصفحة ٥٠٣) .

بيَّن أن النقاد والقدامى ، اهتموا بشروط معينة في الوزن ، وعولوا عليها كثيراً . فتكلم على **الزحفات ، والترجع ، والتصريع** . (الصفحة ٢٢٨) ، وتناول في حديثه القافية ، واختيارها ، والصلة بينها ، وبين موضوع القصيدة ، موضحاً أن القدماء اهتموا بالقافية كثيراً ، وطالبوا الشعراء بتحسينها ، والاهتمام بها ، وبصَّروهم بعيوبها ومحاسنها معددين المحاسن والعيوب (الصفحة ٢٤٢) .

ثم تطرق المؤلف إلى **موسيقى القصيدة الخارجية ، والداخلية** ، هذا كله في الفصل الثاني .

الفصل الثالث

أما الفصل الثالث ، فتناول فيه (هيكل القصيدة) .

١ ـ المطلع .

٢ ـ مقدمة القصيدة .

٣ ـ والمقطع .

وأبدى ملاحظاته ، كالاهتمام بالسامع والمخاطب ، متطرقاً إلى طول القصيدة ، أو طول العمل الأدبي عامة .

وذكر أن الشعراء انقسموا إلى قسمين :

أ ـ قسم يؤثر القصيدة القصيرة ، في الأغراض جميعها .

ب ـ وقسم يفضل أن تطول القصيدة ، مع هذا فإن ـ العقاد ـ على إعجابه بـ (**ابن الرومي**) ، عزى خموله إلى طول قصائده .

(الصفحة ٣٢٤/٣٢٥) . وقد انقسم النقاد أنفسهم في هذا الموضوع ، كانقسام الشعراء ، وإن كان (**جلال الدين هماي**) **الفارسي** ، رأى أن موضوع القصيدة ، هو الذي يحدد طولها ، وقصرها .

والتجربة نفسها ، لها دخل في طول القصيدة ، وقصرها ، والتجربة ، اصطلاح ، لم يعرفه الأقدمون . ولعل طول القصيدة في بعض الأحيان ، يعود إلى مقدرة الشاعر ؛ وطواعية القافية له ، وقد حاول (**خليل مطران**) أن يمتحن قدرة اللغة العربية نفسها ، على استيعاب المطولات ، فنظم قصيدته العلواء (**نيرون**) ومطلعها :

ذلك الشعبُ الذي آتاه نصرا
هو بالسُّبَّة من (نيرونَ) أحرى

إلى أن يقول :

إنما يبطش ذو الأمر إذا
لم يخف بطش الألى وَلُّوه أمرا

ويختمها بقوله :

كل قوم خالقو (نيرونهم)
(قيصر) قيل له أم قيل (كسرى)

وهي علواً مؤلفة من ثلثمئة وسبعة وعشرين بيتاً على ما أذكر . على قافية واحدة .

وهناك من يرى ، أن طول القصيدة ، يؤثر في جودتها !

الفصل الرابع

وفي الفصل الرابع ، عرض للوحدة في القصيدة العربية :

أ ـ في النقد العربي القديم ، تسرب مفهوم الوحدة اليوناني ، في هذا النقد .

ب ـ وتكلم على الوحدة في نقدنا القديم واهتمام (الحاتمي) بها إذ يقول :

« من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً بما بعده ، من مدح أو ذم ، متصلاً به ، غير منفصل منه ، فإن القصيدة مثل الإنسان ، في اتصال بعض أعضائه ببعض . فمتى انفصل واحد ، عن الآخر ، وباينه ، في صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة ، تتخون محاسنه ، وتعفي معالمه .

وقد وجدت حذّاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال ، احتراساً يجنبهم شوائب النقصان ، ويقف بهم ، على محجة الإحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء ، وهذا مذهب اختص به المحدثون ، لتوقد خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، واعتمادهم البديع وأفانينه في أشعارهم ، وكأنه مذهب سهلوا حزنه ، ونهجوا رسمه ، فأما الفحول الأوائل ، ومن تلاهم من المخضرمين والإسلاميين لمذهبهم المتعالم : « عدّ عن كذا إلى كذا » وقصارى كل واحد منهم وصف ناقته بالعنق ، والنجابة ، والنجاء ، وأنه امتطاها ، فأدرع عليها جلباب الليل ، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف يتخلص به إلى غرض لم يتعمده ، إلا أن طبعه السليم ، وصراطه المستقيم ، نصبا مناره ، وأوقدا بالبقاع ناره » .

وهنا يستشهد (**الحاتمي**) بقول (**النابغة الذبياني**) فليراجع في (الصفحة ٣٩٤) من (بناء القصيدة العربية) .

* * *

أما (**ابن رشيق**) ، فكان يستحسن انفصال كل بيت عما قبله ، وعما بعده ، إذ قال : « وأنا أستحسن كل بيت قائماً بنفسه ، لا يحتاج إلى ما قبله ، ولا إلى ما بعده ، ما سوى ذلك ، فهو عندي تقصير ، إلا في مواضع معروفة ، مثل الحكايات ، وما شاكلها ، فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك ، من جهة السرد . (الصفحة ٣٩٦) عن العمدة ٢ : ٢٦١/٢٦٢ .

وتطرق المؤلف إلى الوحدة في الشعر العربي القديم ، فقال : « إن الشعر العربي القديم ، لم يكن خالياً من **الوحدة العضوية** ، وطلب تعديل أحكام القدماء في هذا الموضوع .

* * *

وتكلم على الوحدة عند الرعيل الأول من المحدثين ، وجاء برأي المرحوم **الدكتور** (**طه حسين**) في الشعر الجاهلي ، وقال إنه ـ أي الشعر الجاهلي ـ ليس خالياً من الوحدة ، واستشهد بالقصيدة المنسوبة إلى (**الشنفري**) :

إن بالشعب الذي دون (سلع)
لقتيلاً دمه ما يُطل ! . .

وأورد من الشعر المخضرم قصيدة (**الحطيئة**) ـ نهاية كرم ـ :

وطاوي ثلاث ، عصاب البطن مرمل
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

ثم مثل بشعر (**عمر**) **بن أبي ربيعة** ، وبشعر (**بشار بن برد**) ليدل على أن الوحدة موجودة في القصيدة العربية القديمة . وذكر رأي المرحوم الدكتور (طه حسين) في شعر (**ابن الرومي**) واختار



★ خليل مردم ★



★ د. محمد مندور ★

قصيدته البارعة التي سماها (الكيلاني) ـ عتاب ـ ودعاها (العقاد) ـ بطل الشطرنج ـ ومطلعها :

يا أخي ، أين ريع ذلك اللقاء ؟

أين ما كان بيننا من صفاء ؟

وتناول وحدة القصيدة العربية ، والنظريات الحديثة :

أ ـ الوحدة ونظرية الاجناس .

ب ـ والوحدة وعوامل البيئة .

وانتهى المؤلف إلى القول :

« إن دراسة القدماء للقصيدة ، تمخضت عن نتائج يُقرِّبهم أكثرها من النقد الحديث كثيراً . وقد يكون لهم في الكثير منها ، فضيلة السبق . فما سموه (أدوات الشاعر) ، سماه النقد الحديث (الإطار الشعري) وقد خلص إلى القول : « إن النقد القديم ، والنقد الحديث نظرا إلى الإبداع ، ـ إبداع القصيدة ـ أنه شيء في منتهى الصعوبة (الصفحة ٤٨٢) .

وقال إن إبداع القصيدة ، يتمثل في أربع مراحل :

١ ـ مرحلة التفكير والإعداد .

٢ ـ مرحلة الشروع في النظم .

٣ ـ مرحلة التأليف والتنسيق .

٤ ـ مرحلة التهذيب والتنقيح .

وقال : « إن القديم والحديث يلتقيان في ثلاث مراحل : الأولى ، والثانية ، والرابعة .

وذكر أن دراسة أركان القصيدة ، قسمت القدماء إلى خمس فئات :

١ ـ الفئة الأولى ، لا تركز على المعنى ، لكنها لا تهتم باللفظ وحده .

٢ ـ والفئة الثانية ، تربط بين اللفظ والمعنى ، ربطاً ، وأبرز أعضائها **(عبد القاهر الجرجاني)** .

٣ ـ والفئة الثالثة ، تنظر إلى المعنى ، لكن بعض أتباعها لا يسقط اللفظ من حسابه .

٤ ـ والفئة الرابعة ، مترددة متناقضة ، تنظر إلى اللفظ مرة ، وتنحاز إلى المعنى مرة أخرى .

٥ ـ أما الفئة الخامسة ، والأخيرة ، فتفصل بين اللفظ والمعنى ، فصلاً لا يتضح منه ، أنها ترجح أحدهما على الآخر .

وبين اهتمام القدماء بهيكل القصيدة :

مطلعاً ، ومقدمة ، ومخلصاً ، ومقطعاً .

وأن معاييرهم ، كانت تعتمد على القصيدة الجاهلية .

فانصرف همهم إلى ضرورة المقدمة في القصيدة ، وجعلوها على نوعين :

أ ـ طللية .

ب ـ وغزلية .

وقال : إن (الحاتمي) كان أقرب القدماء فهماً إلى الوحدة العضوية للقصيدة ، ولم يغفل عن ذكر (حازم القرطاجني) إذ قال : إنه كان أكثر القدماء ـ قاطبة ـ كلاماً على الوحدة ، مع هذا ، فإن الوحدة عنده لم تكن عضوية ، بل تسلسلية ، أو منطقية .

وخلص إلى القول : إن النقد القديم ، يلتقي النقد الحديث ، وقد يكون أكثر أصالة من نقدنا الحديث ، في كثير من الأمور ، لأن النقد القديم اعتمد على تراثه ، ونفسه ، وأصالته ، في حدود أعصاره ، وواقعه ، وظروفه ، ومفاهيمه ، في حين أن نقدنا الحديث ، يتكئ في أكثر أحواله على النقد الغربي . (الصفحة ٤٨٩) .

وقال : إن البحث عن التخطيط لبناء القصيدة ، لم يسلم من **الأثر الأرسطي** . وقال : إن الذين تأثروا بـ (**أرسطو**) عجزوا عن فهم ما كان يعنيه في كثير من القضايا ، التي أساءوا تطبيقها على القصيدة العربية وترددوا في بعضها ، بين ما فهموه ، وبين ما كان ماثلاً في تراثهم . (الصفحة ٤٨٩) .

كما كشف البحث عن (**القرطاجني**) وابن (**طباطبا**) العلوي قد وضحا أكثر الأمور المتعلقة ببناء القصيدة عند القدماء .

وكشف البحث أيضاً عن أن القدماء لم يستقروا الشعر ، حتى في القصيدة الجاهلية نفسها ، وأن نقادنا المعاصرين تسرعوا في أحكامهم ، فغابت عنهم أمور ، في المأثور الشعري . (الصفحة ٤٨٩) .

★ ★ ★

هذا ، وقد كان كتاب الأستاذ الدكتور (بكار) شاملاً لكل ما أراد إيضاحه ، من بناء القصيدة العربية ، فوضحه وجلاه بألمعية يشكر عليها ، ويهنأ من أجلها .

والكتاب إصدار دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٩ م .

الهوامش

(١) كان الصواب أن يقول « . . . مهما يبلغ من مراتب الجودة ، فليس إلا ظلاً باهتاً لإحساس الشاعر بالشعر . لأن جواب الشرط الجامد ، يجب اقترانه بالفاء ولأن أمس يتعدى بالباء لا بـ (في) ـ العزيزي ـ

(٢) ١٧٧٢ ـ ١٨٣٤ يعتبر كبير شعراء الحركة الرومانسية في إنكلترا كلها .

(٣) ١٧٧٠ ـ ١٨٥٠ وقد ورد الرقم خطأ في الأصل هكذا (١٨٧٠ ـ ١٧٥٠) والصواب ما ذكرنا ، لا ما أثبته المؤلف الفاضل . راجع الصفحة ١٨٦ من بناء القصيدة العربية .



الشعراء المعوقون





الأعمى التطيلي (ت ٥٢٣هـ) :

أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة التُّطَيْليّ الإشبيلي ، تَقَبَّلَ عماه بنفس راضية ، وما تحدث عنه إلا اضطراراً ، كأن يشير إليه باسم « **الزمانة** » أو حين يحسُّ بالضيق الشديد من تعسف الحياة ، فيقول :

أما اشتفت مني الأيام في وطني
حتى تضايق فيما عن من وطر
ولا قضت من سواد العين حاجتها
حتى تكر على ما كان في الشعر

ولكنه يعود إلى الإيمان فيرضى بما قُسِم له قائلاً :

عندي رضىً بالله لا يعتري
ريب ولا يعروه إلباس



البردوني « عبدالله » (ولد ١٣٤٨هـ) :

من أكبر **شعراء اليمن** اليوم ، نشأ في قرية « **البردُون** » من أعمال **رزاحة في لحدا** ، وأغمض عينيه العمى بين الرابعة والسادسة من العمر ، بعدما كابد الجُدري سنتين ، وكان حادث العمى مأتماً صاخباً في بيوت الأسرة ، لأن ريفه بالرجل السليم من العاهات ، فهم يحتاجونه للصراع والقراع . . . ، والتحق بكتَّاب القرية ثم رحل إلى **مدينة ذمار** ، وفي مدرستها الابتدائية والعلمية عكف على الدرس ، وكافح مكاره العيش ومتاعب الدرس ، ثم تبنته **مدرسة (دار العلوم)** وفيها دَرَس ثم عُين بها أستاذاً للأدب العربي ولا يزال .

له دواوين مطبوعة ، وبرع في الهجاء والثورة على الظلم ، ودخل السجن ثلاث مرات من جرَّاء قصائده ، يقول في قصيدة « تحدٍ » :

سوف نمشي على الجراحات حتى
نشعل الفجر من لهيب الجراح
فاستبيحوا دماءنا . . . تتورد
وجنة الصبح بالدم المستباح
إنما تنبت الكرامات أرض
« سمدت تربها » عظام الأضاحي
ودماء الشهيد أنضر غار
في جبين البطولة اللماح

ت

تميم بن أبيّ بن مقبل (ت ٣٧ هـ) :

من **بني العجلان** ، وكان جاهلياً إسلامياً ، ورثى **عثمان بن عفان** ، خرج في بعض أسفاره فمر بمنزل عَصَر **العقيلي** وقد جهده العطش ، فخرج إليه ابنتاه بعُسٍّ فيه لبن ، فرأتاه أعور كبيراً ، فآذتاه ، فغضب ، ولم يشرب ، وبلغ أباهما الخبر فتبعه ليردَّه ، فلم يرجع ، فقال له : ارجع ولك أعجبهما إليك . فرجع ، وقال قصيدته الرائية التي منها :

قالت سليمى ببطن القاع من سُرُح
لا خير في المرء بعد الشيب والكِبَر
واستهزأت تِرْبُها مني فقلت لها
ماذا تعيبان مني يا ابنتي عَصَر
لولا الحياءُ وباقي الدِّين عِبْتُكُما
ببعض ما فيكما إذ عبتما عَوَري



ثابت قطنة :

ثابت بن كعب ، ولُقب **قطنة** لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها ، وكان يجعل عليها قطنة .

وَلِي ثابت عملاً من أعمال **خراسان** ، فلما صعد المنبر رام الكلام فتعذر وحصر ، فقال سيجعل الله بعد عُسر يسراً ، وبعد عي بياناً ، وأنتم إلى أمير فعّال أحوج منكم إلى أمير قوّال :

وإلا أكن فيكم خطيباً فإنني
بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

فبلغت كلماته **خالد بن صفوان** ، فقال : والله ما علا المنبر أخطب منه في كلماته هذه ، ولو أن كلاماً يستخفني ويخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً ، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها .



جياش بن الأعور :

جياش بن قيس الأعور ، **شهيد اليرموك** ، قتل من الأعداء خلقاً كثيراً ، وقطعت رجله وهو لا يشعر ، ثم جعل ينشدها فسُمّيَ « **ناشد رجله** » ، وفي ذلك يقول **سوار بن أبي الأوفى** :

ومنا ابن عتاب وناشد رجله
ومنا الذي أدى إلى الحي حاجبا

وجياش هذا ، كان يخاطب فرسه بعد أن قطعت رجله قائلاً :

أقْدِم خذام إنها الأساوره
لا تغرنَّك رِجْل نادره
أنا القُشيري أخو المهاجره
أضربُ بالسيف رؤوس الكافره

وعندما نزفت رجله حتى كادت أن تُعيقَه عن الحرب ، ذهب إلى قدر زيت تغلي فأدخل رجله فيها لتكويها ويقطع عنها النَّزْف .



الحكم بن عبدل (ت ١٠٠هـ) :

شاعر مجيد مُقَدَّم في طبقته ، **هجاء** ، من **شعراء الدولة الأموية** ، وكان **أعرج أحْدَبَ** ، ومنزله ومنشؤه في **الكوفة** ، وكان لا تفارقه العصا ، فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعثُ بها مع رسوله فلا يُحْبس له ، ولا تُؤخر له حاجة ، فقال في ذلك **يحيى بن نوفل** :

عصا حكم في الدار أول داخل
ونحن على الأبواب نُقْصى ونُحْجَبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً
وهذي لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سَخَطَها
ويُرْغب في المرضاة منها ويُرْهب

فشاعت هذه الأبيات ، وضحك الناس منها ، **فأقلع الحكم** عن عادته وكتب حاجته في الرقاع .



خلف الأقطع (ت نحو ١٢٥هـ) :

خلف بن خليفة كان **أقطع اليد** ، وله أصابع من جلود ، كان شاعراً مطبوعاً ظريفاً ، دخل على **يزيد بن عمرو بن هبيرة** في يوم مهرجان وقد أهديت له هدايا وهو أمير العراق ، فقال :

وقد حَضَرَتْ رسل المهرجان
وصفوا كريم هداياتها
عَلَوْتُ برأسي فوق الرؤوس
فأشخصنه فوق هاماتها
لأكسب صاحبتي صحفةً
تغيظ بها بعض جاراتها

فأمر له بجام من ذهب ، ثم أقبل يفرّق بين جلسائه الهدايا .



الديلمي ، أبو منصور :

علي بن منصور ، وكان أبوه من جند **سيف الدولة الحمداني** ، شاعر ظريف ، **وكان أعور** ، وله في ذلك أشياء مليحة ، فمن ذلك قوله :

يـا ذا الـذي ليس لـه شـاهد
في الحب معروف ولا شـاهده
شـواهدي عينـاي إني بهـا
بـكيتُ حـتى ذهبـت واحـده
وأعجـب الأشـياء أن الـتي
قـد بقيـت في صـحبتي زاهـده



ذو الركبة العوجاء :

من **العُرجان** ، وممن يُعَد في الحُـدْب ، ثم هـو مـن العبيـد الشعراء ، كان يقول :

سَـخِرَ الغـواني أن رأيـن مـويهناً
كالنـوء أكلف شـاحب منهـوك
والـركبتان مفـارق رأسـاهما
والـظهر أحـدب والمعـاش ركيـك
سئـم الحيـاة ولاح في أعـطافه
قشـف النقـير وذلـة المملوك
مثـل البليـة بـرَّحت بحيـاته
خُـرق البـطون قليلـة التـبريك

(والكلف : نمش يعلو الوجه كالسمسم) .
من أجل ذلك حَرَّر الإسلام الرقاب من ذل الإسار .



أبو راشد الضبـي :

وكان **أعرج** ثم **عمي** ثم أقعد من رجليه ، فقال حين عُمِيَ ، وقد كان ابن حبيب وهب له عصا :

وهبت عصا العـرجان عـوناً ومـرفقاً
فأين عصا العميان يـابن حبيب
فقد صرت أعمى بعـد أن كنت أعـرجاً
أنـوء على عـود أصـم صـليب

وجفاه أصحابُه وجيرانُه وأهلُه ، فقال :

قـد كنـتُ أنْضَى الخـافقين بـرحلتي
فصـار جمـاع الأرض كفـة حـابل
كذلك ومـا للمـرء صـبر وحِسْـبة
إذا مـا ابتلى فيهـا بجـوع مـطاول

وليس بمعـذور إذا طـال صـمته
فيهلك بـؤساً مـن مخـافة عـاذل



السائب بن فروخ :

أبو العباس **الأعمى** ، مولى بني الدِّيل ، **أحد شعراء بني أمية** المعدودين المتقدمين في مدحهم ، حكى الخليفة **المنصور** : خرجت أريد الشام أيام **مروان بن محمد** ، فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده فأخبرني أنه يريد مروان امتدحه به ، فـاستنشدتُه إيـاه ، فأنشدني :

ليـت شـعري أفـاحَ رائحـة المسْـ
ـك ومـا إن إخـال بـالخَيْف أنس
حين غـابت بنـو أميـة عنـه
والبهـاليل مـن بـني عبـد شمس
. . . إلخ

وافترقنا . فلما أفضت الخلافة إليَّ خرجت فنزلت أمشي بجبلي زَرود (بطريق الحاج من الكوفة) فبصرت بالضرير ، ففرقت من كان معي ، ثم دنوت منه فقلت : أتعرفني ؟ فقال : لا ، قلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان . فقال : أوَّه

خلـت المنـابر والأسرَّة منهـم
فعليهـم حـتى الممات سـلام

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال : أغناني أن أسأل أحداً بعده ، فهممتُ بقتله ثم ذكرتُ حق الاسترسال والصحبة فأمسكتُ عنه .



الشابـي (١٣٢٧هـ ــ ١٣٥٣هـ) :

أبو القاسم محمد بـن بَلْقـاسم الشابـي ، **الشـاعر التـونسي** المعروف ، كان **يشكو انتفاخاً في قلبه** ، وضـعفاً في بُنيته ، ممـا أدى إلى ضيْق في رئته فلم يَعُد يتنفس تنفساً طبيعياً ، ومـا يئس ولا شكا إلا لخالقه ، قال :

يا إلـه الـوجود هـذه جـراحُ
في فـؤادي تشـكو إليـك الـدواهي

وكان يعيش مأساة شعبه كلها ، ويحاول أن يبعث فيه روح الثورة على الموت ، والإيمان الصادق بانتصار الحياة ، وحين يضيق به يصرخ فيه :

أيها الشعب ليتني كنت حطا
بـاً فـأهوي على الجذوع بفأسي
أنت روح غبية تكره النور
وتقضي الدهور في ليل مَلْس

وكان يهزأ من دائه ومن أعدائه ويقول لهما :

سأعيش رغم الداء والأعداء
كالنسر فوق القمة الشمّاء



ابن صعصعة :

هيم بن صعصعة بن ناجية بن عقال ، **عرج** وهو شاب ، وهو عم **الفرزدق** وبه سمي الفرزدق (همام) ، وكان غالب بن صعصعة يسمي الفرزدق «هميم» .

وابن صعصعة هو الذي يقول :

لعمرو أبيك فلا تكذبن
فقد ذهب الخير إلا قليلا
وقد فُتن الناس في دينهم
وخلّا ابن عفان حزناً طويلا

وقال في عرجه :

أعوذ بالرحمن من سوء العرج
ومن خُماع وظُلاع وعرج
إن الفتاة بالفتى جِدُّ سمج
وكنت كالظبي إذا الظبي مَعَج

(الخُماع : العرج ، الظُلاع : داء في قوائم الدابة ، معج : أسرع في جريه) .



ضمرة النهشلي :

من **البرصان** الرؤساء ، والأشراف الشعراء ، ومن الرَّحالين إلى الملوك والحكام ، ضمرة هذا ــ وهو **ضمرة بن ضمرة النهشلي** ، وهو الذي لما رآه الملك نحيفاً قال : تسمع بالمعيدي لا أن تراه ــ **كان أحد حكام تميم في الجاهلية** ، وحدث أن غارت **أسد وطيء وغطفان وضبة وعدي** على بني عامر ، فانتصروا عليهم «**يوم النسار**» ، فغضبت بنو تميم وحلف ضمرة أن يحرم على نفسه الشراب حتى ينتصر ويكون له يوم ، وانتصر عليهم **يوم ذات الشقوق** ، وفيها يقول :

الآن ساغ لي الشراب ولم أكن
آتي التِّجار ولا أشد تكلمي
وأبات يوماً بالنِّسار بمثله
وأخذت يوماً في حديث الموسم



الطائي الأعرج :

هو عدي بن عمرو بن سويد الطائي ، **شاعر مخضرم** ، خطب امرأة فشكت إلى جاراتها ، وقالت : أيخطبني **أعرج** ، فقال :

تشكو إلى جاراتها وتعيبني
فقالت معاذ الله أنكح ذا الرِّجْل
فكم من صحيح لو يوازن بيننا
لكنا سواء ولمال بي حملي

وهو القائل :

لقد علم الأقوام أن فررتم
ولم تظهروها للمعاشر أوَّلا
فإن أنتم لم تفعلوا فتبدلوا
بكل سنان ، معشر الغوث ، مِغْزَلا
وبالدرع ذات الفرج دُرْجاً وعيبةً
وبالترس مرآة وبالسيف مُكْحُلا



ظالم بن عمرو (ت ٦٩هـ) :

أبو الأسود الدؤلي ، وهو **من العرجان الأشراف** ، ويُعَدُّ في **مفاليج** الأشراف ، وفي رجال الشيعة ، وهو رأس النحويين ، شاعر ، **أحول دميم** داهية ، ويُعَد في البُخْر ، وفي البخلاء ، وهو الذي قال له **ابن عياش** ، لما مر به وهو يعرج : لو كنتَ جملاً كنتَ ثَقَالا (أي بطيئاً) . وحين **أصابه الفالج** كان يخرج إلى الأسواق يجر رجله ، وكان موسراً ، فقيل له : قد أغناك الله عز وجل عن السعي في حاجتك ، فلو جلست في بيتك ، قال : لا ، ولكني أخرج وأدخل ، فيقول الخادم : قد جاء ، ويقول الصبي : قد جاء ، ولو جلست في البيت فبالت عليَّ الشاةُ ما منعها عني أحد ، وهو القائل :

وما طلب المعيشة بالتمني
ولكن ألق دلوك في الدلاء

تجيء بملئها طوراً وطوراً
تجيء بحمأة وقليل ماء



العكوك (١٦٠هـ ــ ٢١٤هـ):

أبو الحسن علي بن جبلة، والعكوك السمين القصير مع صلابة، **من البرصان والعميان** الشعراء، وكان يتعشق جارية شاعرة ظريفة، وحدث أن أنشد **حميد بن عبد الحميد** شعراً فوهب له مائتي دينار، فانصرف من دار حميد إلى منزل المعشوقة فصب الدنانير في حجرها، ثم مضى إلى منزله وليس فيه درهم ولا شيء قيمته درهم، وكان أحسن خلق الله إنساناً.. وهو القائل في **أبي دلف**:

كل مَن في الأرض من عرب
بين بادية إلى حَضَره
مستعير منك مَكْرُمَةً
يكتسبها يوم مُفْتَخَره

فغضب عليه المأمون، وقتله بها.



أبو الغول الطهوي:

لم يكن من المعوقين ــ فيما نعلم ــ ولكنه تزوج امرأته فوجدها عرجاء من رجليها جميعاً فقال:

أعوذ بالله من زَلاءَ فاحشةٍ
كأنما ينط ثوباها على عود
لا يمسك الحبل حقواها إذا انتطقت
وفي الذنابى وفي العرقوب تحديد
أعوذ بالله من ساق بها عِوَجٌ
كأنها من حديد القين سَفُّود

(الزَّلاء: قليلة لحم الوركين، الحقو: الخصر، الذنابى: أصل الذنب).



الفضل بن جعفر:

«**أبو علي البصير**»، وكان **ضريراً**، ولُقب بالبصير على العادة في التفاؤل، أو لذكائه وفطنته، فهو القائل:

لئن كان يهديني لوجهتي
ويقتادني في السير إذ أنا راكب
لقد يستضيء القوم بي في أمورهم
ويخبو ضياء العين والرأي ثاقب

ومدح **المعتصم**، **ولزم المتوكل والفتح بن خاقان**، ولحق زمن المعتز وهنأه بالخلافة، ولم يكن شاعراً فحسب، بل كان أيضاً صاحب رسائل نثرية بارعة. وكان يؤذي نفسه إيذاءً شديداً أن يقدم شعره أحياناً لبعض الرؤساء فلا يأبه به أو لا يعطيه ما يستحقه، فتعز عليه نفسه وتثور كرامته ويصرخ فيهم:

وإني قد بلوتكم جميعاً
فما منكم على شكري حريص
وأرخصت الثناء فعفتموه
ورُبَّتما غلا الشيء الرخيص
فعِفْتُ نوالكم ورغبت عنه
وشر الزاد ما عاف الخصيص

(الخصيص: من الخصاصة وهي الفقر والحاجة).



قطري بن الفجاءة (قُتل ٧٨هـ):

من **البرصان** السادة والأشراف الخطباء والفرسان المذكورين، والخوارج المتقدمين، وكذلك كان ابنه. خرج زمن **مصعب** لما ولي العراق، وكان **الحجاج** بعد قتل مصعب يرسل إليه جيشاً تلو جيش، وهو يستظهر عليهم إلى أن قُتل. وهو القائل:

إلى كم تعاريني السيوف ولا أرى
معاراتها تدعو إليَّ حماميا
أقارع عن دار الخلود ولا أرى
بقاءً على حال لمن ليس باقيا
ولو قرب الموتَ القراعُ لقد أنى
لموتي أن يدنو لطول قراعيا

(تعاريني: تطلبني عارية، الحمام: الموت، أنى: آن).



الكميت (٦٠هـ ــ ١٢٦هـ):

أبو المستهل، **الكميت بن زيد الأسدي**، وكان يعلم الصبيان، **وكان أصم أصلخ لا يسمع شيئاً**، ولم يدرك بني العباس، واشتهر

بالتشيع ، سجنه **خالد بن عبد الله القسري** عامل **هشام بن عبد الملك** في الكوفة ، فهرب من السجن في لُبسة النساء في قصة طويلة ، وبعد إحن عفا عنه هشام وسمح له بالمثول بين يديه . ودخل الكميت عليه يوماً فوجده مغموماً لخصام وقع بينه وبين جاريته صدوف ، فقال مرتجلاً :

أعتبتَ أم عتبتْ عليك صدوف
وعتاب مثلك مثلها تشريف
لا تَقْعُدن تلوم نفسك دائباً
فيها وأنت بحبها مشغوف
إن الصريمة لا يقوم بثقلها
إلا القوي بها وأنت ضعيف

فقال هشام : صدقت والله ، ونهض من مجلسه ليصافح جاريته .



المعري (٣٦٣هـ ـ ٤٤٩هـ) :

أبو العلاء ، أحمد بن عبد الله ، اللغوي الشاعر ، كان متضلعاً في فنون الأدب ، ولد بالمعرة ، **عمي من الجدري** غَشَّى يُمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة ، قال **الحافظ السلفي** : أخبرني **أبو محمد عبد الله الإيادي** أنه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره ، فرآه قاعداً على سَجَّادة لِبَدٍ وهو شيخ ، قال : فدعا لي ومسح على رأسي وكنتُ صبياً ، وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه ، وهو مُجَدَّر الوجه نحيف الجسم .

ولما فرغ أبو العلاء من تصنيف كتاب « **اللامع العزيزي** » في شرح شعر **المتنبي** ، قال : كأنما نظر إليَّ المتنبي بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم



النضر بن أبي النضر التميمي :

أبو مالك ، **الأعرج** ، وفد إلى **الرشيد** ومدحه وخدمه ، وكان مع الرشيد وأبوه يقيم بالبادية ، فأصاب قوم من عشيرته الطريق ، وقطعوه على بعض القوافل ، فخرج عامل ديار مضر إلى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم ، فقصدهم ، وأخذ جماعة أبو الشاعر ، وضربه حتى القتل ، فرثاه أبو مالك متوعداً عامل ديار مضر قائلاً :

راعني والدي ، جنت كف جبا
ل عليه فراح وهو قتيل
أيها الفاجعي بركني وعزي
هَبَلَتْني ـ إنْ لم أرُعْك ـ الهبول

وهو القائل :

فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه
ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل



ابن هند (ت ٧٥هـ) :

المساور بن هند العبسي ، شاعر إسلامي فارسي شريف مخضرم ، وجدُّ المساور قيس بن زهير هو صاحب **الحرب بين عبس وفزارة** ، وهي حرب **داحس والغبراء** ، وكان **أعور** ، وهو من المتقدمين في الإسلام ، وهو القائل :

بَليت وعِلْمي في البلاد مكانَه
وأفنى شبابي الدهرُ وهو جديدُ
وأدركني يوم إذا قلت قد مضى
يعود لنا أو مثلُهُ فيعود
وأصبحت مثل السيف أخْلَقَ جَفْنَهُ
تقادُمُ عهد القين وهو جديد
ألم تعلموا يا عبسُ لو تشكرونني
إذا التفت الذوَّاد كيف أذُودُ



اليشكري :

الحارث بن حلِّزة الشاعر ، **من البرصان** الذين فخروا بالبرص ، ولما قال **عمرو بن كلثوم** قصيدته التي فخر فيها لتغلب على بكر ، قال الحارث قصيدته « آذنتنا ببينها أسماء » فخر فيها لتغلب على بكر ، ثم أتى عمرو بن هند فأنشده إياها ، من وراء ستر لكره الملك أن ينظر إلى رجل به بلاء ، فلما استمر فيها الحارث ، استخف **عمرو بن هند** الطرب وأمر برفع الحجاب ثم أقعده على طعامه وصيَّره من سُمَّاره .

وقال الحارث مفتخراً بالبرص :

يا أم عمرو لا تُغَرِّي بالرَّوَقْ
ليس يضر الطُّرْفَ توليع البَلَقْ
إذا حوى الحلبة في يوم السبقْ

(الرَّوق : الجمال ، والطُّرْف : الكريم ، والتوليع : التلميع من البرص ، والبلق : استطالة البياض وتفرقه) .



● **الأخ محمد صادق الجابري ، حلب ـ سورية**

كتاب « **إحصائية الحجاج** » الذي طلبته بإمكانك أن تكتب بصدده **لوكالة وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية بالرياض** مع تحياتنا .

● **الأخ حسين مصطفى حسين ، الخرطوم بحري ـ السودان**

لقد حلت أبواب جديدة محل الباب الذي افتقدته وذلك تمشياً مع حرصنا على التنويع والتجديد . أما الصورة التي طلبتها فبإمكانك الكتابة لسعادة مدير عام الصحافة **بوزارة الإعلام ـ الرياض** .

● **الأخ فتحي عبد الحميد علي ، القاهرة ـ مصر**

موضوعك غير مناسب لذلك نعتذر عن نشره مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

● **الأخ محمد حسين محمد الزهراني ، الباحة ـ المملكة العربية السعودية**

في كثير من أعدادنا طلبنا من قرائنا الأفاضل بأن تكون كتابتهم إلينا على وجه واحد من الورق ، وهذا زيادة في التأكيد مع اعتذارنا عن نشر موضوعك .

● **الأخ عبد الفتاح محمد عبد الفتاح ، عمان ـ الأردن**

نشكرك على مساهمتك ونعتذر عن نشر قصيدتك مع تحياتنا .

● **الأخ محمد فايز فندي نماس ، أبها ـ المملكة العربية السعودية**

نعتذر عن نشر قصيدتكم لعدم مناسبتها وشكراً .

● **الأخ محيي الدين خريف ، القصبة ـ تونس**

القصائد والقصص التي بعثتها إلينا نعتذر عن نشرها متمنين لك التوفيق .

● **محمد محمد طلبة ، القاهرة ـ مصر**

ما نقوم به أو نبذله من مجهود ليس إلا واجباً تحتمه علينا المسؤولية الملقاة على عاتقنا . أما اقتراحك فهو اقتراح بنّاء سوف ننظر إليه بعين الاعتبار .

● **الأخ محمد محب الدين ، حمص ـ سورية**

نشكرك أولا على ملاحظتك الدقيقة ونحن معك في أن الترجمة تفقد الموضوع أصالته ، لكن هدفنا من نشر بعض القصص المترجمة هو اطلاع القارئ العربي على بعض النماذج من الأدب العالمي .

● **الأخ محمد فهمي سند ، القاهرة ـ مصر**

قصائدك طويلة ونرجو إعادة النظر في وزن بعض أبياتها وشكراً .

● **الأخ محمد كامل الشربجي ، دمشق ـ سورية**

نعتذر عن نشر موضوعك مع تحياتنا .

● **الأخ البريكي عبد الإله ، فاس ـ المغرب**

● **الأخ خالد المسالمة ، درعا ـ سورية**

● **الأخ بهلالي إبراهيم ، كلميم ـ المغرب**

قصائدكم غير مناسبة للنشر لذلك نعتذر .

● **الأخ عبد الحميد علي الكولة ، الحسكة ـ سورية**

اقتراحك سبق أن قمنا بالرد عليه في أعداد سابقة وشكراً .

● **الأخ بافيدا البشير ـ الصحراء المغربية**

● **الأخ أحمد عقاد ، حلب ـ سورية**

ما نقدمه واجب لا نستحق الشكر عليه ، وشكراً على مشاعركما الطيبة .

● **الأخ وضاح صباغ ، حلب ـ سورية**

تساؤلاتك أجبنا عليها في أعداد سابقة . وبصدد الدراسات التي طلبتها فبإمكانك الكتابة لسعادة **مدير عام الصحافة بوزارة الإعلام بالرياض** .

● **الأخ فارس جاسم محمد ، نينوى ـ العراق**

نتمنى لك مستقبلاً في كتابة القصة ونعتذر عن النشر .

● **الأخ إبراهيم أحمد المسافر ، مسقط ـ سلطنة عمان**

ما نقوم به جهد يحتمه علينا الواجب ، وعلى أي حال نشكرك على إعجابك بالمجلة .

● **الأخ شريف راغب شريف ، الزرقاء ـ الأردن**

بإمكانك الكتابة إلى الجهة التي أصدرت الكتاب الذي تطلبه ولعلك تحصل على ذلك .

● **الأخ زياد مصطفى شحيمة ، حماة ـ سورية**

نعتذر عن نشر قصيدتك لأنها وصلتنا بعد مرور المناسبة ولأنها طويلة جداً وحيز المجلة محدود .

● **الأخ عبد الكريم عبدان ـ العراق**

نحن لم نهمل رسائل قرائنا إطلاقاً واتهامك لنا غير صحيح . كما نعتذر عن نشر ما حررته لباب « أوراق متناثرة » وشكراً .

● **الأخ رضا جوده ، المنصورة ـ مصر**

نحن أيضاً نشكر لك مشاعرك الطيبة ونرجو أن ترجع إلى العدد (٢٥) من المجلة لتقرأ ما كتب عن **مثلث برمودا** .

● **الأخ بن يطو الميلود ، ولاية المسيلة ـ الجزائر**

لتلبية طلبك اكتب لسعادة مدير عام الصحافة **بوزارة الإعلام ـ الرياض** ، ولك تحياتنا .

● **الأخ فيصل سليمان الوهيد ، الدوادمي ـ المملكة العربية السعودية .**

نشكرك على مشاركتك ونعتذر عن نشر ما أرفقته برسالتك مع تحياتنا .

● **الأخ عبد الحميد حسن أشقر ، دمشق ـ سورية**

المجلة لا تنشر إلا ما كان خاصاً بها ، لذا نعتذر عن نشر موضوعك وشكراً .

● **الأخ محمد نور الحسين ، قرية معصران ـ سورية**

نعتذر عن نشر قصيدتك ونتمنى لك التوفيق .

● **الأخ أحمد أكتع ، حلب ـ سورية**

نعتذر عن نشر قصائدك لعدم مناسبتها .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

الهفوف .. إحدى مدن المملكة العربية السعودية (المنطقة الشرقية) .. لماذا أطلق عليها هذا الاسم ؟

السؤال الثاني :

أحد قادة المسلمين الذين فتحوا شمال إفريقيا .. أسس مدينة في تونس ، وبنى جامعه المعروف باسمه إلى اليوم .. من أقواله :

« والله ، لو عرفت وراء هذا البحر أرضاً لمضيت إليها مجاهداً في سبيل الله » ، ما اسم هذا القائد .. وما اسم المدينة التي أسسها ؟

السؤال الثالث :

هذه أسماء دواوين لعدد من الشعراء السعوديين المعاصرين .. اذكر أسماءهم : وحي الحرمان — قصائد في زمن السفر — معركة بلا راية — أغنيات لبلادي .

السؤال الرابع :

شاعرة عباسية ، كانت مولاة لمحمد بن كناسة الشاعر العباسي المعروف ، وكان له صديق يكنى « أبا الشعثاء » ، يعرض دائماً بهذه الشاعرة ، ويظهر حبه لها حين يسمع غناءها .. من ضمن قصيدة لها قالت :

يا فؤادي فازدجرْ عنه ويا عبثَ الحبُّ به فاقعدْ وقمْ
زارني منه كلامٌ صائبٌ ووسيلات المحبين الكَلِمْ
صائد تأمنه غزلانه مثلما تأمن غزلانُ الحَرَمْ

ما اسم هذه الشاعرة (مع العلم أن اسمها يذكرك باسم عملة نقدية في حالة الجمع) ؟

السؤال الخامس :

أحد كواكب المجموعة الشمسية .. يبعد عن الأرض حوالي (١٦٠٠ كلم) .. يدور حول نفسه .. يبلغ يومه ١٠ ساعات ، و١٤ دقيقة .. حجمه يعادل حوالي ٨٠٠ مرة حجم الأرض .. ما اسم هذا الكوكب ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد (٥٣)

الاسم : ------------------------------------

المهنة : ------------------------------------

العنوان : ------------------------------------

• نتيجة مسابقة العدد (٤٦) •

● فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) الفي ريال سعودي الأخ علي صالح حسين الغامدي ، العنوان : مكة المكرمة ، الرصيفة ، شارع الستين ، المدرسة الثانوية التجارية .

● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ بكرين الطيب العنوان : عرصة البردعي الجديدة ، رقم 71 ، مدينة مراكش — المغرب .

● وفازت بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخت زهرية حسن جاويش من دمشق — سورية .

وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من الأردن — عمان ، الأخت فاطمة محمد مجارحة .

● من لبنان — بعلبك ، شارع رأس العين ، د . عباس سليم مرتضى .

● من مصر — الإسكندرية ، الأخت سناء محمد الراعي سويدان .

● من اليمن — صنعاء ، ص . ب . (٥٩١) الأخ طاهر علي محمد الزبيري .

● من سورية — اللاذقية الأخت سهام أحمد قاسم .

● من جيزان الأخ علي فرحات أحمد الخسافي الفيفي ، وعنوانه فيفاء ، النفيعة مدرسة العدوين الابتدائية والمتوسطة الملحقة .

● من مصر — شبين الكوم الأخت سميرة محمد رجب .

بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من السودان الأخ عبد الرحيم علي عثمان ، العنوان : أم درمان ، توكيل بريد الحقنة ، ص . ب ١٠٦ ، بواسطة والده السيد علي عثمان .

● من العراق الأخ عبد الزهرة عبد الجبار علي ، العنوان : بصرة عشار محلة التميمية رقم الدار ١٩١/٥٣ دور الشركة .

● من السودان الأخ عبد القادر بشير أحمد ، العنوان : جامعة الخرطوم ، كلية التربية قسم الآداب .

● من العراق الأخ يوسف جابر عبد الرضا ، العنوان : محافظة البصرة مدينة الجمهورية ، مكوى ريجنت .

● من البحرين الأخت دعاء سلطان حربان ، المحرق .

● من الجزائر الأخ برّيم عبد المجيد ، العنوان 62 ، دربوز لوني أرزقي باب الوادي — الجزائر .

● من المغرب الدار البيضاء الأخت سعاد عبد الحق التدلاوي .

● من مصر الأخ يحيى زكريا عبد الكريم ، العنوان : ٢٠٦ شارع الشيخ عبد الحميد كشك/شقة ١ ، حدائق القبة — القاهرة .

● من الرياض الأخت إيمان عبد الله الحمدان .

● من سورية الأخ محمد عبد الله حسن ، العنوان : مخيم اليرموك ، حي التقدم ، جادة سعد ابن أبي وقاص ، جنوب غربي مقبرة الشهداء — دمشق .

• أجوبة مسابقة العدد (٤٦) •

ج ١ خط الزمن الدولي هو خط طولي على الكرة الأرضية يجاري تقريباً خط الزوال عند ١٨٠° حيث يختلف الزمن المعياري بمقدار ٢٤ ساعة تقدماً أو تأخراً أي بمقدار يوم واحد من أيام التقويم .

ج ٢ النقائض لون من الشعر اشتهر في العصر الأموي كان من أعلامه : جرير والفرزدق والأخطل ، وهو بأن يذكر شاعر هجاءً لشاعر وقبيلته ، ثم يتصدى الآخر لنقض ما جاء به الأول والرد عليه .

ج ٣ التربيع العكسي مبدأ ينص على أن شدة الطاقة الواردة معه النقطة المصدر تتناقص تبعاً لمربع البعد عن المصدر ، فإذا ضوعفت المسافة فإن الشدة تبلغ ربع الشدة الأصلية ، وإذا زيدت المسافة إلى ثلاثة أمثال المسافة الأصلية فإن الشدة تنقص إلى تسع الشدة الأصلية .

ج ٤ يكذب فيك كل الناس قلبي
وتسمعُ فيك كلَّ الناس أذني
وكم طافت عليَّ ظلال شك
أقضت مضجعي واستعبدتني

الشاعر : الأمير عبد الله الفيصل ، الديوان : وحي الحرمان .

ج ٥ السنة المدارية : الزمن الذي تستغرقه الأرض في دورتها حول الشمس للاعتدال الربيعي وتبلغ ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية .

ج ٦ قال تعالى : ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين** ﴾ صدق الله العظيم .
المشعر الحرام تل صغير قليل الارتفاع أقيم عليه مسجد المزدلفة .

ج ٧ « ثابت قطنة » شاعر عربي من العصر الأموي ، لُقِّب بذلك لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها فكان يجعل عليها قطنة .

ج ٨ علي بن محمد الأشموني الشافعي المتوفي حوالي سنة ٩٠٠هـ ، وهو مؤلف الشرح المشهور على ألفية ابن مالك في النحو وسماه « منهج السالك » .

ج ٩ الأسيتون : سائل لا لون له ، سريع الاشتعال طيب الرائحة ، ويستخدم مذيباً لبعض الأشياء .
والأسيتيلين : غاز لا لون له ، يعطي عند اشتعاله لهباً أبيض شديد الحرارة .

ج ١٠ المساحة الجغرافية التي يشغلها العالم الإسلامي أكثر من ثلث مساحة آسيا ، وثلثي مساحة إفريقيا ، ورقعة محدودة في أوروبا .



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ _ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ



EUROPE - AMERICA - ASIA

Country	Currency	Price
Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R.250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض